المذهب الشافعي

مراحلُ تطوّره وأبرز أعلامه

تأليف

ميزان شعراني بن زبيدي حسب الله

مكتبة سنن الهدى

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

المذهب الشافعي

مراحل تطوّره و أبرز أعلامه

تأليف

الفقير إلى غفران ربه الخبير

ميزان شعراني بن زبيدي حسب الله

مكتبة سنن الهدى

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب ١

مقدمة ٩

الإمام الشافعي (١٥٠–٢٠٤هـ): مؤسس المذهب وإمام أصول الفقه ١٣

أهم مؤلفات الإمام الشافعي ٢١

أ. كتاب الأم ٢١

ب. كتاب الرسالة ٢٤

المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس والرواية والمختصرات (٢–٣هـ) ٢٧

لمحة عن المرحلة الأولى ٢٧

تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الأولى ٢٩

رواة المذهب القديم في العراق ٣٠

أ. أبو ثور الكلبي (٢٤٠-١٧٠هـ) ٣٠

ب. الكرابيسي (ت ٢٤٥ هـ) ٣٢

ت. أبو علي الزعفراني (ت ٢٦٠ هـ) ٣٤

ث. الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤–٢٤١هـ) ٣٧

رواة المذهب الجديد في مصر ٤٠

أ. المزني (١٧٥–٢٦٤هـ) ٤١

ب. البويطي (ت ٢٣١ هـ) ٤٤

ت. الربيع المرادي (١٧٤–٢٧٠هـ) ٤٦

ث. الإمام حرملة بن يحيى التجيبي (١٦٦–٢٤٣ أو ٢٤٤هـ)..... ٤٩
ج. الإمام الربيع بن سليمان الجيزي (ت ٢٥٦هـ)..... ٥١
ح. الإمام محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (١٨٢–٢٦٨هـ) ٥٣
المرحلة الثانية: مرحلة التأصيل والنشر والجمع (٤–٥ هـ) ٥٦
لمحة عن المرحلة الثانية..... ٥٦
تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الثانية ٥٨
أ. ابن سريج (٢٤٩-٣٠٦هـ)..... ٥٩
ب. أبو إسحاق المروزي (٢٧٠-٣٤٠هـ)..... ٦١
ت. ابن أبي هريرة (٢٤٤-٣٤٥هـ)..... ٦٤
ث. الإسفراييني (٣٤٤–٤٠٦هـ)..... ٦٦
ج. الماوردي (٣٦٤–٤٥٠هـ) ٦٩
ح. القاضي حسين المروزي (٤٣٦-٤٦٢هـ)..... ٧١
خ. الجويني (٤١٩–٤٧٨هـ) ٧٣
د. أبو سعد المتولي (٤٢٦–٤٧٨هـ) ٧٧
ذ. الشيرازي (٣٩٣- ٤٧٦هـ)..... ٧٩
ر. الروياني (٤١٥–٥٠٢هـ)..... ٨٢
المرحلة الثالثة: مرحلة الاختصار والتهذيب (٦هـ) ٨٦
لمحة عن المرحلة الثالثة..... ٨٦
تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الثالثة ٨٨

أ. الغزالي (٤٥٠–٥٠٥هـ) ٨٨
ب. البغوي (٤٣٣–٥١٦هـ) ٩٢
ت. أبو بكر الشاشي (ت ٥٠٧ هـ) ٩٤
ث. أبو شجاع الأصفهاني (٤٣٣–٥٠٠هـ) ٩٥
المرحلة الرابعة: مرحلة الشرح الكبير والتحرير (٨–٧هـ) ١٠٠
لمحة عن المرحلة الرابعة ١٠٠
تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الرابعة ١٠٢
أ. الرافعي (٥٥٥–٦٢٣هـ) ١٠٣
ب. النووي (٦٣١–٦٧٦هـ) ١٠٥
ت. عز الدين ابن عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ) ١٠٩
ث. ابن الرفعة (٧١٠-٦٤٥ هـ) ١١١
ج. تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ) ١١٤
ح. تاج الدين السبكي (٧٢٧–٧٧١هـ) ١١٧
خ. جمال الدين الإسنوي (٧٠٤–٧٧٢هـ) ١٢٠
د. البلقيني (٧٢٤هـ - ٨٠٥هـ) ١٢٢
ذ. الزركشي (٧٤٥–٧٩٤هـ) ١٢٥
ر. ابن الملقن (٧٢٣-٨٠٤ هـ) ١٢٨
المرحلة الخامسة: مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد (١٢–٩هـ) ١٣٢
لمحة عن المرحلة الخامسة ١٣٢

تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الخامسة ١٣٥
أ. ابن رسلان الرملي (٧٧٣–٨٤٤هـ) ١٣٦
ب. ابن قاضي الشَّهبه (٧٧٩–٨٥١هـ)..... ١٣٨
ت. زكريا الأنصاري (٨٢٣–٩٢٦هـ)..... ١٤١
ث. إبن قاسم الغزي (ت ٩١٨هـ) ١٤٤
ج. زين الدين المليباري (ت ٩٨٧ هـ)..... ١٤٧
ح. شهاب الدين الرملي (ت ٩٥٧هـ)..... ١٥٠
خ. ابن حجر الهيتمي (٩٠٩–٩٧٤هـ)..... ١٥١
د. الخطيب الشربيني (٩٠٤-٩٧٧هـ)..... ١٥٤
ذ. شمس الدين الرملي (٩١٩–١٠٠٤هـ)..... ١٥٧
ر. الزيادي (ت ١٠٢٤هـ)..... ١٦٠
ز. القليوبي (ت ١٠٦٩هـ)..... ١٦٢
س. الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ)..... ١٦٥
ش. محمد بن سليمان الكردي (١١٢٥–١١٩٤هـ)..... ١٦٨
ص. البجيرمي (١١٣١–١٢٢١هـ) ١٧٠
المرحلة السادسة: مرحلة المتأخرين والنهضة العلمية (١٣–١٤هـ) ١٧٤
لمحة عن المرحلة السادسة ١٧٤
تراجم موجزة لفقهاء المرحلة السادسة..... ١٧٦
أ. الشرواني (ت ١٣٠١ هـ)..... ١٧٧

ب. أحمد بن زيني دحلان (١٢٣٢–١٣٠٤هـ)..... ١٨٠
ت. أبو بكر شطا الدمياطي (١٢٥٦–١٣١٠هـ) ١٨٣
ث. محمد نووي البنتني (ت ١٣١٤هـ)..... ١٨٥
ج. محفوظ الترمسي (ت ١٣٣٨هـ) ١٨٩
الخاتمة ١٩٥
الخريطة الزمنية لتطور المذهب الشافعي و أبرز أعلامه..... ٢٠٠

الملاحق

- الخريطة العلمية للمذهب الشافعي (المؤلفات والكتب المعتمدة)
- الخريطة العلمية للمذهب الشافعي (الأسانيد والمدارس العلمية)
- أهم مصادر التراجم والطبقات في المذهب الشافعي
- أهم الكتب المعتمدة في المذهب عبر العصور

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن المذهب الشافعي أحد المذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وقد انتشر في أقطار واسعة من العالم الإسلامي، وخدمه عبر القرون عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين أسهموا في حفظه وتحريره وشرحه ونشره بين المسلمين. وقد ترك هؤلاء الأئمة تراثًا علميًا زاخرًا أسهم في تطور المذهب وازدهاره جيلاً بعد جيل.

ولما كانت معرفة العلماء من أهم الوسائل لفهم العلوم الشرعية وتاريخها، رأيت جمع هذا الكتاب المختصر الموسوم "**المذهب الشافعي مراحلُ تطوّره وأبرز أعلامه**"؛ ليكون مدخلاً أوليًا للطلاب والمبتدئين الراغبين في التعرف إلى أعلام المذهب الشافعي عبر عصوره المختلفة.

وقد اشتمل هذا الكتاب على تراجم موجزة لعدد من فقهاء الشافعية، ذُكر فيها اسم الفقيه ونسبه، ومكان مولده – إن وُجد – ونشأته وأشهر شيوخه وتلاميذه، وأبرز المناصب أو المراحل العلمية التي تميز بها، مع الإشارة إلى أهم مؤلفاته التي أسهمت في خدمة المذهب. وقد التزمت الاختصار والوضوح قدر الإمكان، ليكون الكتاب مناسبًا للمبتدئين وطلاب المدارس الإسلامية.

وليس المقصود من هذا العمل استيعاب جميع فقهاء المذهب أو الإحاطة بجميع تفاصيل حياتهم وآثارهم العلمية، وإنما الغرض تقديم تعريف مختصر يساعد القارئ على معرفة أعلام الشافعية ومكانتهم في تاريخ المذهب،

ويفتح له باب الرجوع إلى المصادر المطولة وكتب الطبقات والتراجم لمن أراد التوسع والبحث.

وقد سلكتُ في ترتيب هذا الكتاب منهجًا يجمع بين التسلسل التاريخي ومراحل تطور المذهب الشافعي؛ إذ لم أقتصر على ترتيب الفقهاء بحسب وفياتهم أو طبقاتهم العلمية، بل رُتِّبت تراجمهم وفق المراحل الرئيسة التي مر بها المذهب عبر تاريخه. فقُسِّم الكتاب إلى ست مراحل وهي المرحلة الأولى: التأسيس والرواية والمختصرات (٣–٢هـ)، ثم المرحلة الثانية: التأصيل والنشر والجمع (٥–٤هـ)، ثم المرحلة الثالثة: الاختصار والتهذيب (٦هـ)، ثم المرحلة الرابعة: الشرح الكبير والتحرير (٨–٧هـ)، ثم المرحلة الخامسة: التحقيق والحواشي والاعتماد (١٢–٩هـ)، وأخيرًا المرحلة السادسة: حقبة المتأخرين والتجديد (١٤–١٣هـ). وهذا التقسيم اجتهادي، غايته تقريب تطور المذهب الشافعي وبيان أبرز خصائص كل مرحلة، وليس المقصود به الفصل التام بين العصور أو حصر جميع فقهائها.

ومن أجل تقريب صورة المذهب الشافعي إلى القارئ، لم يقتصر هذا الكتاب على عرض تراجم الأئمة وتاريخ المذهب فحسب، بل أُلحق به أربعة ملاحق علمية في خاتمته. أولها: الخريطة العلمية للمذهب الشافعي (المؤلفات والكتب المعتمدة)، التي تُبيّن تطور المؤلفات الفقهية في المذهب والعلاقات العلمية بينها من المتون إلى الشروح والحواشي والمختصرات. وثانيها: الخريطة العلمية للمذهب الشافعي (الأسانيد والمدارس العلمية)، التي تُظهر تسلسل التلقي العلمي وانتقال المعرفة بين الأئمة من عصر الإمام الشافعي إلى العصور المتأخرة. وثالثها: أهم مصادر التراجم والطبقات في المذهب الشافعي، ويهدف إلى تعريف القارئ بأبرز المراجع التي اعتمد عليها مؤلفو الطبقات والتراجم في تدوين تاريخ المذهب ورجاله. ورابعها: أهم الكتب المعتمدة في المذهب عبر العصور، ويستعرض أشهر المؤلفات

التي أسهمت في بناء المذهب وتحريره واعتماده وتعليمه منذ عصر الإمام الشافعي إلى العصور المتأخرة.

والمقصود من هذه الملاحق أن تُعين القارئ على تكوين تصورٍ أشمل للبنية العلمية للمذهب الشافعي، وفهم تطور مدارسه ومؤلفاته ورجاله عبر القرون، بما يربط بين الأئمة والكتب والمدارس العلمية في إطارٍ تاريخيٍّ واحد.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والمعلمين والباحثين، وأن يجزي أئمة الإسلام وفقهاء الشافعية خير الجزاء على ما قدموه من خدمة للعلم والدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلف

الإمام الشافعي (١٥٠–٢٠٤هـ)
مؤسس المذهب الشافعي وإمام أصول الفقه

سيرته ونشأته

الإمام الشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي الشافعي، فيلتقي نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف. وهو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، ومؤسس المذهب الشافعي، وأول من دوّن علم أصول الفقه تدويناً مستقلاً.[١]

وُلِد سنة ١٥٠هـ بمدينة غزة على المشهور، وهي السنة التي تُوفي فيها الإمام أبو حنيفة. تُوفي والده وهو في سنّ مبكرة جداً، فنشأ يتيماً فقيراً في كنف والدته "فاطمة بنت عبد الله الأزدية". وخوفاً من ضياع نسبه وأصله، قررت أمه الانتقال به وهو ابن عامين إلى مكة المكرمة، موطن آبائه وأجداده، ليتلقى هناك التربية السليمة.

أظهر الشافعي منذ صغره نبوغاً وذكاءً حاداً، فحفظ القرآن الكريم كاملاً وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، ثم أقبل على حفظ الحديث النبوي وعلوم اللغة، حيث خرج إلى قبيلة "هذيل" في بادية العرب ليتعلم فصاحة اللسان والشعر وأيام العرب، حتى عُدَّ من أئمة العربية في عصره. فاجتمع له علم

[١] تاج الدين السبكي، *مناقب الشافعي*، تحقيق: السيد احمد صقر، مكتبة دار التراث، ج. ١، ص. ٧١-٧٥.

القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب، وهي ميزة قلَّ أن اجتمعت لغيره من أئمة عصره.[٢٢]

مكانته العلمية

أجمع العلماء وأئمة المذاهب على علو منزلة الإمام الشافعي، وقوة ذكائه، وسعة علمه، وغزارة فقهه، حتى عُدَّ من أعظم أئمة الإسلام تأثيرًا في تاريخ التشريع الإسلامي. وقد جمع بين فقه الحديث وفقه الرأي، وأرسى قواعد الاستنباط التي بُني عليها علم أصول الفقه فيما بعد، فاستحق مكانة فريدة بين علماء الأمة.

وقد أثنى عليه كبار الأئمة ثناءً عاطرًا؛ فقال الإمام أحمد بن حنبل: "ما أحدٌ مسَّ محبرةً ولا قلمًا إلا وللشافعي في عنقه مِنَّة"، وقال أيضًا: "كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس". وروي عنه كذلك قوله: "ما رأيت أحدًا أفقه في كتاب الله من الشافعي".

وقال الإمام إسحاق بن راهويه: "كنت أرى الشافعي كأنه جبلٌ من العلم يتحرك"، إشارة إلى رسوخ علمه وقوة حفظه واستحضاره للمسائل. وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: "كان الشافعي الإمام الكامل، والعالم العامل، والمنتشر علمه شرقًا وغربًا، والمتبع للسنن والآثار".

---

[٢٢] تاج الدين السبكي (١٩٩٢)، *طبقات الشافعية الكبرى*، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ج. ١، ص. ١٩٨

أما تلميذه الإمام المزني، فقد عبَّر عن أثره العلمي بقوله: "كان الشافعي نُصرةً للحديث، ومبينًا لسنن الله تعالى". وقد ظل أثره العلمي ممتدًا عبر القرون، فانتشرت كتبه وآراؤه في مختلف الأقطار الإسلامية، وتتابع العلماء على خدمة مذهبه شرحًا واختصارًا وتعليقًا وترجيحًا، حتى أصبح المذهب الشافعي أحد المذاهب الفقهية الأربعة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة.

شيوخه

تلقى الإمام الشافعي العلم على عدد كبير من علماء عصره، وكان من أبرزهم الإمام مالك بن أنس صاحب "الموطأ". فقد رحل إلى المدينة المنورة وهو شاب، ولازم مالكاً سنوات طويلة حتى وفاته سنة ١٧٩هـ، وتأثر بمنهجه في تعظيم السنة والاعتماد على الحديث. وقد رُوي عندما تتلمذ عليه الشافعي وقرأ عليه "الموطأ" حفظاً، أُعجب بذكائه وفطنته، وقال له ناصحاً: "يا محمد، اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن".

كما أخذ العلم عن مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة، وسفيان بن عيينة، وإبراهيم بن سعد، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، وغيرهم من أئمة الحجاز.

وبعد ذلك رحل إلى العراق، فاجتمع بتلاميذ الإمام أبي حنيفة، وعلى رأسهم الإمام محمد بن الحسن الشيباني، فدرس كتب أهل الرأي واستفاد من طرائقهم في الاستنباط والقياس. وبذلك اجتمع للشافعي علم مدرسة الحديث في الحجاز وعلم مدرسة الرأي في العراق، وهو ما انعكس بوضوح على منهجه الفقهي.

منهجه العلمي وتأسيسه للمذهب

احتل الإمام الشافعي مكانة فريدة في تاريخ الفقه الإسلامي؛ إذ نجح في الجمع بين مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي، ووضع منهجاً متوازناً يجمع بين الالتزام بالنصوص الشرعية والاستدلال العقلي المنضبط.

ويُعد الشافعي المؤسس الحقيقي لعلم أصول الفقه بصورته العلمية المدونة؛ فقد وضع القواعد التي تضبط عملية الاستنباط، وبيّن مراتب الأدلة الشرعية، وحدود الاجتهاد والقياس، وحجية السنة النبوية، وأسس منهجاً علمياً صار مرجعاً للمجتهدين بعده.

وقد أدى ذلك إلى نشوء المذهب الشافعي الذي أصبح أحد المذاهب الفقهية الأربعة الكبرى، وانتشر في الحجاز واليمن ومصر والشام وخراسان والهند وجنوب شرق آسيا، ولا يزال من أكثر المذاهب انتشاراً في العالم الإسلامي.[٣]

وقد مثّل الإمام الشافعي حلقة الوصل بين مدرسة أهل الحديث في الحجاز ومدرسة أهل الرأي في العراق، فجمع بين المحافظة على النصوص الشرعية والاستفادة من القياس المنضبط، وهو ما منح مذهبه طابعاً متوازناً بين المدرستين.

القول القديم والقول الجديد

[٣] ومن الإمام الشافعي بدأت رحلة المذهب الشافعي العلمية التي امتدت أكثر من اثني عشر قرناً، وتتابعت خلالها جهود الأصحاب والرواة، ثم أصحاب الوجوه، ثم المحررين والمحققين، حتى تكوّن البناء العلمي المتكامل للمذهب. والصفحات التالية من هذا الكتاب إنما هي عرضٌ موجز لأبرز الأئمة الذين حملوا هذا التراث جيلاً بعد جيل، وأسهموا في حفظه وتطويره ونشره في أرجاء العالم الإسلامي.

مرّ فقه الإمام الشافعي بمرحلتين أساسيتين عُرفتا عند علماء المذهب بالقول القديم والقول الجديد. فالقول القديم هو ما أفتى به وقرره أثناء إقامته بالعراق، متأثراً بما اطلع عليه من فقه أهل الرأي ومناظراتهم. أما القول الجديد فهو ما استقر عليه اجتهاده بعد انتقاله إلى مصر سنة ١٩٩هـ تقريباً.

وقد أعاد الشافعي النظر في عدد من المسائل الفقهية، فغيّر بعض آرائه السابقة بناءً على ما ظهر له من قوة الدليل. ولذلك يعتني فقهاء الشافعية بتمييز القديم من الجديد، ويُعد الجديد هو المعتمد في غالب مسائل المذهب، إلا في مواضع محدودة رجّح فيها الأصحاب بعض أقواله القديمة.

وقد حفظ أصحابه القولين معاً، واعتنى فقهاء المذهب بتمييزهما، لما لذلك من أثر في الترجيح ومعرفة تطور اجتهاد الإمام.

تلاميذه

تخرّج على الإمام الشافعي عدد كبير من العلماء الذين كان لهم أثر بالغ في حفظ مذهبه ونشره وتدوينه. ويُعدّ الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) من أشهر من لازم الشافعي وانتفع به؛ فقد أخذ عنه أصول الاستدلال وفقه الحديث، وكان يقول: "ما صلّيت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي". وقد استفاد من منهج شيخه في الجمع بين الحديث والفقه، ثم استقلّ باجتهاده فأسّس المذهب الحنبلي، الذي امتاز بعنايته الفائقة بالنصوص والآثار، وتقديمها على الرأي والقياس عند التعارض.

أما تلاميذ الشافعي من أهل العراق، فكانوا في الغالب من رواة المذهب القديم، إذ أخذوا عنه قبل انتقاله إلى مصر. ومن أبرزهم أبو علي الزعفراني، الذي يُعدّ أوثق رواة القول القديم، حتى قال الماوردي: "هو أثبت رواة القديم". وقد حفظ كتب الشافعي بالعراق وروى كثيرًا من آرائه ومسائله. ومنهم كذلك الحسين بن علي الكرابيسي، الذي اشتهر بسعة العلم

وقوة الحفظ، وكان من أبرز أصحاب الشافعي في العراق. ومنهم أيضًا أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، الفقيه المحدث المعروف، الذي لازم الشافعي وأخذ عنه، ثم صار إمامًا مجتهدًا له اختياراته وآراؤه الفقهية الخاصة.

وأما تلاميذه بمصر، فهم الذين حملوا المذهب الجديد ونشروه بين الناس. ويأتي في مقدمتهم الإمام المزني (ت ٢٦٤هـ)، الذي عُدّ أعظم أصحاب الشافعي وأفقههم، حتى لقّبه بعض العلماء بـ"ناصر المذهب". وقد اختصر فقه الشافعي في كتابه الشهير مختصر المزني، الذي أصبح أصلًا لكثير من الشروح والمصنفات الكبرى في المذهب الشافعي خلال القرون التالية.

ومن كبار أصحابه المصريين أيضًا الربيع بن سليمان المرادي (ت ٢٧٠هـ)، وهو الراوية الأكبر للمذهب الجديد، وعنه وصلت إلينا معظم كتب الشافعي، وفي مقدمتها كتابا الأم والرسالة. وقد لازم الشافعي ملازمة تامة، فكان أمينًا على علمه وناقلًا لتراثه إلى الأجيال اللاحقة.

كما يُعدّ الإمام البويطي (ت ٢٣١هـ) من أجلّ أصحاب الشافعي وأقربهم إليه، حتى استخلفه الشافعي للتدريس والإفتاء في حياته. وكان من كبار فقهاء المذهب وأئمته، واشتهر بثباته في محنة خلق القرآن، حيث أُخذ إلى بغداد مقيدًا، وظل ثابتًا على معتقده حتى توفي في السجن رحمه الله.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام الشافعي عدداً من المؤلفات التي تُعد من أهم الكتب في تاريخ الفقه الإسلامي. ويأتي في مقدمتها كتاب "الرسالة"، الذي يُعد أقدم كتاب مستقل وصل إلينا في علم أصول الفقه، وقد بيّن فيه أصول الاستدلال الشرعي، وحجية السنة، ومراتب الأدلة، وقواعد الاجتهاد والاستنباط.

ومن أشهر كتبه أيضاً "الأم"، وهو الأصل الأكبر للمذهب الشافعي، جمع فيه آراءه الفقهية وأدلته ومناقشاته للمخالفين، ويُعد من أهم المصادر التي اعتمد عليها فقهاء المذهب عبر القرون. وله كذلك كتب أخرى مثل "اختلاف الحديث"، و"جماع العلم"، و"إبطال الاستحسان"، و"أحكام القرآن"، فضلاً عن الرسائل والأمالي والمسائل التي رواها عنه أصحابه، كما نُسبت إليه كتب أخرى وروايات ومسائل نقلها عنه أصحابه، وكانت الأساس الذي بُني عليه المذهب الشافعي في مراحله اللاحقة.

وقد أصبحت هذه المؤلفات أساساً لجميع المراحل اللاحقة في تطور المذهب الشافعي، واعتمد عليها الأئمة في الشرح والاختصار والتحرير والترجيح.

أخلاقه وعبادته

عُرف الإمام الشافعي بالورع والزهد والتواضع وحسن الخلق، وكان شديد التعظيم للكتاب والسنة، بعيداً عن التعصب والانتصار للنفس. ومن أشهر كلماته: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، وقوله: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب". وهي عبارات تعكس سعة أفقه العلمي وإنصافه في الخلاف.

وكان محباً للعلم وأهله، حسن المناظرة، لا يقصد إلا الوصول إلى الحق. كما عُرف بكثرة العبادة، وتلاوة القرآن، والحرص على الإخلاص في العلم والعمل. وكان يقول: "وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم يُنسب إليّ منه شيء".

وفاته وأثره العلمي

انتقل الإمام الشافعي إلى مصر في أواخر حياته، وهناك اكتمل مذهبه الجديد وانتشرت حلقاته العلمية، وألّف كثيراً من كتبه التي وصلت إلينا.

وظل يدرّس ويفتي ويصنف حتى توفي ليلة الجمعة آخر رجب سنة ٢٠٤هـ، ودُفن بالقرافة الصغرى في مصر، وأصبح قبره من أشهر المعالم العلمية والتاريخية في القاهرة.

ويُعد الإمام الشافعي الشخصية المحورية في تاريخ المذهب الشافعي، إذ بدأت منه رحلة المذهب العلمية التي امتدت أكثر من اثني عشر قرناً، وتعاقبت فيها جهود الرواة وأصحاب الوجوه والمحررين والمحققين، حتى أصبح المذهب الشافعي أحد أكثر المذاهب الفقهية انتشاراً وتأثيراً في العالم الإسلامي.

أهم مؤلفات الإمام الشافعي

أ. كتاب الأم

يُعد كتاب "الأم" من أعظم كتب الفقه الإسلامي وأشهرها، وهو المصدر الأصيل للمذهب الشافعي، وأحد أهم المؤلفات التي حفظت تراث الإمام الشافعي الفقهي للأجيال اللاحقة. وقد احتل الكتاب منزلة رفيعة بين كتب الفقه؛ لأنه لا يقتصر على ذكر الأحكام الفقهية فحسب، بل يجمع بين الفقه وأصوله، والاستدلال بالكتاب والسنة، ومناقشة أقوال العلماء، وبيان طرائق الاجتهاد والاستنباط. ولذلك عُدَّ من مفاخر المكتبة الإسلامية ومن أهم المصادر التي يرجع إليها الباحثون في دراسة الفقه الشافعي وتاريخ التشريع الإسلامي.

ويمثل كتاب "الأم" خلاصة المرحلة الأخيرة من حياة الإمام الشافعي العلمية، إذ يشتمل في معظمه على آرائه التي استقر عليها في مصر، والتي عُرفت عند فقهاء المذهب بـ "المذهب الجديد". ولهذا اكتسب الكتاب أهمية خاصة عند الشافعية، إذ أصبح المرجع الأول لمعرفة اختيارات الإمام الشافعي النهائية، والتي اعتمدها جمهور أصحاب المذهب من بعده.

ويمتاز الكتاب بمنهج علمي رصين يقوم على ردِّ الأحكام إلى أدلتها الشرعية. فكان الإمام الشافعي يبدأ كثيرًا من المسائل بذكر الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية المتعلقة بالباب، ثم يستنبط منها الأحكام الفقهية، ويبين وجوه الاستدلال، ويذكر ما قد يرد على الدليل من إشكالات أو اعتراضات، ثم يجيب عنها بأسلوب علمي دقيق. ويظهر من خلال ذلك رسوخ قدمه في علوم القرآن والحديث واللغة العربية وأصول الفقه.

كما يكشف الكتاب عن المنهج الوسطي الذي امتاز به الإمام الشافعي في الاستنباط؛ فقد جمع بين مدرسة أهل الحديث التي تعظم النصوص الشرعية

وتقدمها، ومدرسة أهل الرأي التي توسعت في القياس والاجتهاد. فاعتمد الشافعي النصوص الشرعية أساسًا للأحكام، مع إعمال القياس الصحيح عند الحاجة إليه، ووضع لذلك ضوابط وقواعد دقيقة أصبحت فيما بعد أساسًا لعلم أصول الفقه.

ومن أبرز ما يميز "الأم" كثرة المناقشات والمناظرات العلمية التي تضمنها. فقد ناقش الإمام الشافعي آراء الفقهاء من مختلف المذاهب، ولا سيما فقهاء العراق والحجاز، وبيَّن أدلتهم، ثم ناقشها مناقشة علمية هادئة قائمة على الحجة والبرهان. ولذلك يُعد الكتاب من أوائل المصادر الكبرى التي حفظت جانبًا مهمًا من تاريخ الخلاف الفقهي بين علماء القرون الأولى، وأصبح مرجعًا مهمًا في الفقه المقارن.

وقد اشتمل الكتاب على معظم أبواب الفقه الإسلامي؛ فبدأ بكتاب الطهارة، ثم الصلاة والزكاة والصيام والحج، وانتقل إلى أبواب المعاملات كالبيع والإجارة والشركات والرهن، ثم تناول الأحوال الشخصية من النكاح والطلاق والرضاع والنفقات، كما تطرق إلى القضاء والشهادات والحدود والجنايات والوصايا والفرائض وغيرها من أبواب الفقه. وهذا الشمول جعل الكتاب موسوعة فقهية متكاملة تمثل رؤية الإمام الشافعي لمختلف جوانب الحياة الشرعية.

ولم يؤلف الإمام الشافعي كتاب "الأم" بالصورة التي وصل بها إلينا اليوم، وإنما كان يملي دروسه ومسائله وفتاواه على تلاميذه في مجالسه العلمية بمصر. وقد قام كبار أصحابه بحفظ هذه المادة العلمية وجمعها ونقلها. وكان للإمام الربيع بن سليمان المرادي الدور الأكبر في رواية الكتاب وحفظه، حتى إن النسخة المعروفة من "الأم" إنما وصلت إلى الأجيال اللاحقة من طريقه. كما حفظ البويطي والمزني وغيرهما كثيرًا من مسائل الإمام وأقواله التي أسهمت في تكوين التراث الشافعي المبكر.

وتظهر في الكتاب شخصية الإمام الشافعي اللغوية والأدبية بوضوح؛ إذ يعتمد في كثير من استدلالاته على دلالات الألفاظ وأساليب العرب في الخطاب، ويستشهد بالشعر العربي وكلام العرب لتفسير النصوص الشرعية وفهم معانيها. ويعكس ذلك مكانته الرفيعة في علوم اللغة، حتى عده بعض العلماء من كبار أئمة العربية في عصره.

وقد أُلحق بالكتاب في بعض الطبعات المتأخرة عدد من الرسائل والمؤلفات الأخرى المنسوبة إلى الإمام الشافعي، مثل "اختلاف الحديث" و"جماع العلم" و"إبطال الاستحسان" وغيرها من الرسائل التي تتصل بمنهجه في الاستدلال والفقه. أما كتاب "الرسالة" فله استقلاله العلمي الخاص، إذ يُعد المؤلف المؤسس لعلم أصول الفقه، وإن كان يكمل من الناحية المنهجية ما قرره الإمام في كتاب "الأم".

ولقد حظي "الأم" بعناية عظيمة من علماء الإسلام عبر القرون؛ فكان المصدر الأساس الذي اعتمد عليه أصحاب المذهب الشافعي في نقل أقوال الإمام وتحرير مذهبه. واستند إليه كبار الأئمة من أمثال الماوردي في "الحاوي الكبير"، وإمام الحرمين الجويني في "نهاية المطلب"، والغزالي في "البسيط" و"الوسيط" و"الوجيز"، ثم الرافعي والنووي في تحرير المذهب واعتماد أقواله. ومن خلال هذا الامتداد العلمي المتصل ظل كتاب "الأم" حاضرًا في جميع مراحل تطور المذهب الشافعي.

ويُعد كتاب "الأم" بحق الحلقة الأولى في سلسلة المؤلفات الكبرى للمذهب الشافعي؛ فمنه انطلقت المختصرات والشروح والحواشي التي تعاقبت عبر القرون. ولذلك لا يمكن دراسة تاريخ المذهب الشافعي أو فهم تطوره العلمي دون الرجوع إلى هذا الكتاب الجليل، الذي بقي شاهدًا على عبقرية الإمام الشافعي، وعمق فقهه، وقوة استدلاله، وحسن جمعه بين النص والاجتهاد.

ب. كتاب الرسالة

يُعد كتاب "الرسالة" للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) من أعظم المؤلفات الإسلامية وأجلِّها قدراً، وهو أول كتاب وصل إلينا مستقلاً في علم أصول الفقه. وقد وضع فيه الإمام الشافعي الأسس المنهجية للاستدلال الشرعي، وبيّن القواعد التي يُرجع إليها في فهم النصوص واستنباط الأحكام، حتى عُدَّ المؤسس الحقيقي لعلم أصول الفقه بصورته المدونة.

نشأت "الرسالة" في سياق الحاجة إلى ضبط مناهج الاستنباط الشرعي في القرن الثاني الهجري، حيث ظهرت مناهج متعددة في التعامل مع النصوص الشرعية بين مدارس الفقه المختلفة. وقد طلب المحدث الكبير عبد الرحمن بن مهدي من الإمام الشافعي أن يكتب له كتاباً يوضح فيه معاني القرآن، وطرق الاستدلال بالسنة، وحجية الإجماع، وأحكام الناسخ والمنسوخ، فاستجاب لذلك وصنف رسالته الأولى في العراق. ثم أعاد النظر فيها بعد انتقاله إلى مصر، فهذبها ونقحها، وهي النسخة المصرية التي وصلت إلينا وعُرفت بـ "الرسالة الجديدة".

وكان الهدف الرئيس من هذا الكتاب وضع منهج علمي منضبط للاجتهاد، يحفظ الشريعة من القول بالرأي المجرد أو الاستحسان غير المنضبط، ويربط الأحكام بأصولها الشرعية. ولذلك حرص الإمام الشافعي على بيان مصادر التشريع، ومراتب الأدلة، وقواعد الاستنباط، والضوابط التي ينبغي للمجتهد مراعاتها عند النظر في النصوص.

ولا يسير الكتاب وفق الترتيب الفقهي المعتاد، بل جاء في صورة بحث علمي متكامل يناقش القضايا الأصولية الكبرى. ويعتمد الشافعي فيه أسلوب الحوار والمناظرة، فيعرض الاعتراضات والأسئلة المحتملة ثم يجيب عنها بالأدلة النقلية والعقلية واللغوية، مما أكسب الكتاب طابعاً علمياً متميزاً.

ومن أبرز خصائص "الرسالة" عنايته الفائقة باللغة العربية؛ إذ يرى الإمام الشافعي أن فهم القرآن والسنة لا يتحقق إلا بفهم لسان العرب الذي نزل به الوحي. ولذلك أفرد مباحث واسعة لبيان دلالات الألفاظ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والأمر والنهي، والبيان والإجمال، وغيرها من القضايا اللغوية التي أصبحت فيما بعد من أهم مباحث علم أصول الفقه.

ويقرر الإمام الشافعي أن القرآن الكريم هو الأصل الأول للتشريع الإسلامي، وأنه المصدر الأعلى للأحكام الشرعية. كما يبين أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، وأنها وحي من الله تعالى، لقوله سبحانه: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾. ولذلك جعل الشافعي السنة شريكاً للقرآن في بيان الأحكام، وقرر وجوب العمل بها واتباعها.

وقد أولى الإمام الشافعي قضية حجية السنة عناية خاصة، نظراً لظهور بعض الاتجاهات التي حاولت التقليل من شأنها أو الاقتصار على القرآن وحده. فبيّن أن السنة تأتي مؤكدة لأحكام القرآن، أو مفسرة لمجمله، أو مبينة لمراد الله تعالى من نصوصه، أو مشتملة على أحكام سكت عنها القرآن وجاءت بها السنة استقلالاً، وكل ذلك داخل في إطار الوحي الإلهي.

ومن أهم مباحث الكتاب تقرير حجية خبر الواحد إذا توافرت فيه شروط القبول من عدالة الرواة وضبطهم واتصال السند وانتفاء الشذوذ والعلة. وقد كان لهذا التقرير أثر بالغ في بناء الفقه الإسلامي وعلم الحديث، إذ أصبح من الأصول المعتمدة عند جمهور علماء أهل السنة والجماعة.

كما تناول الإمام الشافعي الإجماع، فجعله حجة شرعية معتبرة بعد الكتاب والسنة، وعدّه دليلاً قاطعاً لا تجوز مخالفته إذا تحقق انعقاده. ثم بحث القياس، فقرر مشروعيته عند عدم وجود النص أو الإجماع، ووضع له ضوابط دقيقة تمنع التوسع غير المنضبط فيه، مما أسهم في ترشيد عملية الاجتهاد الفقهي.

وتعرض الكتاب أيضاً لمسائل النسخ وأحكامه، فبين شروطه وضوابطه وطرق معرفته، وأكد أن النسخ لا يثبت بالاحتمال أو الظن، بل لا بد فيه من دليل صحيح صريح. ومن أشهر آرائه في هذا الباب أن القرآن لا ينسخه إلا القرآن، وأن السنة لا تنسخ القرآن، بل يكون النسخ بدليل من جنسه.

كما أفرد الشافعي فصولاً للحديث عن الاجتهاد وصفات المجتهد، مبيناً أن الاجتهاد لا يكون إلا لمن جمع أدواته من معرفة القرآن والسنة واللغة العربية وطرق الاستدلال. وتناول كذلك مسألة تعارض الأدلة، فقرر أن الواجب أولاً هو الجمع بين النصوص ما أمكن، فإن تعذر الجمع نُظر في الترجيح أو النسخ وفق القواعد المقررة.

وقد أحدث كتاب "الرسالة" أثراً بالغاً في الحياة العلمية الإسلامية، إذ أسس علماً جديداً هو علم أصول الفقه، وأصبح المرجع الذي انطلقت منه المؤلفات الأصولية بعد ذلك. فقد استفاد منه أئمة المذاهب والفقهاء والمتكلمون، واعتمدوا كثيراً من قواعده ومناهجه، حتى صار أساساً لكل من كتب في هذا الفن بعد الإمام الشافعي.

ولأهمية الكتاب اعتنى به العلماء شرحاً ودراسة وتحقيقاً، ومن أشهر شروحه شرح أبي بكر الصيرفي، وشرح أبي بكر الجصاص في مناقشة بعض مسائله، كما أفاد منه إمام الحرمين الجويني والغزالي والآمدي وغيرهم من كبار الأصوليين. ولا يزال الكتاب إلى اليوم يُدرّس في الجامعات والكليات الشرعية بوصفه أحد أهم النصوص المؤسسة للفكر الأصولي الإسلامي.

ويحتل كتاب "الرسالة" مكانة فريدة في تاريخ العلوم الإسلامية؛ إذ لم يكن مجرد مؤلف في أصول الفقه، بل كان إعلاناً عن ميلاد منهج علمي متكامل للاستدلال الشرعي. ومن خلاله استطاع الإمام الشافعي أن يضع القواعد التي نظمت العلاقة بين النص والاجتهاد، وأن يؤسس منهجاً ظل مؤثراً في مسيرة الفقه الإسلامي طوال القرون اللاحقة.

المرحلة الأولى

مرحلة التأسيس والرواية والمختصرات (٢–٣هـ)

لمحة عن المرحلة الأولى

تمثل المرحلة التأسيسية والمبكرة للمذهب الشافعي الفترة الممتدة من حياة الإمام الشافعي إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وهي المرحلة التي وُضعت فيها أصول المذهب وقواعده الأولى، ثم نُقلت آراؤه إلى الأجيال اللاحقة عن طريق تلامذته ورواة مذهبه.

بدأت هذه المرحلة بانتقال الإمام الشافعي بين الحجاز والعراق، حيث تلقى العلم عن علماء مكة والمدينة، ثم رحل إلى العراق فاطلع على مدرسة الرأي التي كان يمثلها أصحاب الإمام أبي حنيفة. وفي هذه البيئة العلمية كوَّن الشافعي اجتهاداته الفقهية الأولى التي عُرفت فيما بعد بـ"القول القديم". وقد نشر هذا المذهب في العراق، وأخذ عنه جماعة من التلاميذ الذين رووا فقهه ومسائله.

ثم انتقل الإمام الشافعي إلى مصر سنة ١٩٩هـ تقريبًا، فراجع عددًا من اجتهاداته السابقة في ضوء ما توفر له من الأحاديث والآثار والمعارف الجديدة، فكوَّن ما عُرف بـ"القول الجديد". وأصبحت آراؤه المصرية هي الأساس الذي بُني عليه المذهب الشافعي فيما بعد، مع بقاء بعض مسائل القول القديم معمولًا بها عند الشافعية في مواضع محدودة رجَّحها بعض الأئمة.

وفي هذه المرحلة ألَّف الإمام الشافعي عددًا من الكتب التي أصبحت الأصول الأولى للمذهب، ومن أشهرها كتاب "الأم" الذي جمع كثيرًا من آرائه الفقهية، وكتاب"الرسالة" في أصول الفقه، وكتاب "اختلاف الحديث"،

وكتاب "جماع العلم"، وغيرها من المؤلفات التي حفظت جانبًا مهمًّا من مذهبه.

وبعد وفاة الإمام الشافعي تولى تلاميذه نشر مذهبه وتدوين آرائه، وكان من أشهرهم: المزني، والبويطي، والربيع المرادي، والزعفراني، والكرابيسي، وأحمد بن حنبل، وأبو ثور، وغيرهم من أصحاب الإمام. وقد اختلفت طرقهم في الرواية، فبعضهم روى القول القديم، وبعضهم روى القول الجديد، مما أسهم في حفظ التراث الشافعي المبكر.

ومن أهم مظاهر هذه المرحلة ظهور المختصرات الفقهية التي هدفت إلى تقريب فقه الإمام الشافعي للطلاب. ويأتي في مقدمتها "مختصر المزني" للإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤هـ)، وهو أشهر مختصرات المذهب وأعظمها أثرًا، حتى أصبح محورًا لعدد كبير من الشروح والتعليقات في القرون اللاحقة. كما ألَّف الإمام يوسف بن يحيى البويطي (ت ٢٣١هـ) مختصرًا في الفقه، وكان من كبار أصحاب الشافعي وخلفائه في التدريس بمصر.

وشهد القرن الثالث الهجري أيضًا ظهور عدد من الكتب والروايات التي نقلت فقه الشافعي، غير أن كثيرًا منها لم يصل إلينا كاملًا أو فُقد مع مرور الزمن. فمن ذلك "مختصر البويطي" الذي بقيت منه أجزاء وروايات متفرقة، و"مسائل الزعفراني" التي حفظت جانبًا من فقه الشافعي القديم، وكذلك روايات الكرابيسي وأبي ثور وغيرهما من أصحاب الإمام، وقد نقلت كتب المذهب المتأخرة كثيرًا من أقوالهم مع فقدان أصول بعض مؤلفاتهم.

وقد أسهمت هذه المؤلفات والروايات المبكرة في حفظ المذهب الشافعي وتثبيت أصوله، كما مهدت الطريق لظهور مرحلة جديدة في القرن الرابع الهجري، وهي مرحلة نقل المذهب وتخريجه وتحرير وجوهه على يد كبار

فقهاء الشافعية. ولهذا تُعَدُّ هذه الفترة بحق مرحلة التأسيس والبناء الأولى التي قامت عليها المدرسة الشافعية في العصور اللاحقة.

المرحلة	القرون	السمة الغالبة
التأسيس والرواية والمختصرات	٣–٢هـ	تأسيس المذهب الشافعي، وظهور القولين القديم والجديد، ونقل المذهب عن طريق الأصحاب والرواة، وظهور المختصرات الفقهية الأولى

تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الأولى

تمثل هذه المرحلة البدايات الأولى لنشأة المذهب الشافعي وتكوُّنه العلمي، ففيها وضع الإمام محمد بن إدريس الشافعي أصول مذهبه وقواعده الفقهية، ومرَّ اجتهاده بمرحلتين بارزتين عُرفتا بالقول القديم في العراق والقول الجديد في مصر. وبعد وفاته تولى تلاميذه وأصحابه حفظ آرائه وروايتها ونشرها في مختلف الأقاليم الإسلامية، فكان لهم فضل كبير في تثبيت المذهب وصيانته من الضياع. كما شهدت هذه المرحلة ظهور أولى المختصرات الفقهية التي جمعت مسائل المذهب ورتبتها، مثل مختصرات المزني والبويطي وغيرهما، فكانت نواةً للتأليف الشافعي في العصور اللاحقة. ولذلك تُعَدُّ هذه المرحلة مرحلة التأسيس والبناء الأولى، إذ اجتمع فيها وضع الأصول، ورواية الأقوال، وتدوين المختصرات التي قامت عليها المدرسة الشافعية فيما بعد. وفيما يأتي نبذات موجزة عن أبرز فقهاء الشافعية الذين أسهموا في تأسيس المذهب ونقله وروايته خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين.

رواة المذهب القديم في العراق

يُقصد بالمذهب القديم الآراء والاجتهادات الفقهية التي قررها الإمام الشافعي وأملاها خلال مقامه في العراق، ولا سيما في بغداد، قبل انتقاله إلى مصر، حيث تكوَّن مذهبه الجديد. وقد تولى حفظ هذا المذهب وروايته ونقله إلى الأجيال اللاحقة نخبةٌ من كبار أصحابه العراقيين، الذين لازموا الإمام الشافعي، وضبطوا أقواله، ورووا كتبه ومسائله، فكان لهم فضلٌ عظيم في حفظ المرحلة الأولى من تطور المذهب الشافعي. ومن أبرز هؤلاء الرواة: أبو علي الزعفراني، الذي عُدَّ أوثق رواة المذهب القديم وأشهرهم؛ وأبو ثور الكلبي، الفقيه المحدث الذي جمع بين فقه أهل الحديث ومدرسة الرأي؛ والحسين الكرابيسي، الذي اشتهر بسعة علمه ودقة نظره في الفقه والأصول، إلى جانب الإمام أحمد بن حنبل، الذي لازم الإمام الشافعي بالعراق، وروى عنه، وانتفع بأصوله في الاستدلال، وإن كان قد استقل بعد ذلك بمذهبه الفقهي المعروف. وقد مثّل هؤلاء الرعيل الأول الحلقة الأساسية في نقل المذهب القديم، فحُفظت بجهودهم أقوال الإمام الشافعي العراقية، وظلت مرجعًا مهمًّا لفقهاء المذهب، ولا سيما في المسائل التي رجّح فيها المتأخرون القول القديم أو لم يُنقل فيها قولٌ جديد.

أ. أبو ثور الكلبي (٢٤٠-١٧٠هـ)

هو الإمام الحافظ الفقيه أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أحد كبار أئمة الفقه والحديث في القرن الثالث الهجري، ومن أبرز أصحاب الإمام الشافعي في العراق، وأحد أهم رواة مذهبه القديم. وقد جمع بين الفقه والحديث، حتى عُدَّ من كبار المجتهدين في عصره.

وُلِد أبو ثور في بغداد ونشأ فيها، وكانت آنذاك من أعظم مراكز العلم في العالم الإسلامي. فأقبل على طلب العلم مبكرًا، وسمع الحديث من كبار

الأئمة، ومن أشهر شيوخه سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وغيرهما من أعلام الحديث والفقه.

وكان أبو ثور في بداية أمره على طريقة فقهاء العراق، ثم التقى بالإمام الشافعي عند قدومه إلى بغداد، فحضر مجالسه وناظره واستفاد من منهجه في الاستدلال والاعتماد على الحديث. وقد تأثر بالشافعي تأثرًا كبيرًا، حتى أصبح من أبرز أصحابه والمدافعين عن آرائه، وأسهم في نشر مذهبه في العراق.

وامتاز أبو ثور بسعة العلم وقوة الاستنباط والجمع بين فقه الرأي وفقه الأثر، فلم يكن مجرد ناقل للمذهب، بل كان مجتهدًا صاحب نظر واختيار. ولذلك عُدَّ من طبقة المجتهدين المستقلين الذين كانت لهم آراء فقهية خاصة، وأخذ العلماء بأقوالهم في كثير من المسائل.

وقد أثنى عليه أئمة عصره ثناءً عظيمًا، فكان الإمام أحمد بن حنبل يعرف له فضله ومكانته، ويقدره لتمسكه بالسنة واتباعه للأثر. كما وصفه أصحاب التراجم بالإمامة في الفقه والحديث، مع ما عُرف به من الورع والديانة وحسن السيرة.

وتتمثل أهمية أبي ثور في تاريخ المذهب الشافعي في كونه من أبرز من حملوا المذهب القديم ونشروه في العراق، كما أنه يمثل مرحلة مبكرة من تطور المدرسة الشافعية قبل استقرار المذهب بصورته النهائية في مصر. ولهذا يحتل مكانة مميزة بين أصحاب الشافعي الأوائل.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام أبو ثور العلم عن عدد كبير من علماء عصره، ومن أشهرهم سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح والإمام الشافعي. وقد جمع في تكوينه العلمي بين مدرسة أهل الحديث ومدرسة الفقه، مما أكسبه مكانة رفيعة بين علماء عصره.

أما تلاميذه فقد رووا عنه الفقه والحديث، وانتشرت آراؤه في كتب الفقه المقارن والخلاف العالي. كما نقلت عنه كتب المذاهب الإسلامية كثيرًا من اجتهاداته واختياراته الفقهية.

مؤلفاته وأعماله العلمية

ترك أبو ثور عددًا من المؤلفات في الفقه والحديث، من أشهرها "كتاب الطهارة" و"كتاب الصلاة" و"كتاب المناسك" و"اختلاف مالك والشافعي". وقد تناولت هذه الكتب مسائل الفقه والأحكام على منهج يعتمد على الاستدلال والنظر في الأدلة الشرعية.

كما نُسبت إليه مؤلفات أخرى في الأحكام والعقيدة، إلا أن معظم كتبه لم تصل إلينا كاملة، وبقيت آراؤه محفوظة في كتب الفقه والخلاف والتراجم. ومن أشهر ما نُقل عنه في العقيدة رسالة موجزة تُعرف بـ "اعتقاد أبي ثور".

وعلى الرغم من أن المذهب الذي نُسب إليه لم يستمر مستقلًا كاستمرار المذاهب الأربعة، فإن أثره العلمي بقي حاضرًا في كتب الفقه المقارن، كما ظل يُذكر في طبقات الشافعية بوصفه أحد كبار أصحاب الإمام الشافعي وأئمة المرحلة الأولى من تاريخ المذهب.

ب. الكرابيسي (ت ٢٤٥ هـ)

هو الإمام الفقيه المحدث المتكلم أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي الشافعي، أحد كبار أصحاب الإمام الشافعي في العراق، ومن أبرز فقهاء القرن الثالث الهجري. وقد جمع بين الفقه والحديث والجدل والكلام، واشتهر بسعة العلم وقوة الحفظ وكثرة التصنيف.

وُلِد الكرابيسي ببغداد ونشأ في بيئة علمية زاخرة بالفقهاء والمحدثين، فأقبل على طلب العلم مبكرًا، وتتلمذ على عدد من كبار علماء عصره، ثم لزم الإمام الشافعي وأخذ عنه الفقه والأصول. وقد عُدَّ من أكثر أصحاب الشافعي

معرفةً بمذهبه في العراق، حتى وصفه بعض العلماء بأنه من أحفظ الناس لأقوال الشافعي ومسائله.

وبرع الكرابيسي في علوم متعددة، فكان فقيهًا وأصوليًا ومحدثًا، كما عُرف باشتغاله بعلم الجدل والمناظرة. وقد امتاز بحدة الذكاء وقوة الاستنباط، مما مكنه من المشاركة في المناقشات العلمية التي كانت شائعة في عصره، وأكسبه مكانة مرموقة بين علماء بغداد.

وتتمثل أهمية الكرابيسي في كونه من أوائل الفقهاء الذين أسهموا في نشر المذهب الشافعي في العراق، وحفظ كثيرًا من مسائل الإمام الشافعي وآرائه. كما كان له دور في نقل المذهب إلى الجيل التالي من الفقهاء، فكان من الشخصيات المؤثرة في المرحلة الأولى من تاريخ المدرسة الشافعية.

وقد وقع في أواخر حياته خلاف مشهور بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل بسبب مسألة "اللفظ بالقرآن"، حين تكلم فيها بعبارات رآها الإمام أحمد وأصحاب الحديث موهمةً للقول بخلق القرآن، فاشتد الإنكار عليه. وأدت هذه المسألة إلى تراجع منزلته عند كثير من المحدثين، مع بقاء اعتراف عدد من العلماء بفضله وسعة علمه ومكانته في الفقه.

وعلى الرغم من هذا الخلاف، ظل الكرابيسي يُذكر في كتب الطبقات والتراجم بوصفه أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن الثالث الهجري، وأحد العلماء الذين كان لهم أثر في حفظ المذهب ونقله في مراحله الأولى.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الكرابيسي العلم عن عدد من كبار علماء عصره، وفي مقدمتهم الإمام الشافعي، كما روى الحديث عن جماعة من المحدثين المشهورين. وقد جمع في تكوينه العلمي بين الفقه والحديث والكلام، مما جعله من العلماء الموسوعيين في عصره.

أما تلاميذه فقد انتفعوا بعلمه في الفقه والحديث والمناظرة، وانتشرت آراؤه في كتب الخلاف الفقهي وطبقات الشافعية، وإن لم تتكون حوله مدرسة مستقلة كالتي تكونت لبعض كبار أصحاب الشافعي.

مؤلفاته وأعماله العلمية

كان الكرابيسي من المكثرين من التصنيف، وقد ذكرت له كتب التراجم مؤلفات عديدة في الفقه وأصوله والحديث والرجال والخلاف الفقهي. ووصفه العلماء بأنه كان واسع الاطلاع على اختلاف الفقهاء ومسائلهم، وله عناية خاصة بجمع الأقوال والمقارنة بينها.

غير أن معظم مؤلفاته لم تصل إلينا مستقلة، وإنما عُرفت من خلال النقول الواردة في كتب التراجم والطبقات. وتدل هذه المؤلفات على سعة علمه وتنوع اهتماماته، كما تكشف عن مكانته بين أوائل فقهاء المذهب الشافعي في العراق.

ولهذا يُعد الحسين بن علي الكرابيسي أحد أبرز أعلام المرحلة الأولى من تاريخ المذهب الشافعي، ومن الشخصيات التي أسهمت في نشر المذهب وتثبيت أصوله في بيئته العراقية، رغم ما أثير حوله من جدل في بعض المسائل العقدية في أواخر حياته.

ت. أبو علي الزعفراني (ت ٢٦٠ هـ)

هو الإمام المحدث الفقيه أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني البغدادي الشافعي، أحد كبار أصحاب الإمام الشافعي في العراق، ومن أوثق رواة مذهبه القديم. وقد جمع بين الفقه والحديث، واشتهر بحفظه لمجالس الشافعي وروايته لكتبه، حتى عُدَّ المرجع الأول في نقل المذهب القديم.

وُلِد الزعفراني ببغداد ونشأ فيها في بيئة علمية زاخرة بالمحدثين والفقهاء، ونُسب إلى محلة الزعفرانية أو درب الزعفراني ببغداد. وقد أقبل على طلب

العلم مبكرًا، فسمع الحديث من كبار أئمة عصره، ومن أشهر شيوخه سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وإسماعيل بن علية، ويزيد بن هارون، وغيرهم من أعلام الرواية في القرن الثاني الهجري.

ولما قدم الإمام الشافعي إلى بغداد لازمه الزعفراني وأخذ عنه الفقه والأصول، وكان من أكثر أصحابه ملازمة له في العراق. وقد ذكر الزعفراني أن الشافعي كان يحتاج إلى من يقرأ عليه كتبه في مجالسه، فتولى هذه المهمة، وقرأ عليه معظم مصنفاته، حتى صار من أعلم الناس بأقواله العراقية وأوثقهم في روايتها.

وتتمثل أهمية الإمام الزعفراني في كونه الحافظ الأكبر للمذهب القديم للشافعي، فقد اعتمد عليه فقهاء الشافعية في نقل الروايات العراقية للإمام الشافعي، حتى قال الماوردي: "هو أثبت رواة القديم". ولهذا احتل مكانة رفيعة في طبقات الشافعية، إذ كان حلقة الوصل الرئيسة بين الإمام الشافعي والجيل اللاحق من فقهاء العراق.

وقد جمع الزعفراني بين الفقه والحديث، فكان محدثًا ثقة وفقيهًا محققًا، وأجمع أهل التراجم على عدالته وجلالة قدره. ووصفه الذهبي بأنه من شيوخ الفقهاء والمحدثين، كما أثنى عليه علماء المذهب لما عُرف عنه من الضبط والإتقان وحسن الرواية.

وكان الزعفراني يقيم ويدرّس في بغداد في الموضع الذي عُرف بعد ذلك بدرب الزعفراني، وهو الموضع الذي ارتبط بتاريخ الشافعية في العراق. وقد ذكر أبو إسحاق الشيرازي أن مسجد الشافعي في هذا الحي ظل مركزًا علميًا للشافعية عدة قرون بعد وفاة الزعفراني، مما يدل على أثره في ترسيخ وجود المذهب ببغداد.

وتوفي الإمام الزعفراني سنة ٢٦٠هـ، بعد حياة حافلة بخدمة العلم ورواية الحديث ونشر مذهب الإمام الشافعي، تاركًا أثرًا علميًا بارزًا في تاريخ المدرسة الشافعية المبكرة.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الزعفراني العلم عن عدد من كبار المحدثين والفقهاء، ومن أشهر شيوخه سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وإسماعيل بن علية، ويزيد بن هارون، والإمام الشافعي. وقد جمع في تكوينه العلمي بين مدرسة الحديث ومدرسة الفقه، فكان من العلماء الجامعين بين الرواية والدراية.

أما تلاميذه والرواة عنه فمنهم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ويحيى بن محمد بن صاعد، والقاضي المحاملي، ومحمد بن مخلد العطار، وأبو عبيدة بن حربويه، وإسماعيل بن العباس الوراق، والحسين بن يحيى بن عياش القطان، وغيرهم من الأئمة الذين حملوا علمه ورواياته إلى الأجيال اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

على الرغم من أن الإمام الزعفراني يُعد من كبار أصحاب الإمام الشافعي وأوثق رواة مذهبه القديم، فإن مؤلفاته لم تصل إلينا على النحو الذي وصلت به مؤلفات المزني أو البويطي. وقد اشتهرت منزلته العلمية أساسًا بحفظ أقوال الشافعي ورواية كتبه ونقل مذهبه في العراق.

ومع ذلك، ذكرت له كتب التراجم والفهارس عددًا من المصنفات، من أشهرها "مسائل الزعفراني"، وهو من الكتب المفقودة التي بقيت منها نقول كثيرة في مؤلفات الشافعية. كما نُسب إليه "كتاب تفسير القرآن"، وقد أشار إليه عدد من العلماء، و"كتاب القراءات"، و"كتاب الناسخ والمنسوخ"، مما يدل على سعة اهتماماته العلمية وتنوع معارفه.

وتبرز أهمية الإمام الزعفراني في كونه أحد أعمدة المرحلة الأولى من تاريخ المذهب الشافعي، وأحد أبرز من حفظوا المذهب القديم ونقلوه إلى الأجيال التالية. ولولا رواياته وروايات أمثاله من أصحاب الشافعي لضاع جانب مهم من التراث العراقي للإمام الشافعي، الذي يمثل إحدى الركائز الأساسية في تاريخ المذهب الشافعي.

ث. الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤–٢٤١هـ)

هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، إمام أهل السنة والجماعة، وأحد كبار أئمة الإسلام، وإمام المذهب الحنبلي. ويُعد من أعظم حفاظ الحديث وفقهائه، وقد جمع بين الرسوخ في الرواية، والدقة في الاستنباط، والورع، والزهد، والثبات على الحق، حتى أصبح أحد أبرز أعلام القرن الثالث الهجري.

وُلِد الإمام أحمد بمدينة بغداد سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م)، ونشأ يتيماً في كفالة والدته التي أحسنت تربيته، وغرست فيه حب العلم والعبادة. وكانت بغداد آنذاك حاضرة الخلافة العباسية ومركز الحركة العلمية، فحفظ القرآن الكريم صغيراً، ثم أقبل على طلب الحديث والفقه، ولازم مجالس العلماء منذ شبابه، حتى عُرف بقوة الحفظ، وسعة الاطلاع، وشدة التحري في الرواية.

رحل الإمام أحمد في طلب العلم إلى الحجاز، واليمن، والشام، والكوفة، والبصرة، وغيرها من الأمصار، فسمع من كبار المحدثين، وجمع عدداً هائلاً من الأحاديث والآثار. وكان من أبرز شيوخه الإمام الشافعي، الذي لازمه في بغداد، وتأثر بمنهجه في الاستدلال، حتى قال: "ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا دعوت للشافعي". وقد أخذ عنه أصول الفقه، ومنهج الجمع بين الحديث والفقه، ثم استقل بعد ذلك باجتهاده، فصار إماماً لمذهب فقهي مستقل.

وتُعد محنة خلق القرآن أبرز الأحداث في حياته؛ إذ ثبت على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ورفض موافقة السلطة العباسية فيما تبنته من القول بخلقه، فتعرض للسجن والجلد والتعذيب في عهد المأمون والمعتصم والواثق، وظل صابراً محتسباً حتى رفع الله المحنة في عهد المتوكل. وقد كان لهذا الموقف أثر بالغ في ترسيخ مكانته عند علماء الأمة، حتى لُقب بـ"إمام أهل السنة".

جمع الإمام أحمد بين الإمامة في الحديث والفقه، فكان يقدم النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية على غيرها من الأدلة، ويعظم آثار الصحابة، ولا يلجأ إلى القياس إلا عند الحاجة. وقد امتاز بالورع، والزهد، والتواضع، والبعد عن مناصب الدولة، فأصبح قدوةً للعلماء في العلم والعمل.

وقد أثنى عليه كبار الأئمة؛ فقال الإمام الشافعي: "خرجت من بغداد، وما خلّفت بها أحداً أورع، ولا أتقى، ولا أفقه من أحمد بن حنبل". كما قال أبو زرعة الرازي: "كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث"، وعدَّه العلماء إماماً في الحديث والفقه، ورمزاً للثبات على السنة.

توفي الإمام أحمد ببغداد يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة (٢٤١هـ)، عن سبع وسبعين سنة، وشُيِّع في جنازة عظيمة شهدها مئات الآلاف من المسلمين، وبقيت سيرته مثالاً للعالم الرباني الذي جمع بين العلم والعمل والصبر على البلاء.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام أحمد العلم عن عدد كبير من الأئمة، وفي مقدمتهم الإمام الشافعي، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من كبار المحدثين والفقهاء. وكان للإمام الشافعي أثرٌ خاص في تكوين شخصيته الفقهية؛ إذ أخذ عنه أصول

الاستنباط، ومنهجه في الاستدلال بالكتاب والسنة، وكان كثير الثناء عليه والدعاء له.

وتخرج على الإمام أحمد عدد كبير من العلماء الذين حفظوا علمه ونقلوا مذهبه، ومن أبرزهم: ابناه عبد الله وصالح، وأبو بكر المروذي، وأبو داود السجستاني، وإبراهيم الحربي، وإسحاق بن منصور الكوسج، وبقي بن مخلد الأندلسي، وغيرهم. وقد قام هؤلاء بجمع رواياته، وتدوين مسائله، ونشر فقهه وحديثه، فكان لهم الفضل الأكبر في تدوين المذهب الحنبلي ونقله إلى الأجيال اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "المسند" أعظم آثار الإمام أحمد، وهو من أكبر دواوين السنة النبوية، إذ يضم نحو ثلاثين ألف حديث اختارها من مئات الآلاف من الروايات التي سمعها، ورتبها على أسماء الصحابة، فصار من أهم مصادر الحديث والفقه عند علماء الإسلام.

وتُنسب إليه أيضاً كتبٌ في العقيدة والحديث، مثل "السنة" و**"الرد على الزنادقة والجهمية"، كما رويت عنه كتب في "العلل ومعرفة الرجال" و"الورع"**، إلى جانب كتب "المسائل" التي دوَّنها تلاميذه، وفي مقدمتهم ابنه عبد الله، وأبو داود السجستاني، وإسحاق الكوسج، وغيرهم. وتعكس هذه الروايات منهجه في الفقه، وقوة عنايته بالنصوص، واعتماده على القرآن الكريم، والسنة النبوية، وآثار الصحابة، مع قلة اللجوء إلى القياس.

وتبرز أهمية الإمام أحمد في تاريخ المذهب الشافعي من كونه أحد أبرز تلامذة الإمام الشافعي ورواة مذهبه القديم بالعراق، فقد أسهم في نقل كثير من أصوله الفقهية، قبل أن يستقل باجتهاده ويؤسس مدرسةً فقهيةً خاصة به، لتصبح فيما بعد أحد المذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنة والجماعة.

رواة المذهب الجديد في مصر

شكّل تلاميذ الإمام الشافعي في مصر الحلقة الأولى في حفظ المذهب الجديد ونقله إلى الأجيال اللاحقة، إذ لازموا الإمام في سنواته الأخيرة، وكتبوا كتبه، ورووا فتاواه، وحفظوا اجتهاداته التي انتهى إليها بعد استقراره بمصر. وقد اشتهر من بينهم ستة من كبار الرواة، وهم: الربيع بن سليمان المرادي، راوية كتابي الأم والرسالة؛ وإسماعيل بن يحيى المزني، أبرز تلاميذه وأكثرهم تصنيفًا؛ ويوسف بن يحيى البويطي، خليفته في التدريس والإفتاء؛ وحرملة بن يحيى التجيبي، والربيع بن سليمان الجيزي، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم. وقد حمل هؤلاء الأعلام لواء المذهب بعد وفاة الإمام سنة (٢٠٤هـ)، فكانوا الأمناء على نقل مذهبه الجديد، وبفضل جهودهم استقر هذا المذهب وانتشر في مصر، ثم انتقل منها إلى سائر الأقاليم الإسلامية.

وتنوعت إسهامات هؤلاء الرواة في خدمة المذهب؛ فكان الربيع المرادي أوثق رواة كتب الإمام، وعنه وصل معظم تراث الشافعي الذي بين أيدينا، بينما برز الإمام المزني في الاختصار والتصنيف، فوضع كتابه "مختصر المزني" الذي أصبح أهم متون المذهب، ومحورًا لعشرات الشروح والتعليقات في القرون اللاحقة، حتى عُدَّ الركيزة التي قامت عليها المدرسة الشافعية بعد الإمام الشافعي. أما البويطي، فقد خلف شيخه في مجلس التدريس والإفتاء، وحمل راية المذهب بثبات حتى وفاته. وأسهم بقية الرواة في نشر كتب الإمام ورواية مسائله وتوثيقها، فانتقل المذهب بفضلهم من مرحلة الرواية المباشرة عن الإمام إلى مرحلة التدوين والاستقرار، ممهدًا الطريق لظهور طبقة أصحاب الوجوه، الذين تولوا بعد ذلك تأصيل المذهب، وتخريج فروعه، وتحرير مسائله.

أ. المزني (١٧٥–٢٦٤هـ)

هو الإمام الفقيه المجتهد أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري الشافعي[٤]، أكبر أصحاب الإمام الشافعي وأشهرهم، وأحد الأركان الرئيسة في نقل المذهب الشافعي وتدوينه. وقد عُدَّ إمام الشافعية في مصر بعد وفاة الشافعي، حتى أصبح اسمه مقترنًا بالمذهب في مرحلته الأولى.[٥]

وُلِد المزني بمصر سنة ١٧٥هـ تقريبًا، ونشأ محبًا للعلم والعبادة، وأقبل على دراسة العلوم الشرعية منذ صغره. ولما قدم الإمام الشافعي إلى مصر لازمه المزني ملازمةً طويلة، فأخذ عنه الفقه والأصول، وتأثر بمنهجه في الاستدلال والنظر، حتى أصبح من أقرب تلاميذه إليه وأعلمهم بأقواله.

وقد شهد له الإمام الشافعي بالفضل والعلم، وكان يثني عليه ويقدمه على كثير من أصحابه، حتى نُقل عنه قوله: "المزني ناصر مذهبي". كما أجمع أصحاب التراجم على أنه كان واسع العلم، قوي الحجة، حسن المناظرة، مع ما عُرف به من الزهد والورع وكثرة العبادة.

وتتمثل أهمية الإمام المزني في كونه المؤسس الثاني للمذهب الشافعي بعد الإمام الشافعي نفسه؛ إذ قام بجمع مسائل المذهب وترتيبها وتقريبها للطلاب، فكان له دور كبير في حفظ المذهب ونشره في مصر وخارجها. ولم يكن مجرد ناقل لآراء شيخه، بل كان فقيهًا مجتهدًا صاحب نظر

---

[٤] الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ط. مؤسسة الرسالة، ج ١٢، ص ٤٩٢.

[٥] يُعد الإمام المزني الشخصية الأبرز في تثبيت المذهب الشافعي بعد وفاة الإمام الشافعي نفسه. فقد اختصر فقه شيخه في كتابه الشهير "مختصر المزني"، الذي أصبح العمدة الأساسية لتدريس المذهب الشافعي طوال عدة قرون. وقد اعتنى به فقهاء الشافعية عناية فائقة، فصنفوا عليه عشرات الشروح والتعليقات، حتى إن معظم الإنتاج الفقهي الشافعي في القرنين الرابع والخامس الهجريين كان يدور حول شرحه وتحرير مسائله. ومن أشهر شروحه: شرح ابن سريج، وشرح أبي إسحاق المروزي، وشرح ابن أبي هريرة، وشرح أبي حامد الإسفراييني، و"بحر المذهب» للروياني، وغيرها. ولذلك يُنظر إلى "مختصر المزني» بوصفه الحلقة العلمية التي نقلت المذهب الشافعي من مرحلة الرواية المباشرة عن الإمام الشافعي إلى مرحلة التأصيل والتفريع والتوسع الفقهي.

وترجيح، وله اختيارات فقهية خالف فيها الإمام الشافعي في بعض المسائل اعتمادًا على ما ظهر له من الأدلة.

كما أسهم المزني في تكوين الجيل الثاني من الشافعية، فتتلمذ عليه عدد من العلماء الذين حملوا المذهب إلى الأقاليم المختلفة، وأصبحت مؤلفاته أساسًا لكثير من الشروح والتعليقات التي ظهرت في القرون اللاحقة.

وكان الإمام المزني على عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد عُرف بعنايته بمباحث الاعتقاد إلى جانب الفقه، وله مؤلفات في هذا الباب تدل على رسوخ قدمه في العلوم الشرعية.

وتوفي الإمام المزني بمصر في شهر رمضان سنة ٢٦٤هـ، ودُفن بالقرب من قبر الإمام الشافعي بالقرافة،[٦] بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتصنيف. وقد ترك أثرًا بالغًا في تاريخ المذهب الشافعي، حتى عدَّه كثير من المؤرخين أهم شخصية شافعية بعد الإمام الشافعي في القرن الثالث الهجري.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام المزني العلم عن جماعة من العلماء، إلا أن أشهر شيوخه وأعظمهم أثرًا فيه هو الإمام الشافعي، الذي لازمه سنين طويلة وتلقى عنه أصول المذهب وفروعه. كما روى عن عدد من علماء مصر والحجاز، واستفاد من البيئة العلمية النشطة التي شهدها عصره.

أما تلاميذه فكان لهم دور كبير في نشر المذهب الشافعي بعده، وانتقلت عن طريقهم مؤلفاته وآراؤه إلى مختلف الأمصار. وقد أسهموا في ترسيخ

[٦] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط. مؤسسة الرسالة، ج ١٢، ص ٤٩٣.

المدرسة الشافعية في مصر وخارجها، فكان المزني حلقة الوصل بين الإمام الشافعي والأجيال اللاحقة من فقهاء المذهب.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "مختصر المزني" أشهر مؤلفات الإمام المزني وأعظمها أثرًا في تاريخ المذهب الشافعي. وقد لخّص فيه آراء الإمام الشافعي ومسائل مذهبه بأسلوب موجز ودقيق، فصار عمدةً للفقهاء ومتنًا رئيسًا للدراسة والتدريس عدة قرون.

وقد أصبح مختصر المزني محور الحركة الفقهية الشافعية في القرون التالية، فكثرت شروحه وتعليقاته، ومن أشهرها شروح ابن سريج، وأبي إسحاق المروزي، وأبي حامد الإسفراييني، والروياني وغيرهم. وكان منطلقًا لعدد من أهم المؤلفات الشافعية في العصور اللاحقة، مما جعله أحد أكثر الكتب تأثيرًا في تاريخ المذهب.

وله أيضًا مؤلفات أخرى في الفقه والعقيدة، تدل على سعة علمه وقوة استنباطه، غير أن شهرة "المختصر" غلبت على سائر مصنفاته. وتبرز أهمية أعماله في أنها أسهمت في تثبيت المذهب الشافعي في مرحلته المبكرة، ومهدت الطريق للتوسع الفقهي الذي شهده المذهب في القرون التالية.

ولهذا يُعد الإمام المزني أحد أبرز أعلام المرحلة الأولى من تاريخ المذهب الشافعي، وأحد أكثر الشخصيات تأثيرًا في حفظ تراث الإمام الشافعي ونقله إلى الأجيال اللاحقة. ولذلك يعد المزني أهم شخصية في تاريخ المذهب الشافعي بعد الإمام الشافعي نفسه من حيث أثره في تدوين المذهب ونشره.

ب. البويطي (ت ٢٣١ هـ)

هو الإمام الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المصري الشافعي، أحد كبار أصحاب الإمام الشافعي وأوثقهم، وخليفته في التدريس والإفتاء بمصر بعد وفاته. ويُعد من أبرز أعلام المرحلة الأولى في تاريخ المذهب الشافعي، ومن أهم من أسهموا في حفظ تراث الإمام الشافعي ونشره، حتى عُدَّ المرجع الأول للشافعية بمصر بعد وفاة الإمام.

نُسب إلى قرية بويط من أعمال صعيد مصر، ونشأ محبًا للعلم، ثم لازم الإمام الشافعي ملازمة طويلة، فأخذ عنه الفقه والأصول وتفقه على يديه حتى أصبح من خاصة أصحابه. وقد بلغ من مكانته عند الشافعي أن استخلفه في حلقته العلمية، وقدمه على غيره من تلاميذه، حتى عُدَّ وارث مدرسته في مصر.

وقد شهد له العلماء بسعة العلم وقوة الفهم وحسن الاستنباط. وكان معروفًا بالزهد والورع وكثرة العبادة، مع تمسك شديد بالسنة وحرص على اتباع الدليل. ووصفه تلميذه الربيع بن سليمان بأنه لم ير أحدًا أقوى استدلالًا بكتاب الله منه، كما اشتهر بكثرة الذكر وملازمة العبادة وحسن السيرة.[٧]

قال الشافعي: "ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى، وليس أحد من أصحابي أعلم منه". وقال الربيع بن سليمان: "كان البويطي أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى، وما رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي". و كذالك قال أبو الوليد ابن أبي الجارود: "كان البويطي جاري ، فما كنت أنتبه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي".

[٧] الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ط. مؤسسة الرسالة، ص ٥٩.

وتتمثل أهمية الإمام البويطي في كونه أحد الأركان الرئيسة التي قام عليها المذهب الشافعي بعد وفاة مؤسسه. ولما مرض الإمام الشافعي جعل البويطي خليفته في حلقته العلمية ، فكان يفتي ويدرّس مكانه. فقد تولى نشر المذهب وتعليمه في مصر، وحافظ على استمرارية المدرسة الشافعية في وقت مبكر من تاريخها. كما كان له دور مهم في نقل آراء الإمام الشافعي ومسائله إلى الجيل التالي من الفقهاء.

واشتهر الإمام البويطي بثباته في محنة خلق القرآن التي وقعت في العصر العباسي. فقد استُدعي إلى بغداد في عهد الخليفة الواثق، وطُلب منه القول بخلق القرآن، فرفض ذلك وتمسك بما يعتقده حقًا، فحُبس وقُيّد بالحديد سنوات طويلة، وظل صابرًا محتسبًا حتى توفي في محبسه.[٨]

وتوفي الإمام البويطي ببغداد سنة ٢٣١هـ، بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والجهاد في سبيل الحق. وقد خلّف ذكرًا حسنًا بين العلماء، وعدَّه أصحاب التراجم من كبار أئمة الشافعية وأئمة أهل السنة في عصره.[٩]

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام البويطي العلم عن جماعة من علماء عصره، إلا أن أشهر شيوخه وأعظمهم أثرًا فيه هو الإمام الشافعي، الذي لازمه سنوات طويلة وتخرج على يديه. وقد كان من أكثر أصحابه ملازمة له، حتى أصبح المرجع الأول للمذهب في مصر بعد وفاته.

---

[٨] تاج الدين السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى*، ط. دار إحياء الكتب العربية، ج. ٢، ص. ١٦٢.

[٩] الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ط. مؤسسة الرسالة، ج ٢، ص ٥٩.

أما تلاميذه فقد أسهموا في نشر المذهب الشافعي في أجيال لاحقة، وانتقلت عن طريقهم مؤلفاته ورواياته. كما أفاد منه عدد من فقهاء مصر الذين تلقوا عنه علم الشافعي وأقواله.[١٠]

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "مختصر البويطي"[١١] أشهر مؤلفات الإمام البويطي وأهمها، وهو من أقدم المؤلفات الفقهية في المذهب الشافعي. وقد جمع فيه خلاصة مسائل الإمام الشافعي وأقواله، ورتبها بأسلوب موجز يسهل حفظه ودراسته، فكان من الكتب المعتمدة عند الشافعية في القرون الأولى.

كما نُسبت إليه مؤلفات أخرى ذكرتها كتب التراجم، منها "كتاب الصلاة" و"كتاب الصيام" و"كتاب الشروط"، غير أن هذه الكتب لم تشتهر انتشار مختصره، ولم يصل أكثرها إلينا مستقلًا.

وتبرز أهمية مؤلفات البويطي في أنها تمثل مرحلة مبكرة من مراحل تدوين المذهب الشافعي، وتكشف عن الجهود الأولى التي بذلها أصحاب الإمام الشافعي في جمع آرائه وترتيبها. ولهذا يُعد الإمام البويطي أحد أهم أعلام المرحلة الأولى من تاريخ المذهب، وأحد أبرز من أسهموا في تثبيت دعائمه بعد وفاة الإمام الشافعي.

ت. الربيع المرادي (١٧٤–٢٧٠هـ)

هو الإمام أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي المصري الشافعي، أحد كبار أصحاب الإمام الشافعي، وأشهر رواة مذهبه الجديد

---

[١٠] تاج الدين السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى* (ط. دار إحياء الكتب العربية)، ج ٢، ص. ١٦٣

[١١] يُعد كتاب "مختصر البويطي" هو العمل الأشمل الذي يضم مؤلفات الإمام أبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي في الفقه الشافعي. طُبع الكتاب حديثاً محققاً في مجلد واحد يضم (١١٥١) صحيفة، وهو اختصار وترتيب لكتاب "الأم" للإمام الشافعي.

بمصر. ويُعد من أهم الشخصيات التي أسهمت في حفظ تراث الإمام الشافعي ونقله إلى الأجيال اللاحقة، حتى اقترن اسمه برواية كتب الشافعي وأقواله.

وُلِد الربيع بمصر سنة ١٧٤هـ، ونشأ في بيئة علمية صالحة، وعُرف منذ شبابه بحب العلم والعبادة. وقد لازم الإمام الشافعي بعد قدومه إلى مصر ملازمةً وثيقة، فحضر مجالسه ودوّن دروسه، وأخذ عنه الفقه والحديث والأصول، حتى أصبح من أقرب أصحابه إليه. وقد أثنى عليه الإمام الشافعي فقال: "الربيع راويتي"، وهي شهادة تدل على ثقته التامة بأمانته ودقة نقله. وقال أيضا: "ما خدمني أحد قط ما خدمني الربيع بن سليمان" .

واشتهر الإمام الربيع بقوة الحفظ والدقة في الرواية، حتى أصبح المرجع الأول في نقل كتب الشافعي المصريّة، ولا سيما كتاب "الأم" وسائر المصنفات التي أملاها الشافعي في مصر. وقد بلغت منزلته في هذا الباب أن بعض فقهاء المذهب كانوا يقدمون روايته عند اختلاف النقل عن الإمام الشافعي، لما عُرف به من الضبط والإتقان.

ولم يكن الربيع فقيهًا مجتهدًا على طريقة المزني أو البويطي، بل تميز بدور آخر لا يقل أهمية، وهو حفظ المذهب ونقل نصوصه بأمانة ودقة. ولذلك يعده مؤرخو الشافعية أهم رواة الإمام الشافعي، إذ إن جانبًا كبيرًا من تراث الشافعي المصري وصل إلى الأجيال اللاحقة عن طريقه. ولولا رواية الربيع المرادي لضاع جانب كبير من تراث الإمام الشافعي العلمي.

كما كان الربيع من أهل الصلاح والزهد والعبادة، وتولى الأذان بجامع الفسطاط، فاشتهر بلقب شيخ المؤذنين. وقد جمع بين خدمة العلم وخدمة العبادة، وظل ملازمًا للتدريس والرواية ونشر المذهب طوال حياته.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الربيع العلم عن عدد من العلماء، ومن أشهر شيوخه الإمام الشافعي، وعبد الله بن وهب، وغيرهما من علماء مصر في عصره. وقد جمع بين الفقه والحديث، وإن كان اشتهاره الأعظم في رواية تراث الإمام الشافعي.

أما تلاميذه فقد كان من بينهم عدد من كبار المحدثين، ومن أشهر من روى عنه الإمام أبو داود السجستاني، والإمام النسائي، وغيرهما من أئمة الحديث. كما انتشرت رواياته وكتبه في مختلف أقاليم العالم الإسلامي، فكان لها أثر كبير في حفظ المذهب الشافعي ونشره.

مؤلفاته وأعماله العلمية

لم يشتهر الإمام الربيع بكثرة التصنيف على نحو ما اشتهر به المزني والبويطي، بل كانت منزلته الكبرى في رواية كتب الإمام الشافعي ونقلها. وقد وصلت إلينا معظم مؤلفات الشافعي المصرية عن طريق روايته، مما جعله حلقة الوصل الأساسية بين الإمام الشافعي والأجيال اللاحقة من الشافعية.

وتبرز أهمية الربيع المرادي في كونه حافظ المذهب وراوي تراثه الأول، إذ لولا جهوده وجهود أمثاله من أصحاب الشافعي لضاع جانب كبير من نصوص الإمام ومؤلفاته. ولهذا يُعد من أبرز أعلام المرحلة الأولى من تاريخ المذهب الشافعي، وأحد الأركان التي قامت عليها عملية حفظ المذهب ونقله عبر العصور.

وتوفي الإمام الربيع المرادي بمصر في شوال سنة ٢٧٠هـ، بعد حياة حافلة بخدمة العلم ورواية الحديث ونشر مذهب الإمام الشافعي، تاركًا أثرًا علميًا ظل ممتدًا في كتب الفقه والحديث والتراجم إلى يومنا هذا.

ث. الإمام حرملة بن يحيى التجيبي (١٦٦–٢٤٣ أو ٢٤٤هـ)

هو الإمام أبو حفص، وقيل: أبو عبد الله، حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التُّجِيبي المصري، أحد كبار فقهاء الشافعية ومحدثي مصر، ومن أبرز رواة المذهب الجديد عن الإمام الشافعي. جمع بين الفقه والحديث، وكان من أوثق أصحاب الشافعي في نقل أقواله المصرية، كما عُرف بإمامته في رواية حديث الإمام عبد الله بن وهب، حتى عُدَّ أعلم الناس بحديثه.

وُلِد بمصر سنة (١٦٦هـ)، ونشأ في بيت علم وفضل؛ إذ كانت أسرته معروفة بالاشتغال بالحديث، فتهيأت له منذ صغره أسباب التلقي عن كبار علماء مصر. وقد لازم حلقات المحدثين والفقهاء، حتى أصبح من أعلامها، واشتهر بالتحقيق، وحسن الضبط، وسعة الرواية.

كان حرملة من أوثق أصحاب الإمام الشافعي في مصر، ولازمه مدة طويلة، وسمع منه كتبه، وروى مذهبه الجديد، وكان من أكثر أصحابه عنايةً بتدوين أقواله وإملاءاته. كما لازم الإمام عبد الله بن وهب، وأخذ عنه علماً غزيراً، حتى أصبح المرجع الأول في رواية حديثه وكتبه، وقيل: لم يكن بمصر أحد أعلم بحديث ابن وهب من حرملة.

وقد اختلف المحدثون في منزلته من جهة الرواية؛ فوثقه جماعة من الأئمة وأثنوا على علمه وفضله، بينما تكلم بعضهم في حفظه لبعض الأحاديث التي انفرد بها. غير أن جمهور أهل العلم قبلوا روايته، وروى عنه أصحاب الكتب المشهورة، واعتمدوا على مروياته، ولا سيما فيما يتعلق بفقه الإمام الشافعي وحديث ابن وهب.

توفي الإمام حرملة بمصر، واختلف المؤرخون في سنة وفاته؛ فقيل: سنة (٢٤٣هـ)، وهو الذي رجحه البخاري، وقيل: سنة (٢٤٤هـ)، وهو قول طائفة من أصحاب التراجم، رحم الله الإمام رحمة واسعة.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام حرملة العلم عن عدد كبير من أئمة عصره، وفي مقدمتهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الذي لازمه وروى عنه مذهبه الجديد، كما أخذ عن الإمام عبد الله بن وهب، وأكثر من الرواية عنه حتى صار أعلم أصحابه بحديثه. وروى أيضاً عن عبد الله بن بكير، وأبي عبيد القاسم بن سلام، وجماعة من أئمة الحديث والفقه بمصر والعراق.

وأخذ عنه عدد من كبار الحفاظ والمحدثين، من أشهرهم: الإمام مسلم بن الحجاج، وأبو داود السجستاني، وابن ماجه، وبقي بن مخلد الأندلسي، والحسن بن سفيان، وغيرهم. وقد كان لهؤلاء أثر كبير في نشر مروياته وإيصالها إلى الأجيال اللاحقة، حتى أصبحت رواياته من المصادر المهمة في كتب الحديث والفقه.

مؤلفاته وأعماله العلمية

ترك الإمام حرملة آثاراً علمية مهمة في نقل المذهب الشافعي، ومن أشهرها كتاب "المبسوط" وكتاب "المختصر"، وهما من أوائل المصنفات التي دونت فقه الإمام الشافعي الجديد، وقد اشتملا على كثير من إملاءاته وأقواله التي تلقاها عنه مباشرة. ورغم أن هذين الكتابين لم يصلا إلينا مستقلين، فإن فقهاء الشافعية نقلوا عنهما في كتب المذهب، واستفادوا من رواياتهما في تحرير نصوص الإمام الشافعي.

ولم يقتصر أثره على الفقه، بل كان من كبار رواة الحديث، واعتمد عليه أئمة السنة في نقل حديث الإمام عبد الله بن وهب، وأكثر الإمام مسلم من الرواية عنه في "صحيحه"، كما روى عنه أبو داود وابن ماجه وغيرهما. وبذلك جمع حرملة بين خدمة الحديث النبوي، والمحافظة على المذهب الجديد للإمام الشافعي، فكان أحد الأعمدة التي انتقل من خلالها فقه الشافعي إلى الأجيال التالية، وأسهم في تثبيت دعائم المدرسة الشافعية في مصر.

ج. الإمام الربيع بن سليمان الجيزي (ت ٢٥٦هـ)

هو الإمام أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود الأزدي الجيزي المصري، أحد كبار أصحاب الإمام الشافعي، ومن الثقات الحفاظ، ومن أبرز رواة المذهب الشافعي الجديد في مصر. جمع بين الفقه والحديث، واشتهر بالضبط والإتقان، حتى عده أهل الحديث من الثقات الذين يُحتج بروايتهم، وكان له أثر ظاهر في نقل علوم الإمام الشافعي إلى طبقة المحدثين والفقهاء من بعده.[١٢]

وُلِد بمصر بعد سنة (١٨٠هـ)، ونُسب إلى الجيزة حيث أقام واشتهر بها، وعُرف بلقب الأعرج. نشأ في بيئة علمية زاخرة بمجالس الحديث والفقه، ولازم العلماء منذ صغره. وقد ذُكر أنه كان بطيء الفهم في بداية طلبه، إلا أن الإمام الشافعي حثَّه على ملازمة الطلب، والصبر، وكثرة التكرار، حتى أصبح من كبار أهل العلم، في صورة تُبرز أثر المثابرة في تحصيل المعرفة.

لازم الإمام الشافعي في مصر، وأخذ عنه الفقه والحديث، وكان من أصحابه الملازمين، وإن لم تبلغ شهرته في الرواية عن الشافعي شهرة قرينه الربيع بن سليمان المرادي. ومع ذلك فقد كان من الأئمة الذين حفظوا جانباً مهماً من فقه الشافعي، وأسهموا في نشر مذهبه بين المحدثين والفقهاء.

وقد أجمع علماء الجرح والتعديل على توثيقه؛ فذكره ابن يونس المصري في الثقات، ووثقه النسائي والخطيب البغدادي وغيرهما، وروى عنه

---

[١٢] وإذا كان الربيع المرادي هو الراوية الأول لكتب الإمام الشافعي، فإن الربيع الجيزي كان من أبرز الثقات الذين نقلوا علم الشافعي إلى طبقة المحدثين، فاجتمع في شخصه حفظ الحديث وخدمة المذهب، وأسهم مع بقية كبار الرواة في تثبيت المذهب الشافعي في مصر خلال القرن الثالث الهجري.

أصحاب السنن، مما يدل على رسوخ مكانته في علم الحديث، إلى جانب منزلته في الفقه الشافعي.

وعُرف الإمام الربيع الجيزي بالزهد، والتواضع، وحسن الخلق، والصبر على الأذى. ومن أخباره المشهورة أنه مرَّ يوماً في أحد طرق مصر، فأُلقي عليه رماد، فنزل عن دابته، ونفض ثوبه بهدوء، ولم يزد على الدعاء، فكان مثالاً للحلم وكظم الغيظ.

توفي الإمام الربيع الجيزي بمصر في آخر ذي الحجة سنة (٢٥٦هـ)، وقيل: سنة (٢٥٧هـ)، بعد حياة حافلة بالتعليم والرواية، رحمه الله تعالى.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام الربيع الجيزي العلم عن جماعة من كبار أئمة عصره، وفي مقدمتهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الذي أخذ عنه الفقه وأصول المذهب الجديد. كما روى الحديث عن عبد الله بن وهب، وأسد بن موسى، وإسحاق بن بكر بن مضر، وعلي بن الحسن السامي، وغيرهم من أئمة الحديث بمصر.

وقد تخرج عليه عدد من كبار الحفاظ، منهم الإمام أبو داود السجستاني، والإمام النسائي، والإمام أبو جعفر الطحاوي، وأبو بكر بن أبي داود، وجماعة من أئمة الحديث. وأسهم هؤلاء في نشر مروياته في كتب السنة، مما يدل على مكانته المرموقة بين المحدثين.

مؤلفاته وأعماله العلمية

لا تُعرف للإمام الربيع الجيزي مصنفات مستقلة اشتهرت بين أهل العلم، وإنما تجلت منزلته العلمية في الرواية والتعليم، وفي نقل الحديث والفقه عن الإمام الشافعي وغيره من شيوخه. وقد حفظت كتب السنة والتراجم جانباً كبيراً من رواياته، واعتمد عليه أصحاب السنن وغيرهم من الحفاظ.

وكان أثره العلمي بارزاً في نقل المذهب الشافعي إلى طبقة المحدثين، وربط المدرسة الفقهية الشافعية بالحركة الحديثية في مصر خلال القرن الثالث الهجري. وقد أسهمت رواياته، مع روايات بقية أصحاب الشافعي، في حفظ جانب مهم من تراث الإمام، وفي ترسيخ دعائم المدرسة الشافعية في مراحلها الأولى.

ح. الإمام محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (١٨٢–٢٦٨هـ)

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري، أحد كبار فقهاء مصر في القرن الثالث الهجري، ومن أشهر أصحاب الإمام الشافعي بمصر. جمع بين الفقه والحديث، وكان من أهل الاجتهاد والمناظرة، وعُرف بسعة اطلاعه على مذاهب الفقهاء، حتى عُدَّ من أعلام الفقه المقارن في عصره.

وُلِد بمصر سنة (١٨٢هـ)، ونشأ في بيت علم وفضل؛ فوالده الإمام عبد الله بن عبد الحكم كان من كبار أصحاب الإمام مالك، كما كان إخوته من أهل العلم والحديث. وفي هذا الجو العلمي نشأ محباً للفقه، متقناً للحديث، واسع الاطلاع على اختلاف العلماء.

تفقه أولاً على فقهاء المدرسة المالكية، ثم لازم الإمام الشافعي بعد قدومه إلى مصر، فأخذ عنه الفقه وأصول الاستدلال، وتأثر بمنهجه في الاحتجاج بالنصوص، حتى صار من أبرز أصحابه المصريين. وقد جمع بذلك بين معرفة دقيقة بفقه الإمام مالك وفقه الإمام الشافعي، فكان مرجعاً في المقارنة بين المذهبين.

واشتهر الإمام محمد بن عبد الحكم بقوة الذكاء، وسعة المعرفة، وحسن المناظرة، وكان مجلسه مقصداً للعلماء وطلاب الفقه. وقد أثنى عليه الإمام الشافعي، وروي أنه قال فيه: "وددت أن لي ولداً مثله." كما وصفه أئمة التراجم بالفقه، والديانة، وحسن الفهم.

وظل مشتغلاً بالتدريس والإفتاء والرواية حتى توفي بمصر في منتصف ذي القعدة سنة (٢٦٨هـ)، رحمه الله تعالى.

شيوخه وتلاميذه

نشأ الإمام محمد بن عبد الحكم في مدرسة علمية عريقة، فتلقى أول علومه عن والده الإمام عبد الله بن عبد الحكم، كما أخذ عن كبار أصحاب الإمام مالك، وفي مقدمتهم عبد الله بن وهب، وأشهب بن عبد العزيز، وغيرهما من فقهاء مصر.

ثم كانت صحبته للإمام الشافعي من أهم مراحل حياته العلمية؛ فقد لازمه، وسمع منه، واستفاد من طريقته في الاستدلال وتحرير المسائل، حتى أصبح من أبرز أصحابه المصريين، مع محافظته على معرفته الواسعة بفقه المالكية.

وروى عنه عدد من كبار العلماء والمحدثين، منهم الإمام ابن خزيمة، والإمام النسائي، وأبو حاتم الرازي، وغيرهم من أئمة الحديث، مما يدل على مكانته العلمية وثقة أهل عصره به.

مؤلفاته وأعماله العلمية

كان للإمام محمد بن عبد الحكم عناية بالتصنيف والمناظرة، وذكر أصحاب التراجم أنه ألّف كتباً في الفقه والخلاف، تناول فيها مسائل المذهبين المالكي والشافعي، غير أن أكثر مؤلفاته لم تصل إلينا، وبقي أثرها محفوظاً في النقول التي أوردها فقهاء المذهبين في كتبهم.

وتبرز أهميته التاريخية في كونه من أوائل العلماء الذين جمعوا بين فقه الإمام مالك وفقه الإمام الشافعي، وأسهموا في نقل المدرسة الشافعية في مصر خلال جيلها الأول. كما كان مجلسه ملتقىً للفقهاء والمحدثين، وأسهم

من خلال تدريسه وروايته في تخريج جيل من العلماء الذين حملوا علومه إلى الأقاليم الإسلامية المختلفة.

المرحلة الثانية

مرحلة التأصيل والنشر والجمع (٤–٥ هـ)

لمحة عن المرحلة الثانية

شهد المذهب الشافعي في القرنين الرابع والخامس الهجريين مرحلةً جديدة من مراحل تطوره، انتقل فيها من طور الرواية المباشرة عن الإمام الشافعي وأصحابه إلى طور التأصيل والتخريج والنشر والجمع. ففي هذه المرحلة اتسعت دائرة المذهب في مختلف الأقاليم الإسلامية، وظهرت طبقة أصحاب الوجوه، وكثرت المؤلفات الجامعة التي ربطت بين نصوص الإمام الشافعي ومختصرات أصحابه وبين الفروع والتخريجات المستجدة. ولذلك تُعَدُّ هذه الحقبة مرحلة بناء المذهب الشافعي وتثبيت أركانه العلمية بعد عصر التأسيس والرواية.

اعتمد فقهاء هذه المرحلة اعتمادًا كبيرًا على التراث الذي خلفه الإمام الشافعي، وفي مقدمته كتاب "الأم"، كما اعتمدوا على "مختصر المزني" الذي أصبح عمدة التدريس والبحث عند الشافعية، حتى قيل إن عناية الشافعية به بعد كتاب الأم كانت عناية عظيمة، وتتابعت عليه الشروح والتعليقات عبر القرون. كما بقي "مختصر البويطي" من المصادر المهمة لنقل نصوص الإمام الشافعي، ولا سيما في المسائل التي لم ترد في الأم أو احتاجت إلى مزيد بيان.

وفي القرن الرابع الهجري ظهر عدد من الأئمة الذين أسهموا في نشر المذهب خارج مصر والعراق، فازدهرت المدرسة الشافعية في خراسان وما وراء النهر، ونشأت حلقات علمية جديدة كان لها أثر كبير في تطور المذهب. ومن أبرز أعلام هذه المرحلة: ابن سريج (ت ٣٠٦هـ)، وأبو

إسحاق المروزي (ت ٣٤٠هـ)، وأبو علي بن أبي هريرة (ت ٣٤٥هـ)، وأبو حامد الإسفراييني (ت ٤٠٦هـ). وقد عُرف هؤلاء وأتباعهم بالتخريج على نصوص الشافعي، واستخراج الفروع من أصوله، وبناء الوجوه الفقهية على قواعد المذهب.

كما شهدت هذه المرحلة ظهور ما عُرف لاحقًا بمدرستي "العراقيين" و"الخراسانيين". فالعراقيون كانوا أقرب إلى المحافظة على الروايات والنصوص المنقولة عن الأصحاب المتقدمين، بينما توسع الخراسانيون في التفريع والترتيب والتحرير. وقد أسهم التفاعل العلمي بين المدرستين في إثراء المذهب وإحكام بنائه العلمي.

وفي القرن الخامس الهجري بلغت حركة التأليف المذهبي درجة عالية من النضج، فظهرت المؤلفات الموسوعية الكبرى التي جمعت تراث المذهب المتفرق. ومن أبرزها كتاب "الحاوي الكبير" لـ أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، الذي جمع الأقوال والوجوه والخلاف العالي، وكتاب "البحر" لـ الروياني (ت ٥٠٢هـ)، كما ظهرت مؤلفات إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ)، وفي مقدمتها "نهاية المطلب في دراية المذهب" الذي يُعد من أعظم الموسوعات الشافعية وأوسعها مادة.

ومن أبرز سمات هذه المرحلة قوة السلاسل العلمية واتصالها بأصحاب الإمام الشافعي. فالكثير من فقهاء القرن الرابع تلقوا المذهب عن تلامذة المزني والبويطي وابن سريج، ثم انتقلت تلك المعارف إلى أئمة القرن الخامس. وبهذا بقيت الصلة العلمية قائمة بين المؤلفات المتأخرة وكتب الإمام الشافعي الأصلية، ولا سيما الأم ومختصر المزني. وقد أدى ذلك إلى حفظ نصوص المذهب وتوثيقها وإرساء قواعد الترجيح بين الأقوال والروايات.

وعلى الجملة، فإن القرنين الرابع والخامس الهجريين يمثلان عصر التأصيل والنشر والجمع في تاريخ المذهب الشافعي؛ ففيهما استقر البناء العلمي للمذهب، واتسعت دائرة انتشاره، وتكونت مدارسه الإقليمية، وظهرت مؤلفاته الجامعة التي مهدت للمرحلة اللاحقة، وهي مرحلة الاختصار والتهذيب التي بلغت ذروتها في القرن السادس الهجري.

المرحلة الثا نيه	القرون	السمة الغالبة
التأصيل والنشر والجمع	٤–٥هـ	تأصيل أصول المذهب وتوسيع فروعه، وجمع الروايات والأوجه، وظهور طبقة أصحاب الوجوه، وانتشار المذهب في الأقاليم الإسلامية، وتأليف الموسوعات الفقهية الكبرى

تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الثانية

تمثل هذه المرحلة طورًا مهمًا من أطوار تطور المذهب الشافعي؛ إذ انتقل المذهب من مرحلة الرواية ونقل أقوال الإمام الشافعي وأصحابه إلى مرحلة التأصيل والتقرير والجمع. ففي القرنين الرابع والخامس الهجريين برز عدد من الأئمة الذين اعتنوا بجمع مسائل المذهب، وترتيب رواياته، وشرح مختصراته، وتحرير أصوله وقواعده، مما أسهم في ترسيخ بنيانه العلمي واتساع انتشاره في مختلف الأقاليم الإسلامية. كما شهدت هذه المرحلة ظهور المدارس الشافعية الكبرى في العراق وخراسان، ونشوء حركة علمية نشطة في التأليف والتدريس والمناظرة، فظهرت الشروح والتعليقات والكتب الجامعة التي مهدت لمرحلة الاختصار والتهذيب في العصور اللاحقة. وفيما يأتي نبذات موجزة عن أبرز فقهاء الشافعية الذين كان لهم أثر بارز في خدمة المذهب خلال هذه المرحلة.

أ. ابن سريج (٢٤٩-٣٠٦هـ)

هو الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي، الملقب بـ"الباز الأشهب" و"الشافعي الصغير"، أحد أعظم أئمة المذهب الشافعي في القرن الثالث الهجري، ورأس المدرسة الشافعية في العراق بعد أصحاب الإمام الشافعي المباشرين. ويُعد المؤسس الحقيقي لمرحلة التأصيل والنشر والجمع في المذهب، حتى عده كثير من المؤرخين مجدد المذهب الشافعي بعد طبقته الأولى.[١٣]

وُلِد ببغداد سنة ٢٤٩هـ تقريبًا، ونشأ في بيئة علمية ازدهرت فيها علوم الفقه والحديث والكلام. واتجه منذ صغره إلى طلب العلم، فدرس الفقه والحديث والأصول، حتى برز بين أقرانه واشتهر بسرعة الفهم وقوة الحجة وحسن المناظرة.

تلقى الفقه الشافعي عن الإمام أبي القاسم الأنماطي، أحد كبار تلاميذ المزني، فاتصل بذلك بالسلسلة العلمية المتصلة بالإمام الشافعي. ثم لازم العلماء والمحدثين، وسمع الحديث من عدد كبير من شيوخ العراق، فجمع بين فقه الرأي وفقه الأثر، وهي ميزة ظهرت بوضوح في مؤلفاته ومناظراته.

ويُعد ابن سريج من أعظم الشخصيات تأثيرًا في تاريخ المذهب الشافعي؛ إذ انتقل بالمذهب من مرحلة نقل الروايات وحفظ النصوص إلى مرحلة التخريج والاستنباط والتأصيل. ففي عصره ظهر ما عُرف بـ"أصحاب

---

[١٣] ومن الجدير بالملاحظة أن ابن سريج يمثل نقطة التحول بين المرحلتين الأولى والثانية من تاريخ المذهب الشافعي؛ فبعد أن كان اهتمام أصحاب الشافعي منصبًا على رواية أقواله وحفظ نصوصه، انتقل المذهب في عصر ابن سريج إلى مرحلة التأصيل والتخريج وظهور أصحاب الوجوه، وهي المرحلة التي مهدت لظهور الماوردي وإمام الحرمين والغزالي في القرون اللاحقة.

الوجوه"، وهم الفقهاء الذين اجتهدوا داخل المذهب في تخريج الأحكام على أصول الإمام الشافعي، وكان ابن سريج إمام هذه المدرسة بلا منازع.

وقد اشتهر بقوة المناظرة وسعة الاطلاع، وكان من أبرز المدافعين عن المذهب الشافعي في مواجهة المدارس الفقهية الأخرى، ولا سيما في بغداد التي كانت ملتقى المذاهب والاتجاهات الفكرية المختلفة. ولهذا أصبح مرجع الشافعية في العراق، وانتهت إليه رئاسة المذهب في عصره.

وأثرت مدرسته العلمية في أجيال متتابعة من الفقهاء، فخرج منها عدد كبير من الأئمة الذين تولوا نشر المذهب وتأصيله في العراق وخراسان وسائر الأقاليم الإسلامية. ومن خلال تلاميذه بدأت مرحلة جديدة من ازدهار الفقه الشافعي استمرت طوال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عظيمًا؛ فقالوا: "كان أعلم الناس بمذهب الشافعي بعد أصحابه"، ووصفه الذهبي بأنه إمام الشافعية في عصره. كما عُرف بالورع والديانة وحسن السيرة إلى جانب مكانته العلمية الرفيعة.

وتوفي الإمام ابن سريج ببغداد سنة ٣٠٦هـ، بعد حياة حافلة بالتعليم والتأليف والمناظرة. وقد ترك أثرًا بالغًا في تاريخ المذهب الشافعي، حتى عُدَّ حلقة الوصل بين طبقة أصحاب الشافعي وطبقة كبار الأئمة الذين بنوا المذهب في القرون اللاحقة.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام ابن سريج الفقه عن أبي القاسم الأنماطي، تلميذ المزني، كما سمع الحديث من جماعة من الأئمة، منهم الحسن بن محمد الزعفراني، وعباس بن محمد الدوري، وأبو داود السجستاني، وغيرهم من محدثي العراق.

أما تلاميذه فكانوا من كبار أئمة الشافعية في القرن الرابع الهجري، ومن أشهرهم أبو إسحاق المروزي، وأبو علي بن خيران، وأبو بكر الفارسي،

وأبو جعفر الإسفراييني، وغيرهم من الأعلام الذين حملوا المذهب إلى آفاق جديدة وأسهموا في ترسيخ أصوله وفروعه.

مؤلفاته وأعماله العلمية

كان الإمام ابن سريج كثير التصنيف، حتى ذكرت كتب التراجم أن مصنفاته بلغت مئات الأجزاء، غير أن معظمها لم يصل إلينا مستقلًا. وقد حفظت كتب المذهب أسماء عدد كبير من مؤلفاته ونقولها.

ومن أشهر كتبه "شرح مختصر المزني"، و"الودائع"، و"الشروط"، و"أدب القضاء"، و"الفرائض"، و"الفروق"، إضافة إلى مصنفات في أصول الفقه والقياس والإجماع والخلاف الفقهي.

وتبرز أهمية مؤلفات ابن سريج في أنها أرست الأساس العلمي لمدرسة التخريج والأوجه في المذهب الشافعي، ومهدت الطريق لظهور كبار فقهاء القرنين الرابع والخامس الهجريين. ولهذا يُعد من أكثر الشخصيات تأثيرًا في تاريخ المذهب بعد الإمام الشافعي وأصحابه المباشرين.

ب. أبو إسحاق المروزي (٢٧٠-٣٤٠هـ)

هو الإمام العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المروزي الشافعي[١٤]، أحد كبار أئمة المذهب الشافعي في القرن الرابع الهجري، وإمام الطريقة العراقية في عصره، ومن أبرز تلاميذ الإمام أبي العباس ابن سريج. وقد كان له دور بارز في نشر المذهب الشافعي وتحرير مسائله

[١٤] ومن الجدير بالملاحظة أن أبا إسحاق المروزي يُمثل استمرار مدرسة ابن سريج في العراق؛ فكما كان ابن سريج رأس مرحلة التأصيل والتخريج، كان أبو إسحاق من أبرز من نشر تلك المدرسة ورسّخها بين تلاميذه. ومن خلاله انتقلت قيادة المذهب إلى طبقة جديدة من الفقهاء الذين مهدوا لظهور أبي حامد الإسفراييني والماوردي وإمام الحرمين في القرون اللاحقة.

وتخريج فروعه، حتى عُدَّ من أعلام المرحلة الثانية: مرحلة التأصيل والنشر والجمع.

وُلِد بمدينة مرو بخراسان، ونشأ محبًّا للعلم، ثم ارتحل في طلبه إلى العراق، التي كانت آنذاك مركزًا من أهم مراكز الفقه والمناظرة. وهناك تلقى الفقه الشافعي على كبار أئمة المذهب، وفي مقدمتهم الإمام أبو العباس ابن سريج، فتأثر بمنهجه في التخريج والاستنباط، حتى أصبح من أبرز أصحابه وخلفائه.

وقد جمع أبو إسحاق بين الفقه والأصول والمناظرة، واشتهر بقوة الحجة وسعة الاطلاع وحسن النظر في المسائل الفقهية. وكان من كبار أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي، حيث أسهم في تخريج الفروع على أصول الإمام الشافعي، وتوسيع البناء الفقهي للمذهب في عصره.

ولما ذاعت شهرته قصده طلاب العلم من مختلف الأقاليم، فانتشرت طريقته العلمية في العراق وخراسان وغيرها. وقد انتهت إليه رياسة الشافعية في بغداد بعد شيخه ابن سريج، وصار المرجع المعتمد في التدريس والإفتاء والمناظرة.

وتُعد شخصية أبي إسحاق المروزي من الشخصيات المحورية في تاريخ المذهب؛ إذ مثّل حلقة الوصل بين جيل ابن سريج وبين الجيل الذي تلاه من كبار الأئمة، وفي مقدمتهم القاضي أبو حامد المروزي وأبو علي بن أبي هريرة وغيرهما. ومن خلال مدرسته استمر ازدهار الفقه الشافعي في القرن الرابع الهجري.

وقد عُرف بالورع والزهد مع رسوخ العلم، فجمع بين الإمامة في الفقه وحسن السيرة. وظل مشتغلاً بالتعليم والإفادة إلى آخر عمره.

وفي أواخر حياته رحل إلى مصر، وتوفي بها في شهر رمضان سنة ٣٤٠هـ، ودُفن بالقرب من قبر الإمام الشافعي بالقرافة، بعد حياة حافلة بخدمة العلم والمذهب.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام أبو إسحاق المروزي العلم على عدد من كبار علماء عصره، وفي مقدمتهم الإمام أبو العباس ابن سريج، الذي كان أكثر شيوخه تأثيرًا فيه. كما أخذ عن عبدان المروزي، وأبي العباس الإصطخري، وغيرهما من فقهاء الشافعية ومحدثي عصره.

أما تلاميذه فقد كانوا من كبار أئمة المذهب في القرن الرابع الهجري، حتى قيل إن أصحابه بلغوا نحو سبعين إمامًا. ومن أشهرهم أبو زيد المروزي، والقاضي أبو حامد أحمد بن بشر المروزي، وأبو بكر بن الحداد، وغيرهم من الأعلام الذين حملوا المذهب إلى مختلف الأقاليم الإسلامية.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام أبو إسحاق المروزي عددًا من المصنفات المهمة التي اعتمد عليها الشافعية بعده، وإن كان أكثرها قد فُقد مع مرور الزمن. ومن أشهر ما ذكرته كتب التراجم: "شرح مختصر المزني"، وهو من أوائل الشروح الكبرى على المختصر، و"مختصر المختصر"، و"التعليقة"، وكتاب في أصول الفقه يسمى "الفصول في معرفة الأصول"، وكتاب في السنة.

وتبرز أهمية هذه المؤلفات في أنها تمثل مرحلة انتقال المذهب من مجرد نقل الروايات إلى مرحلة التأصيل والتخريج والتفريع. وقد استفاد منها فقهاء القرون اللاحقة، ونقلت كتب المذهب كثيرًا من آرائه واختياراته، مما يدل على المكانة العلمية التي حظي بها داخل المدرسة الشافعية.

ولهذا يُعد أبو إسحاق المروزي أحد الأركان الكبار الذين أسهموا في ترسيخ المذهب الشافعي خلال القرن الرابع الهجري، ومهّدوا الطريق لازدهاره في القرون التالية.

ت. ابن أبي هريرة (٢٤٤-٣٤٥هـ)

هو الإمام القاضي أبو علي الحسن بن الحسين بن أبي هريرة البغدادي الشافعي[١٥]، أحد كبار أئمة المذهب الشافعي في القرن الرابع الهجري، ومن أبرز أصحاب الوجوه الذين أسهموا في توسيع البناء الفقهي للمذهب بعد الإمام ابن سريج. انتهت إليه رياسة الشافعية في بغداد في عصره، وكان مرجعًا في الفقه والفتوى والمناظرة، حتى عُدَّ من أعظم فقهاء المذهب في زمانه.

وُلِد في بغداد ونشأ في بيئة علمية زاخرة بالفقهاء والمحدثين، فحفظ العلوم منذ صغره، وأقبل على دراسة الفقه الشافعي حتى برع فيه. وتتلمذ على كبار أئمة المذهب، وفي مقدمتهم الإمام أبو العباس ابن سريج، كما أخذ عن أبي إسحاق المروزي وغيره من فقهاء عصره، فجمع بين دقة الرواية وقوة الاستنباط.

وقد اشتهر ابن أبي هريرة بسعة العلم وقوة النظر، وكان من كبار أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي؛ أي من الفقهاء الذين خرّجوا الأحكام على أصول الإمام الشافعي واستنبطوا مسائل جديدة وفق قواعد المذهب. ولذلك كثر نقل آرائه ووجوهه في كتب الشافعية، واعتمدها المتأخرون في مواطن كثيرة من الفقه.

ولم تقتصر مكانته على الفقه وحده، بل كان إمامًا في المناظرة والجدل العلمي، يُرجع إليه في المشكلات الفقهية والدقائق الأصولية. وقد أسهم مع

---

[١٥] ومن الجدير بالملاحظة أن ابن أبي هريرة يُعد من أبرز أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي؛ فقد انتقل المذهب في عصره من مجرد نقل الروايات إلى مرحلة التخريج والتفريع الواسع على أصول الإمام الشافعي. ولذلك تكثر الإحالة إلى "وجه ابن أبي هريرة" في كتب الفقه الشافعي المتقدمة، مما يدل على مكانته الكبيرة في بناء المذهب خلال القرن الرابع الهجري.

معاصريه في ترسيخ المدرسة العراقية للمذهب الشافعي، التي كانت تمثل أحد أهم مراكز الفقه الشافعي في القرن الرابع الهجري.

وكان موصوفًا بالذكاء وقوة الحفظ والورع، وقد اجتمع له العلم والعمل، فالتف حوله طلاب العلم وانتفعوا به، وأصبح مجلسه من أشهر مجالس الفقه في بغداد.

وظل مشتغلًا بالتدريس والإفتاء إلى أن توفي سنة ٣٤٥هـ، بعد حياة حافلة بخدمة المذهب الشافعي. وقد ترك أثرًا عميقًا في مسيرة الفقه الشافعي، وأسهم في إعداد الجيل الذي حمل المذهب إلى مرحلة جديدة من النضج والانتشار.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام ابن أبي هريرة الفقه عن كبار شيوخ الشافعية في عصره، وفي مقدمتهم الإمام أبو العباس ابن سريج، كما أخذ عن أبي إسحاق المروزي وجماعة من فقهاء بغداد وخراسان.

أما تلاميذه فقد كانوا من كبار علماء القرن الرابع الهجري، ومن أشهرهم أبو علي الطبري صاحب كتاب "الإفصاح"، والإمام الحافظ الدارقطني الذي انتفع بمجالسه، وغيرهما من الأئمة الذين نقلوا فقهه وآراءه إلى الأجيال اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

ذكر أصحاب التراجم أن لابن أبي هريرة عددًا من المصنفات الفقهية، كان أشهرها "شرح مختصر المزني"، وهو من الشروح المبكرة المهمة التي أسهمت في بيان مسائل المذهب وتوسيع مباحثه الفقهية.

كما نُسبت إليه مؤلفات في الفروع الفقهية والمسائل الخلافية، وكان له اهتمام ظاهر بالتخريج وبناء الوجوه الفقهية على أصول المذهب. إلا أن معظم

مؤلفاته لم تصل إلينا مستقلة، وبقي أثرها محفوظًا في النقول الكثيرة التي أوردها أصحاب المذهب في كتب الفقه والطبقات.

وتظهر أهمية أعمال ابن أبي هريرة في أنه كان من أبرز ممثلي مدرسة التخريج والأوجه في المذهب الشافعي، وقد أسهمت آراؤه واجتهاداته في إثراء الفقه الشافعي وتوسيع دائرته العلمية. ولهذا يُعد من أهم الشخصيات التي مهدت لظهور أئمة المرحلة اللاحقة، وفي مقدمتهم أبو حامد الإسفراييني والماوردي وإمام الحرمين.

ث. الإسفراييني (٣٤٤–٤٠٦هـ)

هو الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني الشافعي[١٦]، أحد أعظم أئمة المذهب الشافعي في القرن الرابع الهجري، وإمام الشافعية ببغداد، ورئيس الطريقة العراقية في الفقه الشافعي. انتهت إليه رئاسة المذهب في عصره، فكان المرجع الأعلى للفتوى والتدريس والمناظرة، حتى عُدَّ من كبار المجددين الذين أسهموا في ترسيخ المذهب ونشره.

وُلِد بمدينة إسفرايين بخراسان سنة ٣٤٤هـ، ونشأ محبًّا للعلم، فأقبل على دراسة الفقه والحديث والأصول منذ صغره. ثم ارتحل إلى بغداد، التي كانت آنذاك عاصمة العلم ومجمع كبار الفقهاء والمتكلمين والمحدثين، فاستقر بها وأخذ عن أئمة الشافعية حتى برز في الفقه والمناظرة.

---

[١٦] ومن الجدير بالملاحظة أن أبا حامد الإسفراييني يمثل ذروة المدرسة العراقية في المذهب الشافعي خلال القرن الرابع الهجري؛ فكما كان ابن سريج مؤسس مرحلة التأصيل والتخريج، كان أبو حامد أبرز من استكمل بناء تلك المدرسة ونشرها. ومن خلال تلاميذه، ولا سيما الماوردي، انتقل المذهب إلى مرحلة جديدة من النضج والتوسع العلمي في القرن الخامس الهجري.

تفقه على كبار أصحاب المدرسة العراقية، ولا سيما أبي الحسن بن المرزبان، وأبي القاسم الداركي، حتى أصبح إمام الشافعية في بغداد بلا منازع. وقد اشتهر بقوة الحفظ، ودقة النظر، وسعة الاطلاع على مذاهب الفقهاء، مما جعله مرجعًا لأهل الفتوى والقضاء.

وكان مجلسه العلمي من أشهر مجالس بغداد، حتى ذكر أصحاب التراجم أن مئات من الفقهاء والمتفقهة كانوا يحضرون دروسه، وأنه كان يخرّج العلماء جيلاً بعد جيل. ولذلك عُدَّ من أعظم المؤثرين في مسيرة المذهب الشافعي خلال القرن الرابع الهجري.

وقد برز أبو حامد في تحرير مسائل المذهب وتفريعها، وكان من كبار أصحاب الوجوه الذين أسهموا في تطوير البناء الفقهي للشافعية. واعتمد فقهاء العراق على آرائه وتخريجاته، حتى أصبحت طريقته أساس المدرسة العراقية التي انتقلت آثارها إلى الأجيال اللاحقة.

ولم تقتصر مكانته على الفقه وحده، بل كان من المدافعين عن عقيدة أهل السنة والجماعة، واشتهر بمواجهة المعتزلة وأهل البدع بالحجة والبرهان، فجمع بين الإمامة في الفقه والذب عن العقيدة السنية.

وكان معروفًا بالزهد والورع والهيبة، مع شدة التواضع وكثرة العبادة. وقد نال منزلة رفيعة عند العلماء والعامة على السواء، حتى صار يُلقب بشيخ الإسلام، وهو لقب لم يكن يُمنح إلا لكبار الأئمة.

توفي الإمام أبو حامد الإسفراييني ببغداد سنة ٤٠٦هـ، بعد حياة حافلة بالتعليم والإفتاء والتأليف. وشُيّع في جنازة عظيمة حضرها العلماء والفقهاء وطلاب العلم، وبوفاته فقد المذهب الشافعي أحد أكبر أئمته في القرن الرابع الهجري.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام أبو حامد الإسفراييني العلم عن عدد من كبار فقهاء الشافعية، وفي مقدمتهم أبو الحسن بن المرزبان، وأبو القاسم الداركي، وغيرهما من أئمة المدرسة العراقية.

أما تلاميذه فكانوا من كبار أعلام المذهب في القرن الخامس الهجري، ومن أشهرهم الإمام الماوردي صاحب "الحاوي الكبير"، وأبو الطيب الطبري، والقاضي أبو علي بن أبي هريرة الصغير، وجماعة من الأئمة الذين حملوا المذهب إلى مختلف الأقاليم الإسلامية. وقد أصبحت مدرسته أساسًا لكثير من المدارس الشافعية اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام أبو حامد عددًا من المؤلفات المهمة في الفقه والأصول، أشهرها "التعليقة الكبرى"، وهي من أعظم كتب المدرسة العراقية، وقد بسط فيها مسائل المذهب الشافعي وأقوال الفقهاء وأوجه الخلاف والتخريج.

كما ألّف شرحًا على "مختصر المزني"، وكان من المراجع المهمة التي اعتمد عليها فقهاء العراق في دراسة المذهب وتدريسه. وقد استفاد من مصنفاته كبار الشافعية في القرنين الخامس والسادس الهجريين، ونقلت كتب المذهب كثيرًا من آرائه وتحريراته.

وتبرز أهمية أعمال أبي حامد الإسفراييني في أنها تمثل مرحلة النضج العلمي للمذهب الشافعي بعد جهود ابن سريج وأبي إسحاق المروزي، وقد مهدت الطريق لظهور أعلام كبار مثل الماوردي وإمام الحرمين الجويني. ولهذا يُعد أحد أهم الشخصيات في تاريخ المدرسة العراقية الشافعية.

ج. الماوردي (٣٦٤–٤٥٠هـ)

هو الإمام العلامة القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي[١٧]، أحد كبار أئمة المذهب الشافعي في القرن الخامس الهجري، وفقيه العراق وقاضيها، ومن أعظم علماء السياسة الشرعية في التراث الإسلامي. جمع بين الفقه والأصول والتفسير والأدب والسياسة، حتى عُدَّ من أبرز الشخصيات العلمية في العصر العباسي.

وُلِد بمدينة البصرة سنة ٣٦٤هـ، ونُسب إلى بيع ماء الورد، فقيل له: الماوردي. نشأ في بيئة علمية مزدهرة، فحفظ العلوم منذ صغره، وأقبل على دراسة الفقه والحديث واللغة العربية، ثم ارتحل إلى بغداد، التي كانت آنذاك مركز الخلافة والعلم، فاستكمل بها تحصيله العلمي حتى برز بين أقرانه.

تفقه الماوردي على كبار أئمة الشافعية، وفي مقدمتهم شيخ الشافعية أبو حامد الإسفراييني، كما أخذ عن أبي القاسم الصيمري وغيره من فقهاء العراق. وقد تأثر بالمدرسة العراقية الشافعية وتأثر بها، حتى أصبح من أعظم ممثليها في القرن الخامس الهجري.

ولما ظهرت مكانته العلمية، تولى القضاء في عدد من المدن، ثم ارتقى إلى المناصب العليا في الدولة العباسية، حتى لُقِّب بـ"أقضى القضاة". كما عهد إليه الخلفاء والسلاطين بمهام سياسية ودبلوماسية دقيقة، فكان وسيطًا بين الخلفاء العباسيين وأمراء بني بويه وغيرهم من أصحاب النفوذ، مما أكسبه خبرة واسعة في شؤون الحكم والإدارة.

---

[١٧] ومن الجدير بالملاحظة أن الإمام الماوردي يمثل مرحلة النضج الموسوعي للمذهب الشافعي؛ فبعد جهود ابن سريج وأبي إسحاق المروزي وأبي حامد الإسفراييني في التأصيل والتخريج، جاء الماوردي فجمع تراث المدرسة العراقية في مصنفات موسوعية كبرى، وعلى رأسها "الحاوي الكبير"، الذي يُعد من أهم المراجع الفقهية في تاريخ المذهب الشافعي.

وقد انعكست هذه الخبرة العملية في مؤلفاته، ولا سيما في كتب السياسة الشرعية، حيث جمع بين النظر الفقهي والخبرة الواقعية. ولهذا يُعد من أوائل من وضعوا مؤلفات منهجية متكاملة في فقه الدولة والنظام السياسي الإسلامي.

أما في الفقه الشافعي، فقد كان الماوردي من كبار المحققين وأصحاب الوجوه، وأسهم في جمع أقوال المذهب وترتيبها وتحريرها. وقد مثّلت مؤلفاته مرحلة متقدمة من مراحل نضج المذهب الشافعي، وجمعت تراث المدرسة العراقية في صورة موسوعية واسعة.

وكان الإمام الماوردي معروفًا بالعلم والوقار والزهد وحسن السيرة، مع علو المنزلة عند الخلفاء والعلماء. وقد استمر في التدريس والتأليف والقضاء حتى أواخر حياته.

توفي ببغداد في آخر شهر ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ، بعد عمر حافل بالعلم والقضاء والتأليف. وقد خلف تراثًا علميًا ضخمًا ظل مرجعًا للفقهاء والسياسيين والمفكرين عبر القرون.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام الماوردي الفقه الشافعي عن كبار أئمة عصره، ومن أشهر شيوخه أبو حامد الإسفراييني، وأبو القاسم الصيمري، وأبو محمد عبد الله بن محمد البافي، كما سمع الحديث من جماعة من المحدثين.

أما تلاميذه فقد انتفع به عدد من العلماء والفقهاء، ومن أشهرهم الحافظ الخطيب البغدادي صاحب "تاريخ بغداد"، كما روى عنه جماعة من أهل العلم الذين حملوا تراثه الفقهي والسياسي إلى الأجيال اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام الماوردي مؤلفات كثيرة في الفقه والسياسة والتفسير والأدب، ومن أشهرها كتاب "الحاوي الكبير"، وهو من أعظم الموسوعات الفقهية في المذهب الشافعي، جمع فيه أقوال الشافعية وأدلتهم والخلاف الفقهي بين المذاهب، ويُعد من أهم مصادر المذهب عبر العصور.

ومن أشهر كتبه أيضًا "الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، وهو من أهم المؤلفات الإسلامية في السياسة الشرعية ونظام الحكم والإدارة العامة. كما ألّف "أدب الدنيا والدين" الذي جمع فيه بين الحكمة والأخلاق والآداب الإسلامية، وكتاب "قوانين الوزارة"، وكتاب "النكت والعيون" في التفسير.

وتبرز أهمية مؤلفات الماوردي في أنها جمعت بين الفقه النظري والخبرة العملية، وبين علوم الشريعة وشؤون الدولة. ولهذا يُعد من أكثر علماء الشافعية تأثيرًا في الفقه والسياسة الشرعية، ومن أبرز الشخصيات التي مهدت لظهور المدرسة الشافعية الكبرى في القرن الخامس الهجري.

ح. القاضي حسين المروزي (٤٣٦-٤٦٢هـ)

هو الإمام أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي، المعروف بالقاضي حسين، أحد كبار أئمة المذهب الشافعي في القرن الخامس الهجري، وشيخ الشافعية بخراسان، ومن أبرز أصحاب الوجوه في المذهب. عُرف بسعة علمه، وقوة استنباطه، ودقة نظره في الفروع الفقهية، حتى لقبه العلماء بـ"حبر المذهب" و"غواص الدقائق".

وُلِد بمرو الروذ من أعمال خراسان، ونشأ في بيئة علمية مزدهرة، فأقبل على دراسة الفقه والحديث منذ صغره. وتتلمذ على كبار علماء عصره، حتى أصبح المرجع الأول للشافعية في خراسان، وانتهت إليه الرياسة العلمية والفتوى في بلاده.

احتل القاضي حسين مكانة رفيعة في تاريخ المذهب الشافعي؛ إذ كان من كبار أصحاب الوجوه الذين أسهموا في تنمية المذهب وتفريع مسائله بعد عصر الأصحاب المتقدمين. وقد امتاز بقدرة كبيرة على تحرير الفروع الفقهية وتخريج المسائل، حتى أصبحت آراؤه واختياراته معتمدة عند كثير من المتأخرين.

وكان مع جلالة قدره في الفقه يتولى القضاء، ويجمع بين التدريس والإفتاء والتصنيف. واشتهر بالورع والهيبة وحسن السيرة، فقصده طلاب العلم من مختلف أقاليم خراسان وما وراء النهر، وأصبح مجلسه من أهم المجالس العلمية في عصره.

وتبرز أهمية القاضي حسين في كونه أحد أهم الحلقات العلمية التي انتقل من خلالها المذهب الشافعي إلى مرحلة النضج والتهذيب؛ فقد اعتمد عليه كبار فقهاء القرن الخامس والسادس، وفي مقدمتهم إمام الحرمين الجويني، وأبو حامد الغزالي، وأبو سعد المتولي، والحسين بن مسعود البغوي، وغيرهم من أئمة المذهب.

توفي القاضي حسين في شهر المحرم سنة ٤٦٢هـ، بعد حياة حافلة بالتعليم والتأليف والإفتاء والقضاء، تاركًا أثرًا بالغًا في تطور الفقه الشافعي ومدرسته الخراسانية.

شيوخه وتلاميذه

تفقه القاضي حسين على الإمام أبي بكر القفال المروزي، ولازمه حتى صار من أبرز تلاميذه وأكثرهم نبوغًا. كما أخذ عن جماعة من علماء خراسان في الفقه والحديث والأصول.

أما تلاميذه فقد كانوا من كبار أئمة المذهب، وفي مقدمتهم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، الذي تلقى عنه الفقه قبل أن يتصدر للإمامة في عصره.

ومن تلاميذه كذلك أبو سعد المتولي، ومحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي، وغيرهم من أئمة الشافعية الذين أسهموا في نشر المذهب وتطويره.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "التعليقة الكبرى" أشهر مؤلفات القاضي حسين، وهو شرح واسع على "مختصر المزني"، ويُعد من أهم مصادر المذهب الشافعي في القرن الخامس الهجري. وقد اعتمد عليه فقهاء خراسان اعتمادًا كبيرًا، ونقل عنه إمام الحرمين والغزالي والبغوي وغيرهم.

وله كذلك كتاب "الفتاوى"، وهو من أشهر كتب الفتاوى في المذهب، جمع فيه اختياراته الفقهية وأجوبته عن النوازل والمسائل العملية. كما نُسبت إليه مؤلفات أخرى في الفقه والخلاف والأصول، غير أن كثيرًا منها لم يصل إلينا مستقلاً.

وقد ظل أثر القاضي حسين حاضرًا في كتب المذهب قرونًا طويلة؛ إذ اعتمد المتأخرون على نقوله وترجيحاته، وأصبحت آراؤه إحدى اللبنات الأساسية التي قام عليها البناء الفقهي للشافعية في مرحلة الاختصار والتهذيب.[١٨]

خ. الجويني (٤١٩–٤٧٨هـ)

هو الإمام العلامة أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الشافعي[١٩]، الملقب بإمام الحرمين، أحد أعظم أئمة الشافعية في القرن الخامس الهجري، وإمام عصره في الفقه وأصول الفقه وعلم الكلام. ويُعد من أبرز الشخصيات العلمية التي أسهمت في تطوير المذهب الشافعي

[١٨] يُلاحظ أن القاضي حسين يمثل حلقة علمية مركزية في المذهب الشافعي؛ فقد أخذ عن القفال المروزي، ثم أخذ عنه إمام الحرمين الجويني، وأخذ عن الجويني الغزالي، ثم انتقلت آثار هذه المدرسة إلى الرافعي والنووي. ولذلك يمكن النظر إلى القاضي حسين بوصفه أحد أهم الجسور العلمية التي انتقلت عبرها المدرسة الخراسانية إلى الأجيال اللاحقة من فقهاء المذهب.

[١٩]

ونقله إلى مرحلة جديدة من النضج والتأصيل، كما يُعد أحد كبار أئمة المدرسة الأشعرية.

وُلِد بمدينة جوين من أعمال نيسابور سنة ٤١٩هـ، ونشأ في بيت علم وفضل؛ فوالده أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني كان من كبار فقهاء الشافعية في خراسان. حفظ العلوم منذ صغره، وأخذ الفقه والأصول عن والده حتى برع فيهما وهو لا يزال شابًا.

وبعد وفاة والده جلس للتدريس والإفتاء وهو في سن مبكرة، فظهرت عليه علامات النبوغ وسعة العلم. غير أن الظروف السياسية والعقدية التي شهدتها خراسان في عصره دفعته إلى مغادرة نيسابور، فرحل إلى الحجاز وأقام بمكة المكرمة والمدينة المنورة عدة سنوات، يدرّس ويفتي ويناظر العلماء، ومن هنا اشتهر بلقب "إمام الحرمين".

ثم عاد إلى نيسابور بعد استقرار الأوضاع في عهد الوزير نظام الملك السلجوقي، فعهد إليه بالتدريس في المدرسة النظامية، وهي أعظم مؤسسة علمية في عصرها. وهناك بلغت شهرته الآفاق، وأصبح مقصدًا للطلاب والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

وقد جمع إمام الحرمين بين التبحر في الفقه الشافعي والرسوخ في أصول الفقه والكلام، فكان صاحب منهج علمي يقوم على الجمع بين النصوص الشرعية والنظر العقلي المنضبط. وقد أسهم في تطوير البحث الأصولي والكلامي، وأصبح مرجعًا لأهل السنة في عصره.

وتبرز أهميته في تاريخ المذهب الشافعي من خلال كتابه العظيم "نهاية المطلب"، الذي جمع فيه فقه المذهب وأقوال أئمته وأوجهه الفقهية في صورة

موسوعية محكمة. وقد أصبح هذا الكتاب الأساس الذي بنى عليه الغزالي مؤلفاته الفقهية، ثم انتقل أثره إلى الرافعي والنووي في القرون اللاحقة.

وكان إمام الحرمين قوي الحجة، حاضر الذهن، واسع الاطلاع، مشهورًا بالمناظرات العلمية. وقد اجتمع له من التلاميذ ما لم يجتمع لكثير من علماء عصره، فخرجت من مدرسته نخبة من كبار الأئمة الذين حملوا علومه إلى الأجيال التالية.

وفي أواخر حياته أصابته علة شديدة، فتوفي في نيسابور ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٤٧٨هـ. وقد عمّ الحزن البلاد لوفاته، وأغلقت الأسواق يوم جنازته، وحضرها العلماء والفقهاء وطلاب العلم، تقديرًا لمكانته العلمية الفريدة.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام الجويني علومه الأولى على يد والده أبي محمد الجويني، فأخذ عنه الفقه والأصول والخلاف. كما أخذ عن عدد من كبار علماء نيسابور وخراسان، ومن أبرزهم أبو القاسم الإسفراييني، وأئمة المدرسة الأشعرية في عصره.

أما تلاميذه فقد كانوا من أعلام الإسلام، وفي مقدمتهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، الذي لازم شيخه سنوات طويلة وتأثر بمنهجه في الفقه والأصول والكلام. ومن تلاميذه أيضًا إلكيا الهراسي، وأبو القاسم الأنصاري، وجماعة من كبار فقهاء الشافعية وأصولييهم.

وقد كان لهؤلاء التلاميذ دور كبير في نشر علوم إمام الحرمين وترسيخ منهجه في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، مما جعل تأثيره يمتد قرونًا طويلة بعد وفاته.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف إمام الحرمين تراثًا علميًا ضخمًا في الفقه والأصول والعقيدة والسياسة الشرعية، ويُعد كتاب "نهاية المطلب في دراية المذهب"[٢٠] أعظم مؤلفاته الفقهية، وهو موسوعة كبرى في الفقه الشافعي تمثل ذروة المدرسة الخراسانية في المذهب.

وفي أصول الفقه ألّف كتاب "البرهان في أصول الفقه"، وهو من أمهات كتب الأصول عند الشافعية، وقد اعتمد عليه الغزالي ومن جاء بعده. كما ألّف رسالته المختصرة "الورقات" التي أصبحت أشهر متن تعليمي في أصول الفقه عبر القرون.

وفي العقيدة والكلام ألّف كتاب "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد"، وكتاب "الشامل في أصول الدين"، وهما من أهم مؤلفات المدرسة الأشعرية. كما ألّف كتاب "غياث الأمم في التياث الظلم" في السياسة الشرعية، تناول فيه قضايا الإمامة وإدارة الدولة والأزمات السياسية.

وتكمن أهمية أعمال إمام الحرمين في أنها جمعت بين عمق الفقه ودقة الأصول وقوة النظر الكلامي، وشكلت الأساس الذي قامت عليه المدرسة الشافعية في القرون اللاحقة. ولهذا يُعد أحد أكثر الشخصيات تأثيرًا في تاريخ المذهب الشافعي بعد الإمام الشافعي نفسه.

---

[٢٠] ومن الجدير بالملاحظة أن كتاب "نهاية المطلب" لإمام الحرمين يمثل حلقة مركزية في تطور المذهب الشافعي؛ فقد اختصره تلميذه الغزالي في "البسيط"، ثم هذبه في "الوسيط"، ثم اختصره في "الوجيز"، ومنها انطلقت سلسلة من المختصرات والشروح انتهت إلى الرافعي والنووي. ولذلك يُعد إمام الحرمين أحد أهم الجسور العلمية بين مرحلة التأصيل في القرن الخامس ومرحلة التحرير الكبرى في القرنين السابع والثامن الهجريين.

د. أبو سعد المتولي (٤٢٦–٤٧٨هـ)

هو الإمام أبو سعد عبد الرحمن بن مأمون بن علي النيسابوري الأبيوردي، المعروف بالمتولي، أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن الخامس الهجري، ومن أبرز أصحاب الوجوه في المذهب. جمع بين الفقه والأصول والخلاف والمناظرة، واشتهر بدقة النظر وقوة الاستنباط، حتى عُدَّ من أعمدة المدرسة الخراسانية في الفقه الشافعي.

وُلِد بمدينة أبيورد من أعمال خراسان سنة ٤٢٦هـ تقريباً، ونشأ في بيئة علمية ازدهرت فيها حلقات الفقه والحديث. وأقبل منذ صغره على طلب العلم، فرحل بين حواضر خراسان وما وراء النهر، ولازم كبار الشافعية حتى بلغ منزلة رفيعة في الفقه والأصول.

تفقه المتولي على أكابر علماء عصره، وبرع في تحرير مسائل المذهب وتخريج الفروع على الأصول، حتى صار من كبار أصحاب الوجوه الذين اعتمدت أقوالهم داخل المذهب الشافعي. وقد وصفه أصحاب التراجم بالإمام الكبير والفقيه المحقق، وأثنوا على قوة مناظرته وسعة اطلاعه.

وكان المتولي من أبرز ممثلي المدرسة الخراسانية بعد شيخه القاضي حسين المروزي، فأسهم في استكمال جهود الجيل السابق في تهذيب المذهب وتحرير مسائله. وقد انتفع بكتبه وآرائه كبار الأئمة الذين جاؤوا بعده، ولا سيما إمام الحرمين الجويني والغزالي ومن تبعهما من فقهاء الشافعية.

جمع الإمام المتولي بين العلم والعمل، وعُرف بحسن السيرة والوقار والتواضع، كما اشتهر بمهارته في المناظرة والبحث الفقهي. وكانت له مكانة مرموقة بين علماء عصره، حتى أصبح مرجعاً للفتوى والتدريس في المذهب.

توفي الإمام أبو سعد المتولي ببغداد سنة ٤٧٨هـ، بعد حياة حافلة بالتعليم والتصنيف وخدمة المذهب الشافعي، تاركاً آثاراً علمية ظلت معتمدة عند الفقهاء قروناً طويلة.

شيوخه وتلاميذه

تلقى المتولي العلم على عدد من كبار فقهاء خراسان، وفي مقدمتهم الإمام القاضي حسين المروزي، الذي كان له أعظم الأثر في تكوينه العلمي والفقهي. كما أخذ عن الإمام أبي نصر الفوراني، وعن جماعة من علماء خراسان في الفقه والأصول والحديث.

أما تلاميذه فقد انتفع به عدد من علماء عصره وطلاب المذهب، وانتشرت آراؤه ومصنفاته في الأوساط العلمية بخراسان والعراق. وقد كان لكتبه أثر بالغ في تكوين الجيل اللاحق من فقهاء الشافعية، حتى أصبحت مرجعاً أساسياً للمحققين والمتأخرين.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "التتمة" أشهر مؤلفات الإمام المتولي وأعظمها أثراً. وهو كتاب موسوعي في الفقه الشافعي يُعد استكمالاً لكتاب "الإبانة" لأبي نصر الفوراني، وقد توسع فيه المؤلف توسعاً كبيراً، فجمع مسائل المذهب ووجوه الأصحاب وتفريعاتهم، حتى صار من أهم مصادر الفقه الشافعي في القرن الخامس الهجري.[٢١]

[٢١] ومن اللافت أن كتاب "التتمة" للمتولي كان أحد المصادر الكبرى التي اعتمد عليها إمام الحرمين الجويني في "نهاية المطلب"، ثم انتقلت مادته العلمية إلى الغزالي في "البسيط" و"الوسيط" و"الوجيز"، ومنها إلى الرافعي والنووي. وبذلك يمثل المتولي حلقة مهمة في السلسلة الفقهية التي تشكل منها المذهب الشافعي المعتمد في العصور اللاحقة.

وقد اعتمد على "التتمة" كبار أئمة المذهب بعده، وفي مقدمتهم إمام الحرمين الجويني في "نهاية المطلب"، والإمام الغزالي في كتبه الفقهية، ثم الرافعي والنووي في مرحلة التحرير والاعتماد.

ونُسبت إليه كذلك مصنفات في أصول الفقه والخلاف والمناظرة والفرائض، تدل على سعة علمه وتنوع معارفه. ورغم أن كثيراً من هذه المؤلفات لم يصل إلينا كاملاً، فإن أثرها باقٍ في النقول الكثيرة التي حفظتها كتب المذهب والتراجم.

ويُعد المتولي أحد أبرز الشخصيات التي أسهمت في انتقال المذهب الشافعي من مرحلة التأصيل والنشر إلى مرحلة الاختصار والتهذيب، إذ مثّلت كتبه وآراؤه حلقة مهمة في السلسلة العلمية التي انتهت إلى إمام الحرمين والغزالي، ثم إلى الرافعي والنووي في القرون اللاحقة.

ذ. الشيرازي (٣٩٣- ٤٧٦هـ)

هو الإمام العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي الشافعي، أحد أعظم أئمة المذهب الشافعي في القرن الخامس الهجري، وفقيه العراق وإمام الشافعية في عصره. عُرف بسعة العلم، وقوة الحفظ، وكثرة العبادة، وحسن التصنيف، حتى صار من أشهر علماء المذهب وأوسعهم تأثيرًا في تاريخ الفقه الشافعي.

وُلِد بمدينة فيروزآباد بإقليم فارس سنة ٣٩٣هـ، ونشأ في أسرة متواضعة، وأقبل على طلب العلم منذ صغره. حفظ القرآن الكريم، ودرس العلوم العربية والشرعية، ثم ارتحل إلى البصرة وبغداد طلبًا للعلم، كما كانت عادة العلماء في عصره.

تلقى الفقه الشافعي على كبار أئمة المذهب، حتى برع فيه وأصبح من كبار المناظرين والفقهاء. وقد اشتهر بقوة الذكاء وسرعة الفهم وحسن الاستنباط،

فتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد، وأصبح من أبرز علماء المدرسة النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك.

ولما افتُتحت المدرسة النظامية ببغداد، اختير أبو إسحاق ليكون أول من جلس للتدريس فيها، فاجتمع عليه الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وانتشرت مؤلفاته انتشارًا واسعًا، وأصبحت معتمدة في التدريس والبحث الفقهي.

وكان أبو إسحاق معروفًا بالزهد والورع والتواضع، مع علو المنزلة العلمية. وقد جمع بين قوة الفقه وحسن الخلق وكثرة العبادة، فحظي باحترام العلماء والعامة على السواء.

ويُعد من أبرز الشخصيات التي أسهمت في انتقال المذهب الشافعي من مرحلة التأصيل والتخريج إلى مرحلة الاختصار والتهذيب والتنظيم العلمي. وقد ظلت كتبه معتمدة في حلقات العلم والمدارس الإسلامية لقرون طويلة.

توفي الإمام أبو إسحاق الشيرازي ببغداد سنة ٤٧٦ هـ، وشيّعه خلق كثير من العلماء والطلاب والعامة، بعد حياة حافلة بالتعليم والتأليف وخدمة المذهب الشافعي.

شيوخه وتلاميذه

أخذ أبو إسحاق الفقه عن عدد من كبار الشافعية، ومن أشهر شيوخه أبو الطيب الطبري، وأبو حامد الإسفراييني بواسطة أصحابه ومدرسته العلمية، كما أخذ عن جماعة من أئمة العراق وخراسان.

أما تلاميذه فقد كانوا من كبار علماء المذهب في القرن الخامس الهجري، وانتشرت آراؤه وكتبه في مختلف المدارس الشافعية. ومن أشهر من تأثر به الإمام أبو الوفاء ابن عقيل، وجماعة من فقهاء بغداد وخراسان، كما استفاد من كتبه أجيال متتابعة من علماء الشافعية.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "المهذب في فقه الإمام الشافعي" أشهر مؤلفات أبي إسحاق الشيرازي، وهو من أهم متون المذهب الشافعي عبر تاريخه. امتاز بحسن الترتيب ووضوح العبارة ودقة عرض المسائل، مما جعله من أكثر الكتب تداولًا بين طلاب العلم.

وقد ازدادت شهرة "المهذب" عندما شرحه الإمام النووي في موسوعته الكبرى "المجموع شرح المهذب"، التي أصبحت من أعظم كتب الفقه المقارن في التراث الإسلامي.

ومن مؤلفاته أيضًا كتاب "التنبيه"، وهو مختصر فقهي اشتهر انتشارًا واسعًا، وأقبل العلماء على شرحه وحفظه والتدريس منه، حتى أصبح أحد المتون الأساسية في المذهب الشافعي.[٢٢]

وفي أصول الفقه ألّف كتاب "اللمع في أصول الفقه"، وهو من أشهر المتون التعليمية في هذا الفن، كما ألّف "التبصرة في أصول الفقه" الذي يُعد من أهم مؤلفاته الأصولية.

وله كذلك كتاب "طبقات الفقهاء"، وهو من أوائل المؤلفات التي تناولت تراجم الفقهاء وطبقاتهم، ويُعد مصدرًا مهمًا في تاريخ الفقه الإسلامي.

وتبرز أهمية أبي إسحاق الشيرازي في أنه جمع بين الفقه والأصول والتعليم، وأسهم في صياغة المتون الفقهية التي أصبحت أساسًا للدراسة والتدريس في المذهب الشافعي خلال القرون اللاحقة.

---

[٢٢] ومن الجدير بالملاحظة أن كتابي "التنبيه" و"المهذب" لأبي إسحاق الشيرازي كانا من أشهر المتون الفقهية في المذهب الشافعي طوال قرون عديدة، وقد اعتنى العلماء بشرحهما عناية كبيرة. ويكفي في بيان مكانة "المهذب" أن الإمام النووي أفنى جانبًا كبيرًا من عمره في شرحه في كتاب "المجموع"، الذي يُعد من أعظم الموسوعات الفقهية في تاريخ الإسلام.

ر. الروياني (٤١٥–٥٠٢هـ)

هو الإمام العلامة أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الروياني الطبري الشافعي، الملقب بفخر الإسلام و"شافعيّ وقته"، أحد كبار أئمة المذهب الشافعي في القرن الخامس الهجري، ومن أعلام الفقه والخلاف والأصول. وقد انتهت إليه رياسة المذهب الشافعي في بلاد طبرستان وما جاورها، وعُدَّ من أعظم فقهاء عصره وأكثرهم إحاطةً بنصوص المذهب ووجوهه.

وُلِد بمدينة رويان من أعمال طبرستان في ذي الحجة سنة ٤١٥هـ، ونشأ في بيت علم وصلاح. حفظ القرآن الكريم واشتغل بطلب العلم منذ صغره، ثم رحل إلى مراكز العلم الكبرى في خراسان وما وراء النهر، فسمع الحديث، ودرس الفقه والأصول على كبار علماء عصره، حتى برع في علوم الشريعة وصار من كبار علماء الشافعية.

وقد عُرف الروياني بقوة الحفظ وسعة الاطلاع، حتى ذكر أصحاب التراجم أنه كان يستحضر نصوص الإمام الشافعي وأقوال الأصحاب استحضارًا عجيبًا، واشتهر بالمناظرة وحسن الاستدلال، فقصده طلاب العلم من مختلف الأقاليم للاستفادة من علمه.

تصدر للتدريس والإفتاء في طبرستان، وأنشأ مدرسة علمية بآمل، ثم انتقل بين عدد من الحواضر العلمية كأصبهان والري، فانتشر ذكره وعظمت مكانته بين العلماء. وكان من أبرز ممثلي المدرسة الخراسانية في المذهب الشافعي، مع إحاطة واسعة بطرق العراقيين والخراسانيين معًا.

وعُرف الإمام الروياني بالعبادة والزهد والتمسك بالسنة، كما اشتهر بالدفاع عن المذهب الشافعي وإظهار محاسنه. وقد وصفه أصحاب التراجم بأنه إمام عصره في الفقه، وأنه لم يكن في زمانه من يضاهيه في معرفة المذهب.

وفي أواخر حياته عاد إلى بلاده، وظل مشتغلًا بالتدريس والإفتاء حتى قُتل في فتنة وقعت بطبرستان في شهر المحرم سنة ٥٠٢هـ، فنال الشهادة بعد عمر قضاه في خدمة العلم والدين.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الروياني العلم عن عدد من كبار علماء عصره، ومن أشهر شيوخه أبو عثمان الصابوني، وأبو غانم الكراعي المروزي، وعبد الصمد بن أبي نصر البخاري، وغيرهم من أئمة الفقه والحديث.

أما تلاميذه فقد انتفع به جمع كبير من العلماء والمحدثين، ومن أشهرهم الحافظ أبو طاهر السلفي، وقوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، وزاهر بن طاهر الشحامي، وغيرهم من الأعلام الذين نشروا علمه ورواياته في مختلف الأقطار الإسلامية.

وقد أسهم هؤلاء التلاميذ في نقل تراث الروياني العلمي إلى الأجيال اللاحقة، فكان لهم دور مهم في استمرار تأثير مدرسته الفقهية والحديثية.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "بحر المذهب في فروع مذهب الإمام الشافعي"[٢٣] أشهر مؤلفات الروياني وأعظمها، وهو موسوعة فقهية كبيرة شرح فيها "مختصر المزني"، وجمع فيها نصوص المذهب وأقوال الأصحاب والخلاف الفقهي

[٢٣] ومن الجدير بالملاحظة أن كتاب "بحر المذهب" للروياني يُمثل إحدى الحلقات الكبرى في تطور الفقه الشافعي؛ فهو شرح موسوعي لـ"مختصر المزني" الذي أُلِّف في القرن الثالث الهجري، مما يُظهر استمرار تأثير مختصر المزني في بناء المذهب لأكثر من قرنين. وقد أفاد الرافعي والنووي ومن جاء بعدهما من المادة الفقهية الضخمة التي حفظها الروياني في هذا الكتاب، فكان حلقة وصل مهمة بين مدرسة القرن الخامس ومرحلة التحرير الكبرى في القرنين السابع والثامن الهجريين.

وأدلته. ويُعد الكتاب من أهم المراجع الشافعية قبل ظهور مؤلفات الرافعي والنووي.

وله كذلك كتاب "حلية المؤمن واختيار الموقن" في الفقه، وكتاب "مناصيص الشافعي" الذي جمع فيه نصوص الإمام الشافعي، بالإضافة إلى مؤلفات في أصول الفقه والخلاف والمناظرة.

وتتميز مؤلفات الروياني بسعة المادة الفقهية وكثرة النقول عن المتقدمين، مما جعلها تمثل حلقة مهمة في تطور المذهب الشافعي خلال القرن الخامس الهجري. وقد اعتمد عليها كثير من فقهاء المذهب بعده، ونقلوا عنها في مصنفاتهم الكبرى.

وتكمن أهمية الروياني في أنه جمع تراث المدرسة الشافعية التي سبقته، وحفظ كثيرًا من أقوال الأصحاب وطرقهم، فكان من آخر كبار الأئمة الموسوعيين قبل انتقال المذهب إلى مرحلة جديدة من الاختصار والتهذيب التي ازدهرت في القرن السادس الهجري.

المرحلة الثالثة

مرحلة الاختصار والتهذيب (٦هـ)

لمحة عن المرحلة الثالثة

يُعَدُّ القرن السادس الهجري مرحلةً مهمةً في تاريخ المذهب الشافعي، إذ انتقل المذهب من طور التأصيل والجمع والتفريع الذي ازدهر في القرنين الرابع والخامس إلى طور الاختصار والتهذيب وإعادة ترتيب المادة الفقهية. وقد استفاد فقهاء هذا العصر من الثروة العلمية الضخمة التي خلفها أئمة المرحلة السابقة، ولا سيما مؤلفات الماوردي، والروياني، وإمام الحرمين الجويني، فعملوا على تهذيب المذهب وتقريبه للدارسين، مع المحافظة على الأصول والوجوه التي استقر عليها فقه الشافعية.

وكانت الصلة العلمية بين هذه المرحلة والمرحلة السابقة وثيقةً للغاية؛ فقد تلقى علماء القرن السادس المذهب بواسطة تلاميذ إمام الحرمين ومدرسته العلمية. ويُعَدُّ الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) أبرز حلقة وصل بين المرحلتين، إذ كان من كبار تلامذة إمام الحرمين الجويني، وقد ورث عنه ثروة المذهب الشافعي كما استقرت في كتاب "نهاية المطلب في دراية المذهب". ثم قام باختصار هذا الكتاب الضخم في سلسلة من المؤلفات المتدرجة، فصنف "البسيط"، ثم اختصره في "الوسيط"، ثم اختصره مرة أخرى في "الوجيز". وبهذا أصبحت مؤلفات الغزالي حلقة مركزية في نقل المذهب وتهذيبه للأجيال اللاحقة.

وقد لقيت كتب الغزالي قبولًا واسعًا بين الشافعية، فأصبحت من أهم الكتب التعليمية في المذهب، وانتشرت في مدارس العراق وخراسان والشام ومصر. ولم تقتصر أهميتها على الاختصار فحسب، بل امتازت بحسن

الترتيب ودقة العبارة وجمع الأقوال المعتمدة، مما جعلها أساسًا لكثير من الشروح والتعليقات في العصور اللاحقة.

ومن أعلام هذه المرحلة أيضًا الإمام أبو إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)، الذي امتد تأثيره العلمي إلى القرن السادس من خلال كتابيه "المهذب" و"التنبيه". وقد أصبح هذان الكتابان من أشهر متون المذهب، واعتمد عليهما التدريس في المدارس النظامية وغيرها من المؤسسات العلمية. كما واصل العلماء في القرن السادس شرحهما وبيان مسائلهما، حتى صارا من أكثر كتب المذهب تداولًا بين الطلبة والفقهاء.

ومن كبار فقهاء القرن السادس الإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، صاحب كتاب "التهذيب"، الذي يُعد من أهم كتب المذهب في هذه المرحلة، إذ جمع فيه مسائل الشافعية ورتبها ترتيبًا محكمًا، وسعى إلى تهذيب المذهب وتقريبه للدارسين. كما برز في هذا القرن عدد من الأئمة الذين خدموا المذهب شرحًا وتعليمًا وإفتاءً، وأسهموا في نشره في مختلف الأقاليم الإسلامية.

ومن أبرز خصائص هذه المرحلة العناية بالمتون المختصرة والكتب التعليمية، بعد أن كانت المرحلة السابقة تميل إلى الموسوعات المطولة والكتب الجامعة. فبعد "الحاوي الكبير" للماوردي و"نهاية المطلب" للجويني، ظهرت الحاجة إلى مؤلفات أكثر اختصارًا وأيسر تداولًا بين الطلاب، فجاءت مصنفات الغزالي والبغوي والشيرازي لتلبي هذه الحاجة العلمية.

كما شهد هذا العصر ازدياد انتشار المدارس الشافعية في العالم الإسلامي، ولا سيما بعد دعم الحكام والوزراء للمؤسسات العلمية، مما أسهم في توحيد مناهج التدريس حول عدد من الكتب المعتمدة. وأدى ذلك إلى ترسيخ

المذهب وتثبيت مصطلحاته وأقواله المشهورة، تمهيدًا للمرحلة التالية التي عُرفت بمرحلة الشرح الكبير والتحرير.

وعلى الجملة، فإن القرن السادس الهجري يمثل عصر الاختصار والتهذيب في المذهب الشافعي؛ ففيه انتقلت جهود العلماء من جمع المذهب وتوسيعه إلى تهذيبه وتقريبه، وظهرت فيه المتون والكتب المختصرة التي أصبحت أساسًا للحركة العلمية الشافعية في القرون اللاحقة، ومهدت لجهود التحرير الكبرى التي قام بها أئمة القرنين السابع والثامن الهجريين.

المرحلة الثالثة	القرون	السمة الغالبة
الاختصار والتهذيب	٦هـ	شرح المتون والمختصرات السابقة شرحًا موسعًا، وتحقيق الأقوال وترجيحها، وتحرير المذهب على يد الرافعي والنووي ومن تبعهما، حتى استقرت البنية الفقهية للمذهب

تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الثالثة

تمثل مرحلة الاختصار والتهذيب (القرن السادس الهجري) مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ المذهب الشافعي؛ ففيها اتجهت جهود العلماء إلى تهذيب المادة الفقهية الضخمة التي جمعها أئمة القرنين الرابع والخامس، واختصارها وإعادة ترتيبها لتكون أقرب إلى التدريس والحفظ والتداول. ومن أبرز أئمة هذه المرحلة ومؤلفاتهم:

أ. الغزالي (٤٥٠–٥٠٥هـ)

هو الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الشافعي، أحد أعظم علماء الإسلام في القرن الخامس الهجري، وإمام بارز

في الفقه الشافعي وأصول الفقه وعلم الكلام والتزكية. جمع بين عمق النظر العقلي وقوة الاستدلال الشرعي، وكان له أثر بالغ في العلوم الإسلامية حتى عُدَّ من أبرز مجددي الإسلام في عصره.[٢٤]

وُلِد بمدينة طوس بخراسان سنة ٤٥٠هـ، ونشأ في أسرة متدينة محبة للعلم والصلاح. تُوفي والده وهو صغير، فأوصى به وبأخيه أحمد إلى أحد الصالحين، فاعتنى بتربيتهما وتعليمهما. حفظ الغزالي القرآن الكريم، ودرس العلوم الشرعية في بلده، ثم بدأ رحلته العلمية التي قادته إلى أعظم مراكز العلم في خراسان والعراق.

رحل إلى جرجان فدرس على الإمام أبي نصر الإسماعيلي، ثم انتقل إلى نيسابور، حيث لازم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني، فدرس عليه الفقه الشافعي وأصول الفقه وعلم الكلام والخلاف. وسرعان ما برز بين تلاميذه حتى أصبح من أقربهم إلى شيخه وأشدهم نبوغًا.

وبعد وفاة إمام الحرمين، اتصل بالوزير السلجوقي نظام الملك، فحضر مجالسه العلمية ومناظراته، وأظهر تفوقًا لافتًا في البحث والجدل. فاختاره نظام الملك للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد، التي كانت أعظم مؤسسة علمية في العالم الإسلامي آنذاك. وهناك بلغت شهرته الآفاق، وأصبح مرجعًا للفقهاء والمتكلمين وطلاب العلم.

غير أن الغزالي مرّ بأزمة روحية عميقة دفعته إلى مراجعة مسيرته العلمية والعملية، فترك التدريس في بغداد سنة ٤٨٨هـ، وارتحل إلى الشام

---

[٢٤] ومن الجدير بالملاحظة أن الإمام الغزالي يُعد الحلقة المركزية بين إمام الحرمين الجويني والرافعي؛ فقد اختصر كتاب "نهاية المطلب" لشيخه الجويني في "البسيط"، ثم هذبه في "الوسيط"، ثم اختصره في "الوجيز". وقد أصبح "الوجيز" أساسًا لكثير من المؤلفات الشافعية اللاحقة، وعلى رأسها "المحرر" للرافعي، مما يجعل الغزالي أحد أهم المهندسين العلميين لمسار المذهب الشافعي عبر العصور.

والحجاز، مشتغلاً بالعبادة والتأمل وتزكية النفس. وقد أثمرت هذه المرحلة تحولاً كبيرًا في شخصيته العلمية، انعكس بوضوح في مؤلفاته اللاحقة التي جمعت بين العلم والعمل والفقه والتربية.

ثم عاد إلى خراسان واستقر بطوس، حيث أنشأ مدرسة للفقهاء ورباطًا للمتعبدين، وقضى بقية حياته في التعليم والتأليف والإرشاد. وظل موضع احترام العلماء والملوك والعامة حتى وفاته.

وقد تميز الغزالي بذكاء خارق وسعة اطلاع وقدرة فريدة على الجمع بين العلوم المختلفة. كما عُرف بجرأته العلمية في نقد الآراء والمذاهب، وبحرصه على ربط المعرفة الشرعية بإصلاح النفس والسلوك.

توفي رحمه الله في طوس صبيحة يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ، بعد حياة حافلة بالعلم والتأليف والتدريس والإصلاح. وقد ترك تراثًا علميًا يعد من أعظم ما أُنتج في الحضارة الإسلامية.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام الغزالي العلم على عدد من كبار العلماء، وكان أبرز شيوخه إمام الحرمين الجويني، الذي أخذ عنه الفقه الشافعي وأصول الفقه وعلم الكلام، وتأثر بمنهجه العلمي تأثيرًا بالغًا. كما درس على أبي نصر الإسماعيلي في جرجان، وأخذ مبادئ العلوم في طوس على عدد من علمائها.

أما تلاميذه فقد انتشروا في المشرق والمغرب، وانتفع بعلمه عدد كبير من الفقهاء والأصوليين والمتصوفة. ومن أشهر من روى عنه وانتفع بمصنفاته جماعة من علماء خراسان والعراق، كما امتد تأثيره إلى علماء الأندلس والمغرب الإسلامي عبر مؤلفاته التي انتشرت انتشارًا واسعًا.

ولم يقتصر أثر الغزالي على التلاميذ المباشرين، بل كان تأثيره الأكبر من خلال كتبه التي أصبحت مقررة في المدارس العلمية لقرون متتابعة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام الغزالي تراثًا علميًا ضخمًا في الفقه والأصول والعقيدة والتزكية والأخلاق، ويُعد من أكثر علماء الإسلام تأثيرًا في مختلف العلوم الشرعية.

ومن أهم مؤلفاته الفقهية سلسلة كتبه الشهيرة: "البسيط" ثم "الوسيط" ثم "الوجيز"، وهي كتب تمثل مراحل متدرجة من الاختصار والتهذيب لفقه المذهب الشافعي. وقد أصبحت هذه المؤلفات أساسًا لكثير من المصنفات الشافعية اللاحقة، واعتمد عليها الرافعي والنووي وغيرهما من كبار أئمة المذهب.

وفي أصول الفقه ألّف كتاب "المستصفى من علم الأصول"، الذي يُعد من أهم كتب الأصول في التراث الإسلامي، ويمثل خلاصة نضجه العلمي في هذا الفن.

أما في التزكية والسلوك، فأشهر مؤلفاته كتاب "إحياء علوم الدين"، الذي جمع فيه بين الفقه والأخلاق والتربية الروحية، وأصبح من أكثر الكتب الإسلامية انتشارًا وتأثيرًا عبر العصور.

وفي العقيدة والكلام ألّف "الاقتصاد في الاعتقاد"، و"فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة"، و"تهافت الفلاسفة" الذي اشتهر بنقده للفلسفة المشائية في عدد من المسائل العقدية.

كما ألّف كتبًا تربوية وتعليمية مهمة، مثل "بداية الهداية" و"الأربعين في أصول الدين" وغيرها من المصنفات التي جمعت بين العلم والعمل والإصلاح.

وتتمثل أهمية الغزالي في تاريخ المذهب الشافعي في أنه نقل المذهب من مرحلة الجمع والتأصيل إلى مرحلة الاختصار والتهذيب، وأوجد منظومة

فقهية متكاملة أصبحت الأساس الذي بُنيت عليه كتب المذهب المعتمدة في القرون التالية.

ب. البغوي (٤٣٣–٥١٦هـ)

هو الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، الملقب بـ"محيي السنة" و"ركن الدين"، أحد كبار أئمة الإسلام في القرن السادس الهجري، وإمام بارز في الفقه والحديث والتفسير. ويُعد من أعلام المذهب الشافعي الذين أسهموا في تهذيب المذهب وترتيب مسائله، كما كان من كبار حفاظ الحديث وأئمة التفسير.

وُلِد سنة ٤٣٣هـ ببلدة "بَغْشُور" من أعمال خراسان بين مرو وهراة، ونُسب إليها فقيل له البغوي. أما لقب "الفَرّاء" فلأن والده كان يعمل بصناعة الفراء وبيعها. نشأ في بيئة علمية صالحة، وأقبل على طلب العلم منذ صغره، فجمع بين دراسة الفقه والحديث والتفسير حتى برع فيها جميعاً.

تفقه الإمام البغوي على كبار علماء خراسان، وفي مقدمتهم القاضي حسين المروزي، الذي كان له الأثر الأكبر في تكوينه الفقهي. وقد لازم حلقات العلم زمناً طويلاً حتى أصبح من كبار أئمة الشافعية في عصره، وانتهت إليه الرئاسة العلمية في ناحيته.

اشتهر البغوي بالتمسك بالسنة النبوية والعناية بعلومها، حتى لقبه العلماء بـ"محيي السنة". وكان مع سعة علمه زاهداً ورعاً، حسن السيرة، قليل التكلف، منصرفاً إلى التعليم والتصنيف ونشر العلم. وقد اجتمع له ما قلّ أن يجتمع لغيره من الإتقان في الفقه والحديث والتفسير.

ويحتل البغوي مكانة خاصة في تاريخ المذهب الشافعي؛ إذ يمثل أحد أبرز أعلام مرحلة الاختصار والتهذيب. فقد جمع أقوال المذهب وحررها ورتبها،

وأصبحت مؤلفاته الفقهية من أهم المصادر التي اعتمد عليها المتأخرون، ولا سيما الرافعي والنووي في مرحلة التحرير والاعتماد.

توفي الإمام البغوي بمرو الروذ في شوال سنة ٥١٦هـ على الأرجح، بعد حياة حافلة بالتعليم والتأليف وخدمة العلوم الشرعية، تاركاً تراثاً علمياً ضخماً ظل حاضراً في مدارس المسلمين إلى يومنا هذا.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام البغوي العلم على عدد من كبار علماء خراسان، وكان أبرز شيوخه القاضي حسين المروزي، الذي أخذ عنه الفقه الشافعي وأصوله. كما أخذ الحديث عن أبي عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي، وأبي علي الحسن بن محمد القاضي، وجماعة من المحدثين والفقهاء.

أما تلاميذه فقد انتفع به عدد كبير من العلماء والرواة، وانتشرت مؤلفاته في مختلف أقاليم العالم الإسلامي، حتى أصبحت كتبه من أشهر المقررات العلمية في الفقه والحديث والتفسير.

مؤلفاته وأعماله العلمية

ترك الإمام البغوي مؤلفات عظيمة في علوم متعددة، كان لها أثر بالغ في خدمة الشريعة الإسلامية.

ففي التفسير ألّف كتاب "معالم التنزيل"، وهو من أشهر كتب التفسير بالمأثور، امتاز بسلامة العقيدة، والاعتماد على تفسير السلف، والابتعاد عن الإسرائيليات الواهية، فحظي بقبول واسع بين العلماء.

وفي الحديث ألّف كتاب "شرح السنة"، وهو من أجلّ مصنفاته، جمع فيه الأحاديث النبوية مع بيان معانيها وأحكامها الفقهية، فصار مرجعاً مهماً لأهل الحديث والفقه. كما ألّف كتاب "مصابيح السنة" الذي لقي عناية كبيرة، وكثرت شروحه واختصاراته في القرون اللاحقة.

أما في الفقه الشافعي فأشهر كتبه "التهذيب في فقه الإمام الشافعي"،[٢٥] وهو من أهم كتب المذهب في القرن السادس الهجري. جمع فيه مسائل المذهب ورتبها وهذبها، مع ذكر أقوال الأصحاب ووجوههم، حتى أصبح مرجعاً أساسياً لمن جاء بعده من فقهاء الشافعية.

وله كذلك مؤلفات أخرى في الحديث والسيرة والشمائل والرقائق، تدل على سعة علمه وتنوع معارفه، وتبرز مكانته بين كبار علماء الإسلام في عصره.

ت. أبو بكر الشاشي (ت ٥٠٧ هـ)

هو الإمام الكبير، أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي، المُلقب بـ "فخر الإسلام"، ويُعرف بـ "القفال الفارقي" و"المستظهري". وُلد الإمام الشاشي في مدينة ميافارقين (وهي من أشهر مدن ديار بكر في تركيا الحالية) سنة ٤٢٩ هـ. نشأ في أسرة عريقة عُنيت بالعلم، مما أتاح له بيئة خصبة منذ نعومة أظفاره لتلقي العلوم الشرعية والأدبية.

تلقى الشاشي مبادئ العلوم على يد علماء عصره في بلدته، ولكنه لم يكتفِ بذلك، بل دفعه الشغف للمعرفة إلى الرحلة وطلب العلم. قصد الشاشي العاصمة العلمية بغداد، التي كانت حاضرة الخلافة الإسلامية آنذاك، وتتلمذ فيها على يد كبار أئمة وعلماء المذهب الشافعي. أظهر خلال مسيرته في طلب العلم نبوغاً مبكراً وذكاءً حاداً ميزه بين أقرانه، مما جعله محط أنظار شيوخه الذين تنبأوا له بمستقبل علمي عظيم.

---

[٢٥] يُعد كتاب "التهذيب" للبغوي من أهم حلقات تطور الفقه الشافعي؛ فقد اعتمد على تراث القاضي حسين والمتولي وأصحاب الوجوه من قبله، ثم أصبح بدوره مصدراً مهماً للرافعي والنووي من بعده. ولذلك يمثل البغوي حلقة وصل رئيسة بين المدرسة الخراسانية في القرن الخامس ومرحلة التحرير والاعتماد التي بلغت ذروتها عند الرافعي والنووي في القرنين السابع والثامن الهجريين.

تبوأ الإمام الشاشي مكانة سامية حتى غدا "رئيس الشافعية بالعراق" في عصره، وإمام عصره الذي لا يُشق له غبار. تولى كرسي التدريس في المدرسة النظامية ببغداد عام ٥٠٤ هـ، وهي أعلى مؤسسة تعليمية في ذلك الوقت. تميز بغزارة العلم في الفقه والأصول والتفسير والكلام، وقصده الطلاب من شتى الأمصار، وتخرج على يديه نخبة من علماء الأمة، منهم القاضي ابن العربي. وقد ترك إرثاً غنياً من المصنفات، أبرزها: "حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء" الذي صنفه للخليفة المستظهر بالله، وكتاب "المعتمد"، و"الشافي" في شرح مختصر المزني.

اتصف الإمام الشاشي بصفات العلماء الربانيين؛ فقد كان مضرب المثل في التواضع، والزهد، والورع، والتقوى. عُرف عنه حلمه وسعة صدره مع طلابه، واقتران علمه بالعمل. ولم يكن علمه مقصوراً على التنظير، بل كان له اهتمامٌ عميق بتعزيز مكارم الأخلاق والقيم الإسلامية، وهو ما تجلى بوضوح في كتابه الشهير "محاسن الشريعة"، الذي أبرز فيه مقاصد الشريعة وجمالها وحكمتها البالغة في تنظيم حياة الناس.

توفي الإمام فخر الإسلام الشاشي في مدينة بغداد، في شهر المحرم من سنة ٥٠٧ هـ (الموافق ١١١٤ م). وقد شيّعه جمعٌ غفير من العلماء والطلاب والأعيان وعامة الناس، حزناً على فقدان إمام المذهب وفقيه الأمة. وبوفاته، طُوِيت صفحة مشرقة من تاريخ الفقه الإسلامي والشافعي، تاركاً خلفه إرثاً خالداً وكتباً ما تزال مراجع أساسية في التراث الإسلامي.

ث. أبو شجاع الأصفهاني (٤٣٣–٥٠٠هـ)

هو الإمام القاضي شهاب الدين أبو شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني الشافعي، أحد فقهاء المذهب الشافعي في القرن الخامس الهجري، واشتهر بين علماء المذهب بمؤلفه المختصر "غاية الاختصار" الذي أصبح من أشهر المتون الفقهية التعليمية في تاريخ الشافعية.

وُلِد بالبصرة سنة ٤٣٣هـ تقريباً، ونشأ في أسرة عُرفت بالصلاح والعلم. وقد نُسب إلى أصبهان من جهة أصله، وإلى البصرة من جهة مولده وإقامته، كما عُرف بالعبّاداني نسبة إلى بلدة عبادان التي تنتمي إليها أسرته.

تلقى علومه في البصرة، وبرع في الفقه الشافعي حتى صار من علمائها المشهورين، وتولى القضاء فيها زمناً طويلاً. وقد جمع بين العلم والعمل، واشتهر بالورع والزهد وحسن السيرة، حتى أثنى عليه معاصروه ووصفوه بالإمامة والصلاح.

قضى أبو شجاع أكثر من أربعين سنة في تعليم الفقه الشافعي ونشره، وكان مقصوداً من طلاب العلم والفقهاء. وقد عُرف بحرصه على تبسيط المسائل وتقريبها للمتعلمين، وهي السمة التي انعكست بوضوح في مؤلفاته، ولا سيما كتابه الأشهر "غاية الاختصار".

ويحتل أبو شجاع مكانة خاصة في تاريخ المذهب الشافعي؛ إذ لم يكن تأثيره قائماً على كثرة التصنيف أو التخريج الفقهي، وإنما على نجاحه في صياغة متن فقهي مختصر جمع أهم مسائل المذهب بأسلوب سهل ومنظم، مما جعله من أكثر الكتب انتشاراً في المدارس والمعاهد الإسلامية.

وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته على وجه الدقة، إلا أن المشهور أنه عاش إلى حدود سنة ٥٠٠هـ أو بعدها بقليل. وتذكر بعض المصادر أنه انتقل في أواخر حياته إلى المدينة المنورة، حيث توفي ودُفن بالبقيع.

شيوخه وتلاميذه

تفقه أبو شجاع على عدد من علماء البصرة والشافعية في عصره، وأخذ عن جماعة من الفقهاء والمحدثين الذين كانت لهم حلقات علمية مزدهرة في العراق وخراسان.

أما تلاميذه فقد انتشروا في العراق وفارس وغيرها من الأقاليم الإسلامية، واستفادوا من دروسه ومجالسه العلمية. ومن أشهر من روى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي، الذي أثنى عليه ووصفه بأنه من أفراد عصره في الفقه والصلاح.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "غاية الاختصار" أشهر مؤلفات أبي شجاع، ويُعرف كذلك باسم "متن أبي شجاع" أو "التقريب". وهو متن فقهي مختصر في فروع المذهب الشافعي، امتاز بوضوح العبارة وحسن الترتيب وسهولة الحفظ، فأصبح من أكثر الكتب تداولاً بين المبتدئين في دراسة الفقه.[٢٦]

وقد حظي هذا المتن بعناية فائقة من علماء الشافعية عبر القرون، فشُرح واختُصر ونُظم مراراً، وأُلّفت عليه عشرات الشروح والحواشي، حتى أصبح أحد الأركان الأساسية في التعليم الفقهي الشافعي.

ومن أشهر شروحه كتاب "فتح القريب المجيب" لابن قاسم الغزي، وكتاب "الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع" للخطيب الشربيني، ثم جاءت عليه حواشٍ كثيرة في القرون اللاحقة، مما يدل على استمرار حضوره العلمي في حلقات الدرس والفتوى.

[٢٦] ومن اللافت أن أبا شجاع عاش في القرن الخامس الهجري، بينما استمرت شروح كتابه وحواشيه تُؤلَّف إلى القرن الرابع عشر الهجري وما بعده. فقد شرحه ابن قاسم الغزي في القرن العاشر، والخطيب الشربيني في القرن العاشر أيضاً، ثم اعتنى به البجيرمي وغيره من فقهاء القرون المتأخرة. وهذا يدل على أن "غاية الاختصار" لم يكن مجرد متن مختصر، بل أصبح أحد أهم السلاسل التعليمية المستمرة في المذهب الشافعي عبر ما يقرب من ألف عام.

وله مؤلفات أخرى ذكرتها بعض كتب التراجم، غير أن معظمها لم يصل إلينا، وبقيت شهرته العلمية مرتبطة بكتابه "غاية الاختصار" الذي خلّد اسمه في تاريخ المذهب الشافعي.

المرحلة الرابعة

مرحلة الشرح الكبير والتحرير (٨–٧هـ)

لمحة عن المرحلة الرابعة

تمثل هذه المرحلة ذروة النضج العلمي للمذهب الشافعي؛ ففيها انتقلت جهود الفقهاء من الاختصار والتهذيب إلى الشرح الموسع والتحرير الدقيق والترجيح بين الأقوال والوجوه. وقد قامت هذه المرحلة على الأساس العلمي الذي شيده فقهاء القرن السادس، ولا سيما مؤلفات إمام الحرمين الجويني، وأبي حامد الغزالي، وأبي إسحاق الشيرازي، والحسين البغوي، وأبي شجاع الأصفهاني. فكانت كتبهم مادةً علميةً خصبةً اشتغل بها علماء القرنين السابع والثامن شرحًا وتحريرًا وتدقيقًا.

وفي مطلع هذه المرحلة برز الإمام أبو القاسم الرافعي (ت ٦٢٣هـ)، الذي يُعد مع الإمام النووي من أعظم محرري المذهب الشافعي. وقد اعتمد الرافعي على التراث الفقهي المتراكم قبله، وخاصة كتب الغزالي ومدرسة الخراسانيين والعراقيين، فجمع شتات الأقوال والوجوه، ووازن بينها، ورجح ما ظهر له أنه المعتمد في المذهب. ومن أشهر مؤلفاته: "فتح العزيز في شرح الوجيز" المعروف بالشرح الكبير، و"المحرر"، وقد أصبحا من أهم كتب المذهب وأوسعها أثرًا في العصور اللاحقة.

ثم جاء الإمام محيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، فاستكمل المشروع العلمي الذي بدأه الرافعي، حتى صار الفقهاء يطلقون عليهما لقب "الشيخين". وقد اعتمد النووي على تحريرات الرافعي، ثم أعاد النظر في كثير من المسائل مستفيدًا من سعة اطلاعه على الحديث النبوي وأقوال الأصحاب. ومن أشهر مؤلفاته: "روضة الطالبين"، و"منهاج الطالبين"، و"المجموع شرح

المهذب"، و"التنقيح"، و"التحقيق". وبجهود الرافعي والنووي استقر المذهب الشافعي على صورة أكثر ضبطًا وتحريرًا من ذي قبل.

ومن السمات البارزة لهذه المرحلة ظهور الشروح الكبرى على المتون المختصرة التي ألفها فقهاء المرحلة السابقة. فقد شرح الرافعي "الوجيز" للغزالي في موسوعته الكبرى "فتح العزيز"، كما واصل النووي شرح "المهذب" للشيرازي في كتابه "المجموع"، وشرح العلماء كتب الغزالي والبغوي وأبي شجاع وغيرها من المتون التي أصبحت محور الدراسة والتدريس. وهكذا انتقلت الحركة العلمية من مرحلة اختصار المادة الفقهية إلى مرحلة بسطها وتحليلها وتحقيقها.

وشهد القرن الثامن الهجري استمرار حركة التحرير والشرح، فظهر عدد من كبار الفقهاء الذين خدموا تراث الشيخين، ومن أبرزهم الإمام تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ)، والإمام جمال الدين الإسنوي (ت ٧٧٢هـ)، والإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، والإمام سراج الدين ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ). وقد انصبت جهود هؤلاء العلماء على شرح كتب الرافعي والنووي، واستدراك ما فاتهما، وتخريج الأحاديث، وتحرير مواضع الخلاف، مما زاد المذهب إحكامًا واستقرارًا.

كما تميزت هذه المرحلة بقوة الصلة العلمية بين الأجيال المتعاقبة؛ فالرافعي اعتمد على الغزالي ومن سبقه من أئمة القرن السادس، والنووي بنى كثيرًا من أعماله على مؤلفات الرافعي، ثم جاء السبكي والإسنوي والزركشي وابن الملقن فشرحوا وحرروا كتب الشيخين. وبهذا تكوَّنت سلسلة علمية متصلة حفظت تراث المذهب وطورته عبر القرون.

ويمكن القول إن القرنين السابع والثامن الهجريين شهدا انتقال المذهب الشافعي من مرحلة التهذيب والاختصار إلى مرحلة التحرير والاستقرار؛ إذ أصبحت مؤلفات الرافعي والنووي المرجع الرئيس للمذهب، وأخذت جهود

العلماء تدور حول تحقيق أقوالهما وشرحها وترتيبها، تمهيدًا لظهور مرحلة جديدة هي مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد في القرون اللاحقة.

والخلاصة أن السمة الغالبة لهذه المرحلة هي الشرح الكبير، والتحرير، والترجيح، واستقرار المذهب على يد الشيخين الرافعي والنووي، مع ازدهار حركة الشروح والاستدراكات التي مهدت لعصر الاعتماد والحواشي.

المرحلة الرابعة	القرون	السمة الغالبة
الشرح الكبير والتحرير	٧–٨هـ	شرح المتون والمختصرات السابقة شرحًا موسعًا، وتحقيق الأقوال وترجيحها، وتحرير المذهب على يد الرافعي والنووي ومن تبعهما، حتى استقرت البنية الفقهية للمذهب

تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الرابعة

تمثل هذه المرحلة إحدى أزهى مراحل المذهب الشافعي وأكثرها أثرًا في تاريخه؛ إذ انتقل المذهب فيها من طور الاختصار والتهذيب إلى طور الشرح الموسع والتحرير الدقيق. فقد انصرف فقهاء الشافعية في القرنين السابع والثامن الهجريين إلى شرح المختصرات المعتمدة، واستيعاب مسائل المذهب، وجمع أقوال الأصحاب، وترجيح الروايات والأوجه المختلفة، حتى اكتمل بناء المذهب في صورته التي استقر عليها عند المتأخرين.

وفي هذه المرحلة برز عدد من الأئمة الكبار الذين كان لهم دور محوري في تحرير المذهب وتنقيحه، وفي مقدمتهم الرافعي والنووي، اللذان أصبحت مؤلفاتهما أساسًا لمعرفة المعتمد في المذهب ومرجعًا لمن جاء بعدهما من الشراح والمحققين. كما شهدت هذه الحقبة ازدهار التأليف الفقهي وظهور

الشروح الكبرى والمصنفات الجامعة التي أسهمت في ضبط المذهب وتوحيد مناهج الإفتاء والتدريس. وفيما يأتي نبذات موجزة عن أبرز فقهاء الشافعية الذين كان لهم أثر بارز في مرحلة الشرح الكبير والتحرير خلال القرنين السابع والثامن الهجريين.

أ. الرافعي (٥٥٥–٦٢٣هـ)

هو الإمام الحافظ الفقيه أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل القزويني الرافعي الشافعي، أحد أعظم أئمة المذهب الشافعي، وأحد الشيخين اللذين استقر عليهما المذهب في مرحلته المتأخرة. وُلد بمدينة قزوين سنة ٥٥٥هـ تقريبًا في بيت علم وصلاح، ونشأ في بيئة اشتهرت بالفقه والحديث، فحفظ القرآن الكريم واشتغل بطلب العلم منذ صغره.

تلقى الرافعي علومه على عدد من علماء قزوين وخراسان، وأخذ الفقه الشافعي عن كبار أئمة عصره، حتى برع فيه وأصبح المرجع الأول للمذهب في زمانه. كما درس الحديث والتفسير وأصول الفقه واللغة العربية، فجمع بين الرواية والدراية، واشتهر بسعة الاطلاع وقوة الاستنباط ودقة التحرير.

كانت مسيرته العلمية امتدادًا للمدرسة الخراسانية التي ازدهرت في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وقد ورث تراث إمام الحرمين الجويني وأبي حامد الغزالي والبغوي وغيرهم من كبار فقهاء المذهب. ولم يكتفِ بنقل أقوالهم، بل عمد إلى جمعها ومقارنتها وترجيح بعضها على بعض، حتى أصبح من كبار محرري المذهب الشافعي.

واتصف الرافعي بالأخلاق الفاضلة والورع والتواضع والزهد، وكان بعيدًا عن التكلف وحب الشهرة، مقبلًا على العلم والتعليم والتأليف. وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عظيمًا، ووصفوه بالإمامة في الفقه والحديث، وبأنه من أوثق العلماء نقلًا وأدقهم تحريرًا للمسائل.

أما منهجه الفقهي فقام على جمع أقوال المتقدمين من الشافعية، ولا سيما أصحاب الوجوه، ثم تمحيصها وترتيبها وبيان الراجح منها. وكان شديد العناية بالنصوص المذهبية وبالربط بين فروع المذهب وأصوله، ولذلك أصبح مرجعًا أساسيًا في معرفة المعتمد عند الشافعية. وقد مهدت أعماله الطريق للإمام النووي الذي بنى كثيرًا من تحريراته على مؤلفات الرافعي.

وفي العقيدة كان الرافعي على مذهب أهل السنة والجماعة وفق المدرسة الأشعرية التي كانت سائدة بين كبار الشافعية في عصره. وكان مع عنايته بعلم الكلام يولي اهتمامًا كبيرًا للحديث النبوي وآثار السلف، جامعًا بين علوم الشريعة المختلفة دون إفراط أو تفريط.

توفي الإمام الرافعي سنة ٦٢٣هـ بقزوين بعد حياة حافلة بالعلم والتدريس والتأليف. وقد ترك أثرًا بالغًا في تاريخ المذهب الشافعي، حتى صار هو والإمام النووي المرجعين الأكبرين للمذهب، وعُرفا عند المتأخرين بلقب "الشيخين".

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام الرافعي العلم على عدد من علماء عصره، ومن أشهرهم والده الإمام محمد بن عبد الكريم الرافعي، كما أخذ عن جماعة من فقهاء خراسان وقزوين والمحدثين في بلده. وقد انتفع بتراث إمام الحرمين الجويني وأبي حامد الغزالي والبغوي من خلال مؤلفاتهم ومدرستهم الفقهية.

أما تلاميذه فكان لهم دور كبير في نشر علمه ومؤلفاته، ومن أشهرهم ابنه الإمام أبو المكارم محمد بن عبد الكريم الرافعي، وجماعة من فقهاء قزوين وخراسان الذين حملوا كتبه إلى الأجيال اللاحقة. غير أن أعظم من انتفع بتراثه علميًا هو الإمام النووي، وإن لم يدركه زمنًا، إذ جعل مؤلفات الرافعي أساسًا لكثير من أعماله الفقهية والتحريرية.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعَدُّ كتاب "فتح العزيز في شرح الوجيز"، المعروف بالشرح الكبير، أعظم مؤلفات الرافعي وأوسعها. وهو شرح موسوعي لكتاب "الوجيز" للغزالي، جمع فيه أقوال المذهب ووجوهه وأدلته، وناقش مسائل الخلاف والترجيح مناقشة دقيقة. ويُعد هذا الكتاب من أهم المراجع في تاريخ الفقه الشافعي، وقد اعتمد عليه النووي اعتمادًا واسعًا في مؤلفاته.

ومن أشهر كتبه أيضًا "المحرر"، وهو مختصر فقهي جمع فيه خلاصة المذهب بعد تحريره وتنقيحه. وقد أصبح هذا الكتاب أصلًا لعدد من المصنفات الكبرى، وعلى رأسها كتاب "منهاج الطالبين" للنووي، الذي بُني في جانب كبير منه على "المحرر".

وله كذلك كتاب "التدوين في أخبار قزوين"، وهو من أشهر كتب التاريخ المحلي في الحضارة الإسلامية، جمع فيه أخبار مدينته وعلمائها وأعيانها. كما ألّف كتبًا في الحديث وشرح أسانيده، مما يدل على سعة معارفه وعدم اقتصاره على الفقه وحده.

وتتمثل القيمة الكبرى لأعمال الرافعي في أنها نقلت المذهب الشافعي من مرحلة الاختصار والتهذيب إلى مرحلة التحرير والاستقرار. فقد جمع تراث القرون السابقة، وحرره ونقحه ورتبه، ثم جاء الإمام النووي فاستكمل هذا المشروع العلمي. ولهذا يعد الرافعي بحق أحد أهم البنائين الكبار للمذهب الشافعي عبر تاريخه الطويل.

ب. النووي (٦٣١–٦٧٦هـ)

هو الإمام الحافظ الفقيه محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي، أحد أعظم أئمة الإسلام، وإمام المذهب الشافعي في عصره، وأحد الشيخين اللذين استقر عليهما المذهب عند المتأخرين. وُلد

سنة ٦٣١هـ في بلدة نوى من أعمال حوران جنوبي دمشق، ونشأ في أسرة صالحة عُرفت بالتدين والاستقامة. وقد ظهرت عليه أمارات النبوغ منذ صغره، فكان مقبلًا على حفظ القرآن الكريم وطلب العلم، معرضًا عن اللهو وسائر ما يشغل عن التحصيل.

انتقل النووي في سن مبكرة إلى دمشق، التي كانت آنذاك من أعظم مراكز العلم في العالم الإسلامي، فنزل بالمدرسة الرواحية، وانصرف إلى الدراسة انصرافًا تامًا. وقد اشتهر بجدّه واجتهاده في طلب العلم، حتى ذكر مترجموه أنه كان يقرأ كل يوم عددًا كبيرًا من الدروس في فنون متعددة، من الفقه وأصوله والحديث وعلومه واللغة والنحو والرجال، مع المراجعة والمطالعة والتعليق.

وسرعان ما برز الإمام النووي بين علماء عصره، فصار مرجعًا في الفقه الشافعي والحديث النبوي، وتولى التدريس والإفتاء في دمشق. وقد امتازت مسيرته العلمية بقصر مدتها وكثرة إنتاجها؛ إذ لم يعش سوى خمس وأربعين سنة تقريبًا، ومع ذلك خلّف تراثًا علميًا ضخمًا أصبح من أهم مراجع المسلمين في الفقه والحديث.

واتصف النووي بالأخلاق الرفيعة والورع الشديد والزهد البالغ. فقد عاش حياة بسيطة بعيدة عن مظاهر الترف، وكان معروفًا بالصدق والإخلاص والشجاعة في قول الحق. ولم يتزوج لانشغاله بالعلم والعبادة، وكان كثير الذكر والتلاوة والمحاسبة للنفس، حتى صار مضرب المثل في الزهد بين علماء عصره.

أما منهجه الفقهي فقام على التحقيق والتحرير والترجيح بين أقوال المذهب. وقد اعتمد على التراث الشافعي المتراكم قبله، ولا سيما مؤلفات الإمام الرافعي، ثم أعاد النظر في كثير من المسائل، فوازن بين الأقوال والروايات

وحرر المعتمد منها. ولهذا أصبحت مؤلفاته مرجعًا أساسيًا في معرفة المذهب الشافعي، واعتمد المتأخرون تحريراته في الفتوى والتدريس.

وفي العقيدة كان الإمام النووي على منهج أهل السنة والجماعة وفق المدرسة الأشعرية التي انتشرت بين كبار الشافعية في عصره. وقد جمع بين تعظيم النصوص الشرعية واحترام مناهج علماء السلف، مع الاستفادة من جهود المتكلمين من أهل السنة. وتظهر هذه النزعة بوضوح في شروحه الحديثية ومؤلفاته العقدية والفقهية.

توفي الإمام النووي سنة ٦٧٦هـ في بلدته نوى بعد أن مرض مرضًا يسيرًا، ودُفن بها. وقد أجمع العلماء على إمامته وفضله، وظلت مؤلفاته تُدرَّس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، حتى أصبح أحد أكثر علماء الإسلام تأثيرًا وانتشارًا في القرون المتأخرة.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام النووي العلم عن عدد كبير من علماء دمشق، ومن أشهر شيوخه: إسحاق بن أحمد المغربي، وعبد الرحمن بن نوح المقدسي، وعبد العزيز الأنصاري، وياسين بن يوسف المراكشي، وغيرهم من أئمة الفقه والحديث. وقد استفاد كثيرًا من التراث العلمي الذي خلفه الإمام الرافعي، حتى صار الرافعي والنووي يُعرفان عند الشافعية بلقب "الشيخين" لاعتماد المذهب على تحريراتهما.

أما تلاميذه فكانوا كثيرين، ومن أشهرهم علاء الدين ابن العطار الدمشقي الذي عُرف بمحبته لشيخه وملازمته له، حتى لُقب بـ"مختصر النووي". كما أخذ عنه عدد من فقهاء الشام ومحدثيها، وساهموا في نشر علمه ورواية كتبه في مختلف الأقطار الإسلامية.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعَدُّ كتاب "روضة الطالبين وعمدة المفتين" من أهم مؤلفات النووي الفقهية، وقد اختصره من كتاب "فتح العزيز" للرافعي مع زيادات وتحقيقات مهمة. وأصبح هذا الكتاب من أعظم مراجع المذهب الشافعي، واعتمد عليه الفقهاء في الفتوى والتدريس قرونًا طويلة.

ومن أشهر كتبه أيضًا "منهاج الطالبين[٢٧]"، وهو مختصر محرر لكتاب "المحرر" للرافعي. وقد حظي هذا الكتاب بقبول واسع، وأصبح أشهر متن فقهي في المذهب الشافعي، وكُتبت عليه عشرات الشروح والحواشي، مثل "تحفة المحتاج" لابن حجر الهيتمي و"نهاية المحتاج" للرملي.

أما كتاب "المجموع شرح المهذب" فيُعد من أعظم الموسوعات الفقهية في الإسلام. شرع النووي في شرح كتاب "المهذب" للشيرازي، فجمع فيه أقوال المذهب وأدلته والخلاف الفقهي بين المذاهب، غير أنه توفي قبل إتمامه. ومع ذلك بقي من أهم الكتب الفقهية المقارنة وأكثرها نفعًا للباحثين.

وفي الحديث النبوي ألّف كتبًا اشتهرت في العالم الإسلامي، من أبرزها "رياض الصالحين"، و"الأربعون النووية"، و"المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، وهو من أجلّ شروح صحيح مسلم وأوسعها انتشارًا. كما ألّف كتبًا أخرى في الأذكار والرجال واللغة والفتاوى.

وتتمثل أهمية أعمال الإمام النووي في أنها أكملت المشروع العلمي الذي بدأه الإمام الرافعي في تحرير المذهب الشافعي. فقد جمع بين الفقه

---

[٢٧] ومن الجدير بالملاحظة أن كتاب "منهاج الطالبين" للإمام النووي ليس مؤلفًا مستقلًا من حيث البناء الفقهي، بل هو تهذيب واختصار لكتاب "المحرر" للإمام الرافعي. وقد أصبح "المنهاج" بعد ذلك أشهر متون المذهب الشافعي، وعليه دارت معظم الشروح والحواشي في القرون اللاحقة، مما جعله حلقة محورية في تاريخ التأليف الفقهي الشافعي.

والحديث، وبين التحقيق العلمي وحسن الترتيب، فاستحقت مؤلفاته أن تكون من أهم المراجع المعتمدة عند الشافعية وعند علماء الإسلام عامة.

ت. عز الدين ابن عبد السلام (٥٧٧ ـ ٦٦٠ هـ)

هو الإمام العلامة سلطان العلماء أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي الشافعي، أحد كبار أئمة الإسلام في القرن السابع الهجري، وإمام بارز في الفقه والأصول والتفسير والعقيدة. وُلد بدمشق سنة ٥٧٧هـ، ونشأ في بيئة علمية شهدت ازدهار المدارس وحلقات العلم، فأقبل على طلب العلم منذ صغره حتى أصبح من أبرز علماء عصره.

تلقى ابن عبد السلام علومه في دمشق، فدرس الفقه الشافعي وأصول الفقه والحديث والتفسير والعربية، وتدرج في مراتب العلم حتى تصدر للتدريس والإفتاء. وقد عُرف بقوة الذكاء وسعة الاطلاع وحسن الاستنباط، مما أهله لتولي مناصب علمية رفيعة، فدرّس في المدارس الكبرى وتولى الخطابة والإفتاء، ثم انتقل إلى مصر حيث ازدادت شهرته واتسع تأثيره العلمي.

اشتهر الإمام عز الدين بشجاعته في الحق واستقلاله عن أصحاب السلطان، حتى لُقِّب بـ"سلطان العلماء". فقد كان يجهر بالحق أمام الحكام والأمراء، ولا يخشى في الله لومة لائم، واشتهرت مواقفه الإصلاحية في دمشق ومصر، حيث دعا إلى الالتزام بأحكام الشريعة والعدل بين الناس، مما أكسبه احترام العامة والعلماء على السواء.

وكان رحمه الله مثالًا في الزهد والورع والتواضع، بعيدًا عن الترف ومظاهر الدنيا، مقبلًا على العبادة والعلم والتعليم. وقد وصفه مترجموه بقوة الشخصية ونقاء السريرة وعلو الهمة، وكان يجمع بين هيبة العلماء وتواضع الصالحين، فاجتمع له من القبول في القلوب ما لم يجتمع لكثير من معاصريه.

أما منهجه الفقهي فتميّز بالنظر المقاصدي والتعليل الفقهي، مع التزامه بأصول المذهب الشافعي. وقد عُرف بدقة الاستنباط وربط الأحكام بمصالح العباد ومفاسدهم، حتى صار من أبرز من أسهموا في تطوير الفكر المقاصدي في الفقه الإسلامي. وكان مع تعظيمه للمذهب لا يتردد في الترجيح والاجتهاد عند ظهور الدليل.

وفي العقيدة كان الإمام عز الدين على مذهب أهل السنة والجماعة وفق المدرسة الأشعرية التي كانت سائدة بين كبار الشافعية في عصره. وقد جمع بين العقيدة والكلام والتفسير، ودافع عن عقائد أهل السنة في عدد من مؤلفاته، مع اهتمام ظاهر بتزكية النفوس وإصلاح القلوب.

توفي الإمام عز الدين ابن عبد السلام بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ، وشيّعه جمع غفير من العلماء والأمراء والعامة. وقد ترك أثرًا عظيمًا في الفقه الشافعي والفكر الإسلامي عمومًا، وظلت مؤلفاته محل عناية العلماء والباحثين إلى يومنا هذا.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام عز الدين العلم على عدد من كبار علماء دمشق، ومن أشهر شيوخه الإمام فخر الدين ابن عساكر، والشيخ سيف الدين الآمدي، وجماعة من فقهاء الشافعية ومحدثي الشام. وقد أفاد من مدارس الفقه والأصول التي ازدهرت في دمشق في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين.

أما تلاميذه فكانوا كثيرين، ومن أشهرهم الإمام شرف الدين الدمياطي، والإمام بدر الدين بن جماعة، والإمام القرافي المالكي الذي تأثر بمنهجه المقاصدي تأثرًا كبيرًا، كما انتفع بعلمه عدد كبير من فقهاء مصر والشام. وقد أسهم هؤلاء في نشر آرائه ومؤلفاته في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعَدُّ كتاب "قواعد الأحكام في مصالح الأنام" أشهر مؤلفات ابن عبد السلام وأعظمها أثرًا. وقد أسس فيه كثيرًا من القواعد الفقهية والمقاصدية، وربط الأحكام الشرعية بمصالح العباد ومفاسدهم، حتى عُدَّ من أهم الكتب المؤثرة في علم المقاصد والقواعد الفقهية.

ومن مؤلفاته المهمة أيضًا "الإمام في بيان أدلة الأحكام"، وهو كتاب في أصول الفقه، وكتاب "الفوائد في اختصار المقاصد"، وكتاب "الفتاوى" الذي يضم عددًا من اجتهاداته واختياراته الفقهية. وتكشف هذه المؤلفات عن عمق نظره الأصولي وقدرته على الربط بين الفروع والأصول.

وفي مجال التفسير وعلوم القرآن ألّف كتاب "تفسير القرآن العظيم"، وله كتاب "الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز" في البلاغة وأصول التفسير. كما ترك عددًا من الرسائل العلمية في العقيدة والسلوك والتربية، تدل على تنوع معارفه واتساع اهتماماته العلمية.

وتكمن أهمية أعماله في أنها جمعت بين الفقه والأصول والمقاصد والتربية الإيمانية، وأسهمت في توسيع آفاق النظر الفقهي داخل المذهب الشافعي وخارجه. ولذلك يُعد الإمام عز الدين ابن عبد السلام أحد أبرز المجددين في الفقه الإسلامي، ومن أكثر علماء الشافعية تأثيرًا في القرون اللاحقة.

ث. ابن الرفعة (٦٤٥-٧١٠ هـ)

هو الإمام الفقيه المحقق نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأنصاري المصري، الشهير بابن الرفعة (٦٤٥–٧١٠هـ/١٢٤٧–١٣١٠م)، أحد كبار أئمة المذهب الشافعي في القرن الثامن الهجري، ومن أعظم فقهاء الديار المصرية في عصره. عُرف بسعة العلم، وقوة الاستنباط، ودقة النظر

في نصوص المذهب، حتى عُدَّ من أبرز المحققين الذين مهدوا الطريق لحركة التحرير الفقهي التي ازدهرت في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

وُلِد ابن الرفعة بمصر ونشأ في بيئة علمية، فأقبل على طلب العلم منذ صغره، وبرع في الفقه والحديث والأصول واللغة. وقد ظهرت عليه أمارات النبوغ مبكراً، فنبغ بين أقرانه، واشتهر بقوة الحفظ وسرعة الفهم وحسن النظر في دقائق المسائل الفقهية.

تولى التدريس في عدد من المدارس العلمية الكبرى بالقاهرة، وكان من أشهرها المدرسة المعزية، كما تولى الحسبة، وناب في بعض أعمال القضاء، فجمع بين التدريس والإفتاء والإدارة الشرعية. وقد قصده الطلاب والعلماء من مختلف الأقطار، وصار مرجعاً في الفقه الشافعي، ومقصداً لأهل الفتوى والبحث.

وكان ابن الرفعة من أكثر علماء عصره عناية بتحرير المذهب الشافعي ونقد الأقوال والترجيح بينها. فلم يكن يكتفي بنقل ما في الكتب، بل كان يراجع نصوص الأصحاب ويوازن بينها، ويستخرج الوجوه والتخريجات، حتى اكتسب مكانة فريدة بين فقهاء عصره. وقد عُرف بجرأته العلمية واستقلاله في النظر، مما جعل كثيراً من المتأخرين يعتمدون تحقيقاته وينقلون ترجيحاته.

وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عظيماً، وعدوه إمام الشافعية في عصره. ويُروى أن شيخ الإسلام ابن تيمية لما ناظره في بعض المسائل سُئل عنه فقال: "رأيت شيخاً تتقاطر فروع الشافعية من لحيته"، في إشارة إلى سعة اطلاعه وتمكنه من دقائق المذهب.

وظل ابن الرفعة مشتغلاً بالتدريس والتصنيف والإفتاء إلى أن توفي بالقاهرة في شهر رجب سنة ٧١٠هـ، ودُفن بالقرافة، بعد أن خلّف تراثاً علمياً ضخماً كان له أثر بالغ في تطور المذهب الشافعي.

شيوخه وتلاميذه

تلقى ابن الرفعة العلم على عدد من كبار علماء مصر في عصره، فدرس الحديث على المحدث عبد الرحيم الدميري، وتفقه على السديد والظهير التزمنتيين، وأخذ عن علي الشريف العباسي، والقاضي ابن بنت الأعز، وغيرهم من علماء الفقه والقضاء.

وقد أسهم هؤلاء الشيوخ في تكوين شخصيته العلمية، فجمع بين الرواية والدراية، وبين المعرفة الواسعة بالنصوص والقدرة على التخريج والترجيح. ولهذا برز في وقت مبكر وصار من أئمة المذهب المعتمدين.

أما تلاميذه فقد كان في مقدمتهم الإمام تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ)، الذي أخذ عنه الفقه وتأثر بتحقيقاته ومنهجه في النظر والترجيح. وقد أثنى السبكي على شيخه ثناءً عظيماً، وعدّه من كبار أئمة الشافعية.

كما أخذ عنه جماعة من العلماء والفقهاء الذين أسهموا في نقل آرائه وترجيحاته إلى الأجيال اللاحقة، فكان لهم دور مهم في استمرار تأثير مدرسته الفقهية في مصر والشام.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي"[٢٨] أعظم مؤلفات ابن الرفعة وأوسعها. وهو شرح موسوعي على كتاب "الوسيط" للإمام الغزالي، جمع فيه أقوال المذهب وطرق الأصحاب وأدلتهم، مع مناقشات فقهية دقيقة

[٢٨] يمثّل كتاب المطلب العالي صلةً علمية مهمة بين الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وابن الرفعة (ت ٧١٠هـ)، إذ جاء شرحاً لكتاب الوسيط بعد أكثر من قرنين من تأليفه، مما يعكس استمرار العناية بتراث الغزالي الفقهي، وانتقاله إلى مرحلة جديدة من الشرح والتحرير والنقد داخل المذهب الشافعي.

وتحقيقات واسعة. وقد أصبح هذا الكتاب من أهم المراجع التي اعتمد عليها المتأخرون في دراسة المذهب الشافعي.[٢٩]

ومن أشهر كتبه أيضاً "كفاية النبيه في شرح التنبيه"، وهو شرح نفيس على كتاب "التنبيه" لأبي إسحاق الشيرازي، تميز بجمع النقول الكثيرة عن الأصحاب، وبيان الخلافات الفقهية، وتحرير مواضع الاتفاق والاختلاف. ويُعد من أهم الشروح الفقهية في المذهب الشافعي.

ولابن الرفعة كذلك مصنفات أخرى في الفقه والأصول والفتاوى، تدل على رسوخ قدمه في العلوم الشرعية. وقد استفاد من كتبه كبار أئمة المرحلة اللاحقة، ولا سيما الإسنوي والسبكي والبلقيني والزركشي، الذين أكثروا من النقل عنه ومناقشة تحقيقاته.

ويُعد ابن الرفعة حلقة مهمة في تطور المذهب الشافعي؛ إذ مثّل مرحلة الانتقال من عصر الشروح الكبرى إلى عصر التحرير والنقد الفقهي، وأسهم في إعادة النظر في كثير من مسائل المذهب، فكان من أبرز الأئمة الذين مهدوا لجهود المحققين من بعده.

ج. تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦هـ)

هو الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي الشافعي، أحد كبار أئمة الشافعية في القرن الثامن الهجري. وُلد سنة ٦٨٣هـ بقرية سبك العبيد من أعمال

---

[٢٩] يمثّل كتاب المطلب العالي صلةً علمية مهمة بين الغزالي (ت ٥٠٥هـ) وابن الرفعة (ت ٧١٠هـ)، إذ جاء شرحاً لكتاب الوسيط بعد أكثر من قرنين من تأليفه، مما يعكس استمرار العناية بتراث الغزالي الفقهي، وانتقاله إلى مرحلة جديدة من الشرح والتحرير والنقد داخل المذهب الشافعي.

المنوفية بمصر، وإليها نُسبت أسرته. نشأ في بيت علم وصلاح، فحفظ القرآن الكريم في صغره، واشتغل بالعلوم الشرعية منذ حداثة سنه، حتى ظهرت عليه أمارات النبوغ والتفوق.

تلقى الإمام السبكي العلم على كبار علماء عصره في مصر، فدرس الفقه الشافعي وأصول الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية. وكان واسع الاطلاع قوي الحفظ سريع الفهم، حتى برع في فنون متعددة، وتصدر للتدريس والإفتاء في سن مبكرة. وقد أثنى عليه العلماء ووصفوه بسعة العلم وقوة الاستنباط وحسن التحقيق.

انتقل السبكي بعد ذلك إلى بلاد الشام، فازداد شأنه العلمي، وتولى التدريس في عدد من المدارس الكبرى، ثم أسندت إليه مناصب قضائية رفيعة، كان أبرزها منصب قاضي القضاة بدمشق. وقد جمع في شخصيته بين الفقيه والأصولي والمحدث والمفسر، فكان مرجعًا للعلماء والطلاب في مختلف العلوم الإسلامية.

ويُعَدُّ الإمام السبكي من أبرز أئمة المذهب الشافعي بعد الرافعي والنووي، وقد أسهم في استكمال حركة تحرير المذهب وترسيخ قواعده. وكان شديد العناية بكتب المتقدمين، ولا سيما مؤلفات الرافعي والنووي، كما اشتهر بدقة النظر في المسائل الفقهية والأصولية، وبالقدرة على الجمع بين الرواية والدراية، حتى عُدَّ من كبار المحققين في المذهب.

توفي الإمام تقي الدين السبكي بدمشق سنة ٧٥٦هـ بعد حياة حافلة بالتعليم والقضاء والتأليف والإفتاء. وقد خلف تراثًا علميًا ضخمًا في الفقه وأصوله والحديث والعقيدة وغيرها من العلوم، وظلت مؤلفاته موضع عناية العلماء وطلاب العلم قرونًا متطاولة، مما جعله واحدًا من أعظم أعلام المذهب الشافعي في القرن الثامن الهجري.

مؤلفاته وأعماله العلمية

ترك الإمام تقي الدين السبكي عددًا كبيرًا من المصنفات في الفقه وأصول الفقه والحديث والعقيدة والردود العلمية، وتُعَدُّ مؤلفاته من أهم ما أُلِّف في القرن الثامن الهجري. ومن أشهرها كتاب "جمع الجوامع" في أصول الفقه، وهو من أهم المتون الأصولية عند المتأخرين، إذ جمع فيه خلاصة مباحث الأصول ورتبها ترتيبًا محكمًا، فحظي بعناية واسعة من العلماء شرحًا واختصارًا وحاشية.

ومن مؤلفاته الأصولية أيضًا كتاب "الإبهاج في شرح المنهاج"، وهو شرح لكتاب "منهاج الوصول" للبيضاوي. ويُعَدُّ من أهم شروح المنهاج، وقد أظهر فيه مؤلفه سعة اطلاعه على أقوال الأصوليين ودقة مناقشاته العلمية، فصار مرجعًا مهمًا لدارسي أصول الفقه الشافعي.

وفي مجال الفقه ألَّف السبكي عددًا من الفتاوى والرسائل العلمية، من أشهرها "فتاوى السبكي"، التي اشتملت على مسائل فقهية وقضائية متنوعة، وأظهرت مكانته في الإفتاء والاجتهاد المذهبي. كما ترك تعليقات واستدراكات على عدد من كتب الشافعية، وأسهم في تحرير كثير من مسائل المذهب.

أما في العقيدة والجدل العلمي فمن أشهر مؤلفاته "شفاء السقام في زيارة خير الأنام"، الذي دافع فيه عن مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ والرحلة إليها، وناقش فيه اعتراضات بعض العلماء مناقشة علمية مفصلة. كما ألَّف "الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية" وغيرها من الرسائل العقدية التي تعكس مكانته في علم الكلام والعقيدة.

وله كذلك مؤلفات في الحديث والتفسير واللغة، منها "معيد النعم ومبيد النقم"، و"الابتهاج في شرح المنهاج"، ورسائل متعددة في النوازل والمسائل العلمية. وقد بلغ عدد مصنفاته عشرات الكتب والرسائل، وصل كثير منها إلينا مطبوعًا، بينما فُقد بعضها أو بقي مخطوطًا. وتمثل هذه

المؤلفات جانبًا مهمًا من التراث الشافعي في مرحلة الشرح الكبير والتحرير، وتدل على المكانة العلمية الرفيعة التي بلغها الإمام تقي الدين السبكي في عصره.

ح. تاج الدين السبكي (٧٢٧–٧٧١هـ)

هو الإمام العلامة المؤرخ الفقيه الأصولي أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، المشهور بتاج الدين السبكي، أحد كبار أئمة الشافعية في القرن الثامن الهجري. وُلد بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ في بيت علم ورياسة؛ فأبوه هو الإمام تقي الدين السبكي، أحد أعلام المذهب الشافعي وقاضي القضاة بدمشق. نشأ تاج الدين في بيئة علمية متميزة، فحفظ القرآن الكريم واشتغل بالعلوم الشرعية منذ صغره، وظهرت عليه أمارات النبوغ مبكرًا.

تلقى علومه على والده وعلى كبار علماء مصر والشام، فبرع في الفقه الشافعي وأصول الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب والتاريخ. وقد جمع بين كثرة الحفظ وسعة الاطلاع وحسن التصنيف، حتى صار من أبرز علماء عصره، وتولى التدريس والإفتاء والقضاء، وبرز اسمه بين كبار فقهاء الشافعية في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري.

انتقل تاج الدين مع والده إلى دمشق، وهناك ازداد نضجه العلمي واتسعت معارفه، فتولى عددًا من الوظائف العلمية والقضائية. وقد عُرف بقوة الشخصية وسرعة البديهة وحسن المناظرة، كما اشتهر بعلو الهمة وكثرة الاشتغال بالتأليف والبحث، فترك تراثًا علميًا متنوعًا في الفقه والأصول والتاريخ والطبقات.

واتصف الإمام تاج الدين بالأخلاق الحسنة وحب العلم والإنصاف للعلماء، وكان شديد التقدير لأئمة المذاهب والفقهاء المتقدمين. كما عُرف بالتواضع مع أهل العلم، وبالحرص على خدمة التراث الإسلامي وحفظ سير العلماء، وهو ما يظهر بوضوح في كتبه التاريخية وكتب الطبقات.

أما منهجه الفقهي فكان قائمًا على تحرير المذهب الشافعي وشرح أقوال أئمته، مع العناية بأصول الفقه وقواعد الاستدلال. وقد سار على نهج والده تقي الدين السبكي في الجمع بين الفقه والأصول والنظر المقاصدي، مع اهتمام كبير ببيان طبقات العلماء ومناهجهم العلمية وأثرهم في تطور المذهب.

وفي العقيدة كان تاج الدين السبكي على مذهب أهل السنة والجماعة وفق المدرسة الأشعرية التي كان عليها كبار الشافعية في عصره. وقد دافع عن عقائد أهل السنة في عدد من مؤلفاته، كما اهتم ببيان مناهج العلماء في العقيدة والرد على المخالفين، مع التزام الأدب العلمي والاحتجاج بالأدلة الشرعية والعقلية.

توفي الإمام تاج الدين السبكي بدمشق سنة ٧٧١هـ، وهو في الرابعة والأربعين من عمره تقريبًا. وعلى الرغم من قصر عمره فقد خلّف مؤلفات عظيمة أصبحت من أهم مصادر الفقه الشافعي وتاريخه، وحفظت جانبًا كبيرًا من تراث علماء الإسلام.

شيوخه وتلاميذه

كان والده الإمام تقي الدين السبكي أبرز شيوخه وأكثرهم أثرًا في تكوينه العلمي، كما أخذ عن جماعة من كبار علماء عصره في مصر والشام، منهم الحافظ شمس الدين الذهبي، والحافظ المزي، وغيرهما من أئمة الحديث والفقه. وقد جمع في تحصيله بين علوم الرواية والدراية، مما أكسبه مكانة رفيعة بين علماء عصره.

أما تلاميذه فانتفع به عدد من فقهاء الشافعية وطلاب العلم في دمشق والقاهرة، ورووا عنه مؤلفاته وأفادوا من دروسه. كما امتد تأثيره العلمي من خلال كتبه أكثر من امتداده من خلال كثرة التلاميذ، إذ أصبحت مصنفاته مراجع أساسية للباحثين في تاريخ المذهب الشافعي وطبقات علمائه.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعَدُّ كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" أشهر مؤلفات تاج الدين السبكي وأعظمها أثرًا. جمع فيه تراجم فقهاء الشافعية منذ عصر الإمام الشافعي إلى عصره، وذكر أخبارهم وشيوخهم وتلاميذهم ومؤلفاتهم ومكانتهم العلمية. ويُعد هذا الكتاب من أهم مصادر تاريخ المذهب الشافعي وطبقات علمائه.

ومن مؤلفاته المهمة أيضًا "جمع الجوامع" في أصول الفقه، وهو من أشهر المتون الأصولية عند المتأخرين، جمع فيه خلاصة مباحث الأصول من كتب المتقدمين، فصار محورًا لعشرات الشروح والحواشي. كما ألّف كتاب "رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب"، وهو من أهم كتبه الأصولية وأوسعها.

وفي الفقه الشافعي ألّف "ترشيح التوشيح" و"الأشباه والنظائر"، كما ترك عددًا من الفتاوى والرسائل العلمية التي تعكس تمكنه من الفقه والأصول. وامتازت هذه المؤلفات بدقة التحرير وحسن الترتيب وكثرة النقول عن أئمة المذهب.

وله كذلك مؤلفات في التاريخ والأدب والعقيدة، منها "معيد النعم ومبيد النقم" الذي تناول فيه أحوال الوظائف العلمية والدينية في عصره، وكتاب "السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل" في العقيدة. وتدل هذه الأعمال على سعة ثقافته وتنوع اهتماماته العلمية.

وتتمثل أهمية أعمال تاج الدين السبكي في أنها جمعت بين خدمة المذهب الشافعي من جهة، وحفظ التراث العلمي والتاريخي لعلمائه من جهة أخرى. ولذلك يُعد من أعظم المؤرخين والطبقاتيين في تاريخ الإسلام، ومن أبرز أئمة الشافعية في القرن الثامن الهجري.

خ. جمال الدين الإسنوي (٧٠٤–٧٧٢هـ)

هو الإمام الفقيه الأصولي المحدث جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن الثامن الهجري، ومن أبرز علماء مرحلة الشرح الكبير والتحرير. وُلد سنة ٧٠٤هـ بمدينة إسنَا في صعيد مصر، وإليها نُسب، ونشأ في بيئة صالحة محبة للعلم، فحفظ القرآن الكريم في صغره، وأقبل على دراسة العلوم الشرعية منذ حداثة سنه.

انتقل الإسنوي إلى القاهرة، التي كانت آنذاك من أعظم المراكز العلمية في العالم الإسلامي، فتلقى العلم على كبار شيوخها، وبرع في الفقه الشافعي وأصول الفقه والحديث والعربية. وقد أظهر نبوغًا مبكرًا، حتى صار من كبار مدرسي المذهب الشافعي، وتولى التدريس والإفتاء في عدد من المدارس العلمية، واشتهر بين معاصريه بسعة المعرفة وقوة الاستحضار.

عُرف الإمام الإسنوي بالاجتهاد في طلب العلم وكثرة المطالعة والتحقيق، وكان شديد العناية بكتب المتقدمين، ولا سيما مؤلفات الرافعي والنووي وتقي الدين السبكي. وقد كرّس جهوده لتحرير مسائل المذهب ومراجعة أقوال الأصحاب، حتى أصبح من كبار المحققين الذين أسهموا في ضبط المذهب الشافعي وتحرير مسائله في القرن الثامن الهجري.

واتصف بالأخلاق الحسنة والتواضع والوقار، وكان زاهدًا في المناصب الدنيوية، مقبلًا على التعليم والتأليف. وقد أثنى عليه مترجموه لما عرفوا فيه من حسن السيرة وكثرة الاشتغال بالعلم والعبادة، كما عُرف بالإنصاف في البحث العلمي واحترامه لأئمة المذهب ومن سبقه من العلماء.

أما منهجه الفقهي فكان قائمًا على دراسة نصوص المذهب دراسة نقدية دقيقة، مع العناية ببيان المعتمد والترجيح بين الأقوال. وقد أكثر من استدراكاته على بعض المتأخرين، ولا سيما في مسائل الرافعي والنووي،

مع محافظته على أصول المذهب وقواعده. ولذلك يُعد من أبرز المحررين الذين مهدوا لمرحلة التحقيق والاعتماد عند الشافعية.

وفي العقيدة كان الإمام الإسنوي على مذهب أهل السنة والجماعة وفق المدرسة الأشعرية التي كانت الغالبة على علماء الشافعية في عصره. وقد ظهر ذلك في مؤلفاته الأصولية والعقدية، حيث سار على منهج أئمة الأشاعرة في تقرير مسائل الاعتقاد مع التمسك بالنصوص الشرعية وأقوال السلف.

توفي الإمام الإسنوي سنة ٧٧٢هـ بالقاهرة بعد حياة حافلة بالتدريس والتأليف والإفتاء، وترك تراثًا علميًا مهمًا في الفقه والأصول والحديث والتراجم. وقد ظل أثره ظاهرًا في كتب الشافعية المتأخرة التي اعتمدت على تحقيقاته واستدراكاته في كثير من المسائل.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الإسنوي العلم عن عدد من كبار علماء عصره، ومن أشهر شيوخه الإمام تقي الدين السبكي الذي تأثر به كثيرًا في الفقه والأصول، كما أخذ عن جماعة من المحدثين والفقهاء في مصر. وقد أفاد من المدرسة العلمية التي ازدهرت في القاهرة ودمشق في القرن الثامن الهجري، والتي كانت امتدادًا لجهود الرافعي والنووي في تحرير المذهب.

أما تلاميذه فكانوا من فقهاء الشافعية وطلاب المدارس العلمية في مصر، وقد نقلوا مؤلفاته ورووا كتبه، وأسهموا في نشر آرائه العلمية. كما أن تأثيره العلمي ظهر بصورة أكبر من خلال مصنفاته التي أصبحت مراجع مهمة للمحققين من فقهاء المذهب في العصور اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "المهمات في شرح الروضة والرافعي" من أشهر مؤلفات الإسنوي وأعظمها أثرًا، وقد جمع فيه استدراكاته وتحقيقاته على الإمامين

الرافعي والنووي، مبينًا مواضع الخلاف والترجيح والتصحيح. وقد أصبح هذا الكتاب من أهم مصادر التحرير الفقهي عند الشافعية.

ومن مؤلفاته المهمة أيضًا "نهاية السول شرح منهاج الوصول"، وهو من أشهر كتب أصول الفقه عند الشافعية، شرح فيه كتاب "منهاج الوصول" للبيضاوي شرحًا علميًا دقيقًا، فجمع بين التحرير وحسن العرض وكثرة النقول عن الأصوليين.

وله كذلك كتاب "جواهر البحرين في تناقض الحبرين"، وهو من أشهر كتبه الجدلية في الفقه الشافعي، ناقش فيه بعض المسائل المتعلقة بتحريرات الرافعي والنووي. كما ألّف كتبًا ورسائل أخرى في أصول الفقه والفتاوى والحديث والتراجم، تدل على سعة اطلاعه وقوة ملكته العلمية.

وتبرز أهمية مؤلفات الإسنوي في أنها تمثل مرحلة متقدمة من مراحل تحرير المذهب الشافعي؛ فقد انتقل فيها من مجرد نقل أقوال الأئمة إلى مناقشتها وتحقيقها ومراجعتها. ولذلك يُعد حلقة مهمة بين عصر الرافعي والنووي وعصر ابن حجر الهيتمي والرملي، وأسهمت أعماله في تمهيد الطريق لمرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد التي ازدهرت في القرون التالية.

د. البلقيني (٧٢٤هـ - ٨٠٥هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المحدث الأصولي سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير البلقيني الشافعي، أحد كبار أئمة الشافعية في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجريين. وُلد سنة ٧٢٤هـ في قرية بلقينة من أعمال محافظة الغربية بمصر، وإليها نُسب. نشأ في أسرة عُرفت بالصلاح والعناية بالعلم، فحفظ القرآن الكريم في صغره، وأقبل على طلب العلوم الشرعية منذ نعومة أظفاره.

انتقل البلقيني إلى القاهرة، التي كانت يومئذٍ مركزًا علميًا كبيرًا، فتلقى العلم على كبار علماء عصره في الفقه والحديث والأصول واللغة. وقد برزت مواهبه العلمية مبكرًا، فاشتهر بسرعة الحفظ وقوة الفهم وسعة الاطلاع، حتى أصبح من كبار علماء مصر والشام، وتولى التدريس والإفتاء في المدارس الكبرى، ثم انتهت إليه رئاسة الفقه الشافعي في عصره.

تميّزت مسيرته العلمية بالتنوع والشمول؛ فقد جمع بين علوم الفقه وأصوله والحديث وعلومه والتفسير واللغة. وكان كثير الاشتغال بالتعليم والتأليف والإفتاء، فقصده الطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية. وقد عُرف بين معاصريه بأنه من أعلم أهل زمانه بالمذهب الشافعي، حتى عُدَّ من كبار المحققين الذين حفظوا تراث الرافعي والنووي ونقلوه إلى الأجيال اللاحقة.

واتصف الإمام البلقيني بالأخلاق الفاضلة والتواضع والورع، وكان مشهورًا بالزهد في الدنيا والإقبال على العلم والعمل. كما عُرف بالإنصاف في البحث العلمي وبُعده عن التعصب، وكان حريصًا على نفع الطلاب ونشر العلم. وقد أثنى عليه العلماء ثناءً عظيمًا، ووصفوه بالإمامة في الفقه والحديث، وبأنه من كبار حفاظ الشريعة في عصره.

أما منهجه الفقهي فقام على تحرير المذهب الشافعي والعناية بترجيحات الرافعي والنووي مع مراجعتها وتحقيقها. وقد جمع بين احترام التراث المذهبي والنظر النقدي في المسائل الفقهية، فكان من أبرز العلماء الذين مهدوا لمرحلة الاعتماد والتحقيق في القرون اللاحقة. كما اهتم بتخريج الفروع على الأصول، وببيان الراجح في مسائل الخلاف داخل المذهب.

وفي العقيدة كان الإمام البلقيني على مذهب أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة الذي كان سائدًا بين كبار علماء الشافعية في عصره. كما كان متمسكًا بالحديث النبوي وعلومه، جامعًا بين الدراسة الكلامية السنية والعناية بالنصوص الشرعية، وهو ما يظهر في مؤلفاته ومواقفه العلمية.

توفي الإمام سراج الدين البلقيني سنة ٨٠٥هـ بالقاهرة، بعد حياة حافلة بالتدريس والإفتاء والتأليف. وقد خلّف تراثًا علميًا ضخمًا، وتتلمذ عليه عدد كبير من كبار العلماء، فأصبح حلقة وصل مهمة بين مدرسة التحرير في القرن الثامن ومدرسة التحقيق والاعتماد في القرن التاسع الهجري.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام البلقيني العلم عن عدد كبير من علماء عصره، ومن أشهر شيوخه الإمام جمال الدين الإسنوي، والإمام تقي الدين السبكي، وجماعة من كبار المحدثين والفقهاء في مصر والشام. وقد استفاد من المدرسة العلمية التي أسسها الرافعي والنووي ثم طورها السبكي والإسنوي، فكان امتدادًا طبيعيًا لهذه السلسلة العلمية المتميزة.

أما تلاميذه فكانوا من أعلام الإسلام في القرن التاسع الهجري، ومن أشهرهم ابنه جلال الدين البلقيني، والإمام ابن حجر العسقلاني، والإمام بدر الدين العيني، وجماعة كبيرة من الفقهاء والمحدثين. وقد حمل هؤلاء تراثه العلمي وأسهموا في نشره في مختلف الأقطار الإسلامية.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام البلقيني عددًا كبيرًا من المؤلفات والفتاوى والتعليقات في الفقه والحديث وأصول الفقه. ومن أشهر أعماله الفتاوى البلقينية، وهي مجموعة كبيرة من المسائل الفقهية التي تبين سعة علمه وقوة استنباطه، وقد اعتمد عليها كثير من المتأخرين من فقهاء الشافعية.

ومن أهم جهوده العلمية تعليقاتُه واستدراكاتُه على كتب المذهب الشافعي، ولا سيما مؤلفات الرافعي والنووي والإسنوي. وقد عُرف بدقة التحقيق وكثرة التحرير للمسائل المشكلة، مما جعله مرجعًا مهمًا لمن جاء بعده من علماء المذهب.

وله كذلك مؤلفات في الحديث وعلومه، وفي أصول الفقه والقواعد الشرعية، كما ترك عددًا من الرسائل العلمية والنوازل والفتاوى التي تناولت قضايا عصره. وقد ضاع بعض هذه المؤلفات أو بقي مخطوطًا، بينما وصل إلينا بعضها مطبوعًا أو منقولًا في كتب المتأخرين.

وتكمن أهمية أعمال الإمام البلقيني في أنها تمثل المرحلة الأخيرة من عصر التحرير الفقهي قبل ظهور عصر الاعتماد والحواشي. فقد جمع تراث الرافعي والنووي والسبكي والإسنوي، ثم نقله إلى الجيل الذي ظهر فيه ابن حجر الهيتمي والرملي وغيرهما من كبار فقهاء الشافعية، فكان بذلك من أهم حلقات التطور التاريخي للمذهب الشافعي.

ذ. الزركشي (٧٤٥–٧٩٤هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه الأصولي المفسر المحدث بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي، أحد كبار علماء الشافعية في القرن الثامن الهجري، ومن أبرز المحققين في أواخر مرحلة الشرح الكبير والتحرير، والممهدين لمرحلة التحقيق والاعتماد في المذهب الشافعي.

وُلِد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ، ونشأ في بيئة علمية مزدهرة، فأقبل على طلب العلم منذ صغره، ودرس الفقه الشافعي وأصوله والحديث وعلوم القرآن واللغة العربية. وقد عُرف بحدة الذكاء، وشدة الاجتهاد في التحصيل، وكثرة المطالعة، حتى أصبح من كبار علماء عصره في عدد من العلوم الشرعية.

تلقى الزركشي العلم على جماعة من كبار العلماء، ومن أشهر شيوخه الإمام جمال الدين الإسنوي، والإمام سراج الدين البلقيني، كما أخذ عن عدد من المحدثين واللغويين والفقهاء الذين كانت تزخر بهم القاهرة في عصره. وقد أسهمت هذه البيئة العلمية في تكوين شخصيته الموسوعية، فجمع بين الفقه والأصول والتفسير والحديث.

امتدت مسيرته العلمية لجهود المحققين من الشافعية بعد الرافعي والنووي، واستفادت من أعمال السبكي والإسنوي وغيرهما. وتميز بمنهج قائم على جمع الأقوال والنقول، ومناقشتها وتحليلها، وربط الفروع بأصولها، مع عناية خاصة بالقواعد الفقهية والأصولية. ولهذا عُدَّ من كبار المحررين في المذهب الشافعي.

واتصف الإمام الزركشي بالتواضع والزهد والانصراف إلى العلم والتأليف، حتى اشتهر بكثرة الاشتغال بالمطالعة والتصنيف. وقد أثنى عليه مترجموه لحسن خلقه، وإنصافه العلمي، ودقته في تحرير المسائل، وبعده عن التعصب.

وكان الزركشي على عقيدة أهل السنة والجماعة وفق المدرسة الأشعرية التي سادت بين علماء الشافعية في عصره، وقد ظهر ذلك في مؤلفاته الأصولية والتفسيرية التي جمعت بين النظر العقلي والاستدلال بالنصوص الشرعية.

وتتمثل مكانة الزركشي في المذهب الشافعي في كونه من أبرز العلماء الذين جمعوا تراث الرافعي والنووي والسبكي والإسنوي، وقاموا بتحريره وتقعيده وترتيبه. كما أسهمت مؤلفاته في ترسيخ منهج التحقيق الأصولي والفقهي الذي ازدهر عند الشافعية في القرون اللاحقة، ولذلك يُعد من كبار الممهدين لمرحلة الاعتماد والحواشي.

توفي الإمام بدر الدين الزركشي بالقاهرة سنة ٧٩٤هـ، بعد حياة حافلة بالتأليف والتعليم والبحث العلمي، تاركًا تراثًا علميًا واسعًا ظل محل عناية العلماء والباحثين عبر العصور.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الزركشي العلم عن عدد من كبار علماء عصره، ومن أشهرهم جمال الدين الإسنوي، وسراج الدين البلقيني، وغيرهما من فقهاء الشافعية ومحدثي مصر. وقد تأثر بمنهجهم في التحقيق والتدقيق العلمي، واستفاد من الحركة العلمية النشطة التي شهدتها القاهرة في القرن الثامن الهجري.

أما تلاميذه فلم يبلغوا من الشهرة ما بلغه شيوخه، ويرجع ذلك إلى انشغاله الواسع بالتأليف وقصر عمره نسبيًا، إلا أن أثره العلمي تجاوز حدود التلقين المباشر، وانتشر من خلال مؤلفاته التي أصبحت مراجع أساسية للفقهاء والأصوليين والمفسرين في العصور اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "البحر المحيط في أصول الفقه" من أعظم مؤلفات الزركشي وأشهرها، وهو موسوعة أصولية ضخمة جمع فيها أقوال الأصوليين من مختلف المذاهب، ورتبها ونقدها وناقشها بأسلوب علمي دقيق، فصار من أهم المراجع في علم أصول الفقه.

ومن أشهر كتبه أيضًا "المنثور في القواعد الفقهية"، الذي جمع فيه عددًا كبيرًا من القواعد الفقهية ورتبها على أبواب الفقه، فكان من أوائل المؤلفات الجامعة في هذا الفن عند الشافعية، وأفاد منه من جاء بعده من أصحاب كتب القواعد والأشباه والنظائر.

وفي علوم القرآن ألّف كتابه الشهير "البرهان في علوم القرآن"، وهو من أهم الموسوعات في هذا العلم، جمع فيه مباحث علوم القرآن المختلفة من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات والإعجاز وغيرها، فصار مرجعًا أساسيًا للمفسرين والباحثين.

وله كذلك مؤلفات فقهية وحديثية مهمة، من أشهرها "خادم الرافعي والروضة" في الفقه الشافعي، و"تشنيف المسامع بجمع الجوامع" في

أصول الفقه، و"الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" في الحديث، إلى جانب عدد كبير من الكتب والرسائل في الفقه والتفسير والحديث واللغة.

وتبرز أهمية مؤلفات الزركشي في جمعها بين التحقيق الموسوعي والتحرير الفقهي والأصولي، مما جعلها مصادر رئيسة للباحثين والعلماء، وأسهم في ترسيخ مكانته بوصفه أحد أعلام المذهب الشافعي وأبرز المحققين في القرن الثامن الهجري.

ر. ابن الملقن (٧٢٣-٨٠٤ هـ)

هو الإمام الحافظ الفقيه المحدث الأصولي سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المصري الشافعي، المشهور بابن الملقن، أحد كبار علماء الشافعية في القرن الثامن الهجري، ومن أبرز أئمة الحديث والفقه في عصره. وُلد بالقاهرة سنة ٧٢٣هـ، ونشأ يتيم الأب تقريبًا، فكفله أحد العلماء المعروفين بلقب "الملقن"، فنُسب إليه واشتهر بهذه النسبة أكثر من اسمه الحقيقي.

نشأ ابن الملقن في القاهرة، التي كانت آنذاك من أهم مراكز العلم في العالم الإسلامي، فحفظ القرآن الكريم واشتغل بطلب العلوم الشرعية منذ صغره. وأظهر نبوغًا ملحوظًا في الفقه والحديث، فحرص على حضور مجالس العلماء، وأخذ عن كبار المحدثين والفقهاء في مصر والشام والحجاز، حتى جمع علمًا واسعًا في مختلف الفنون.

تدرج في مسيرته العلمية حتى أصبح من كبار المدرسين والمفتين في المذهب الشافعي، وتولى التدريس في عدد من المدارس العلمية المرموقة. وقد اشتهر بسعة الحفظ وكثرة التصنيف، حتى عدّه المؤرخون من أكثر علماء عصره تأليفًا. وكان يجمع بين الفقه والحديث، ويحرص على ربط الأحكام الفقهية بأدلتها من الكتاب والسنة.

واتصف الإمام ابن الملقن بحسن الخلق والتواضع والجد في طلب العلم ونشره. وقد عُرف بكثرة الاشتغال بالمطالعة والتأليف والتدريس، حتى قضى معظم حياته بين الكتب والمجالس العلمية. كما كان بعيدًا عن التكلف ومظاهر الترف، ميالًا إلى الزهد والورع والاهتمام بما ينفع المسلمين في دينهم.

أما منهجه الفقهي فكان قائمًا على خدمة المذهب الشافعي وتحقيق مسائله، مع عناية خاصة بالأدلة الحديثية. وقد استفاد من تحريرات الرافعي والنووي والسبكي والإسنوي، ثم عمل على شرحها وتوثيق أدلتها وتخريج أحاديثها. ولذلك يُعد من أبرز العلماء الذين جمعوا بين الفقه الشافعي وعلوم الحديث في القرن الثامن الهجري.

وفي العقيدة كان ابن الملقن على مذهب أهل السنة والجماعة، وسار على ما كان عليه جمهور الشافعية في عصره من الانتساب إلى المدرسة الأشعرية. كما عُرف بعنايته بعلوم الحديث والسنة، وحرصه على الجمع بين الدراسة العقدية والاعتماد على النصوص الشرعية وأقوال السلف.

توفي الإمام ابن الملقن سنة ٨٠٤هـ بالقاهرة بعد حياة حافلة بالتعليم والتأليف. وقد خلّف تراثًا علميًا ضخمًا في الفقه والحديث والتراجم والأصول، وأصبح من أبرز الشخصيات العلمية التي ربطت بين عصر التحرير الشافعي وعصر التحقيق والاعتماد في القرون اللاحقة.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام ابن الملقن العلم عن عدد كبير من علماء عصره، ومن أشهر شيوخه الإمام تقي الدين السبكي، والإمام جمال الدين الإسنوي، والحافظ المزي، والحافظ الذهبي، وغيرهم من كبار المحدثين والفقهاء. وقد أفاد من مدارس الفقه والحديث في مصر والشام، فجمع بين الرواية والدراية على نحو متميز.

أما تلاميذه فكانوا كثيرين، ومن أشهرهم الحافظ ابن حجر العسقلاني الذي انتفع بمصنفاته وروى عنه، كما أخذ عنه عدد كبير من فقهاء الشافعية ومحدثي مصر. وقد كان لكتبه أثر واسع في الأجيال اللاحقة، حتى إن كثيرًا من مؤلفاته أصبحت مصادر أساسية لمن جاء بعده من العلماء.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير" من أشهر مؤلفات ابن الملقن وأعظمها نفعًا، وقد جمع فيه الأحاديث الواردة في كتاب "الشرح الكبير" للرافعي، مع دراسة أسانيدها وبيان درجاتها. ويُعد هذا الكتاب من أهم المؤلفات في خدمة الفقه الشافعي من جهة الحديث.

ومن أشهر كتبه الفقهية "عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج"، و"الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، و"التوضيح لشرح الجامع الصحيح". كما ألّف عددًا من الكتب التي تجمع بين الفقه والحديث، مما يدل على تمكنه في كلا المجالين.

وله أيضًا كتاب "خلاصة البدر المنير"، وكتاب "طبقات الأولياء"، وكتاب "العقد المذهب في طبقات حملة المذهب"، وهو من المصادر المهمة في تراجم فقهاء الشافعية. كما ترك مؤلفات في أصول الفقه واللغة والسيرة النبوية والتاريخ.

وتتميز أعمال ابن الملقن بكثرة الجمع والاستيعاب وحسن الترتيب، كما تظهر فيها عناية واضحة بربط الفقه بأدلته الحديثية. ولذلك يُعد من أبرز علماء الشافعية الذين أسهموا في ترسيخ منهج فقه الحديث داخل المذهب، ومهدوا لجهود المحققين من المتأخرين.

وقد كان لتراثه أثر بالغ في تطور المذهب الشافعي؛ إذ استفاد منه العلماء الذين جاؤوا بعده، ولا سيما في مجالات التخريج الحديثي والتحرير الفقهي

والتراجم، مما جعل اسمه حاضرًا بقوة في المصادر الشافعية والحديثية إلى يومنا هذا.

أما تلاميذه فكانوا كثيرين نظرًا لإقامته الطويلة بمكة المكرمة. فقد تتلمذ عليه علماء من الحجاز واليمن والهند وحضرموت وبلاد الملايو، ونقلوا آراءه وكتبه إلى أوطانهم. وقد كان لهؤلاء التلاميذ دور مهم في نشر المدرسة الهيتمية في الفقه الشافعي وترسيخها في المؤسسات العلمية والمدارس الشرعية.

المرحلة الخامسة

مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد (١٢–٩هـ)

لمحة عن المرحلة الخامسة

تمثل هذه المرحلة آخر المراحل الكبرى في اكتمال البناء التقليدي للمذهب الشافعي؛ ففيها انتقلت جهود العلماء من تحرير المذهب وترجيح أقواله إلى تحقيق المعتمد منه، وشرح متونه، ووضع الحواشي والتقريرات التي تضبط الفتوى والقضاء. وقد قامت هذه المرحلة على الأساس الذي أرساه الشيخان الرافعي والنووي، ثم خدمه علماء القرنين الثامن والتاسع من أمثال السبكي والإسنوي والزركشي والبلقيني وابن الملقن. وأصبحت مؤلفات هؤلاء مادةً علميةً يعتمد عليها المتأخرون في الشرح والتحقيق والاعتماد.

وفي مطلع هذه المرحلة برز عدد من كبار المحققين الذين انصبت جهودهم على دراسة كتب الشيخين وبيان معتمد المذهب. ومن أهمهم الإمام زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، الذي عُدَّ شيخ الشافعية في عصره. وقد ألّف كتبًا أصبحت من أصول التدريس والإفتاء، مثل أسنى المطالب شرح روض الطالب، وفتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، والغرر البهية. وقد كان زكريا الأنصاري حلقة الوصل بين مدرسة التحرير المتأخرة ومدرسة الاعتماد التي ازدهرت بعده.

ثم جاء تلامذته ومن تأثر بمدرسته، وفي مقدمتهم الإمام ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) والإمام شمس الدين الرملي (ت ١٠٠٤هـ)، وهما أعظم فقهاء الشافعية في عصر الاعتماد. وقد اتجهت جهودهما إلى شرح منهاج الطالبين للنووي، فصنف ابن حجر كتابه تحفة المحتاج بشرح المنهاج، وصنف الرملي كتابه نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. وأصبح هذان الكتابان

المرجع الأكبر للفتوى عند الشافعية في معظم الأقطار الإسلامية، حتى دار كثير من الترجيح المتأخر حول أقوالهما واختياراتهما.

وشهدت هذه المرحلة كذلك ظهور عدد من الأئمة الذين خدموا المذهب بالشرح والتحشية والتقرير، مثل الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ) صاحب مغني المحتاج، وابن قاسم الغزي (ت ٩١٨هـ) صاحب فتح القريب المجيب، والشهاب الرملي (ت ٩٥٧هـ)، وعميرة البرلسي (ت ٩٥٧هـ)، وغيرهم من كبار فقهاء مصر والشام والحجاز. وقد أسهمت مؤلفاتهم في نشر المذهب وتيسير دراسته بين الطلاب والمفتين.

وفي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين ازدهرت حركة الحواشي والتقريرات على الكتب المعتمدة، ولا سيما على تحفة المحتاج ونهاية المحتاج ومغني المحتاج. فظهرت حواشي علماء كبار مثل الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ)، وعلي الشبراملسي، والزيادي (ت ١٠٢٤هـ)، والحلبي، والجمل (ت ١٢٠٤هـ)، وغيرهم. ولم تكن هذه الحواشي مجرد تعليقات مختصرة، بل تضمنت تحقيقات فقهية وتحريرات للمسائل وبيانًا لمواضع الإشكال والخلاف.

ومن أبرز خصائص هذه المرحلة استقرار مفهوم المعتمد في المذهب الشافعي. فقد أصبحت كتب الرافعي والنووي أصل المذهب، ثم صار النظر في ترجيحات ابن حجر الهيتمي والرملي عند بيان المعتمد في الفتوى. ولذلك انقسمت بعض البيئات العلمية إلى مدارس ترجيحية؛ فغلب اعتماد ابن حجر في الحجاز واليمن وحضرموت وكثير من بلاد الشام، بينما غلب اعتماد الرملي في مصر وما جاورها، مع بقاء الجميع داخل الإطار العام للمذهب الشافعي.

كما تميزت هذه المرحلة بقوة السلاسل العلمية واتصالها بالأجيال السابقة؛ فزكريا الأنصاري أخذ عن تلامذة البلقيني وابن الملقن، ثم تتلمذ عليه ابن

حجر الهيتمي والرملي ومن في طبقتهما، ثم نقل تلامذتهم هذا التراث إلى أصحاب الحواشي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر. وبهذا استمرت الحركة العلمية للمذهب متصلة الحلقات، مع المحافظة على الأصول التي وضعها المتقدمون.

وقد أصبحت المؤلفات المعتمدة في هذه المرحلة تدور غالبًا حول: منهاج الطالبين للنووي، وتحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي، ونهاية المحتاج للرملي، ومغني المحتاج للخطيب الشربيني، وأسنى المطالب وفتح الوهاب لزكريا الأنصاري. وشكلت هذه الكتب أساس التدريس والإفتاء والقضاء في معظم البيئات الشافعية حتى العصور المتأخرة.

والخلاصة أن السمة الغالبة لهذه المرحلة هي التحقيق، وتقرير المعتمد، وكثرة الحواشي والشروح، واستقرار المرجعية الفقهية للمذهب الشافعي حول مؤلفات الشيخين وما بُني عليها من شروح واعتمادات، مما هيأ لظهور حقبة المتأخرين والتجديد في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين.

المرحلة الخامسة	القرون	السمة الغالبة
الشرح الكبير والتحرير	١٢–٩هـ	استكمال تحرير المذهب، وبيان المعتمد في الفتوى، وكثرة الحواشي والتقريرات والشروح، واستقرار مرجعية الفتوى على كتب معينة، ولا سيما مؤلفات زكريا الأنصاري وابن حجر الهيتمي والرملي ومن جاء بعدهم

تراجم موجزة لفقهاء المرحلة الخامسة

شهدت المرحلة الخامسة من تاريخ المذهب الشافعي، الممتدة من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر الهجري، ازدهاراً علمياً كبيراً تمثل في استكمال تحرير المذهب وتنقيح مسائله، وترسيخ الكتب المعتمدة التي أصبحت مرجعاً للفتوى والتدريس في مختلف أقطار العالم الإسلامي. وفي هذه الحقبة انتقل اهتمام العلماء من مجرد جمع الأقوال والروايات إلى التحقيق والترجيح، وبيان المعتمد من غيره، وكتابة الحواشي والتعليقات التي خدمت المتون والشروح الكبرى للمذهب.

وقد برز في هذه المرحلة عدد من كبار الأئمة الذين أسهموا في تثبيت البناء الفقهي للمذهب الشافعي، ومن أبرزهم زكريا الأنصاري، وابن حجر الهيتمي، وشمس الدين الرملي، والخطيب الشربيني، وغيرهم من المحققين الذين أصبحت أقوالهم وتحريراتهم معتمدة عند المتأخرين. كما شهدت هذه الفترة انتشار المتون التعليمية وشروحها، واستمرار العناية بمتن أبي شجاع، والمنهاج للنووي، وغيرهما من الكتب التي ظلت محور التدريس في المدارس والمعاهد الإسلامية.

وقد انتهت رياسة المذهب في هذه المرحلة إلى مدرستي ابن حجر الهيتمي بمكة المكرمة، وشمس الدين الرملي بمصر، واعتمد المتأخرون تحريراتهما أساساً لكثير من الفتاوى والأحكام، فكان لذلك أثر بالغ في توحيد منهج الإفتاء داخل المذهب الشافعي.

وفيما يأتي تراجم موجزة لأبرز فقهاء هذه المرحلة، مع التعريف بحياتهم العلمية، وشيوخهم وتلاميذهم، وأهم مؤلفاتهم وإسهاماتهم في خدمة المذهب الشافعي، ليقف القارئ على الجهود التي أسهمت في استقرار المذهب بصورته التي عُرف بها في القرون المتأخرة.

أ. ابن رسلان الرملي (٧٧٣–٨٤٤هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المحدث المقرئ اللغوي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي، أحد كبار علماء الشافعية في القرن التاسع الهجري، ومن أبرز أعلام مرحلة التحقيق والتمهيد لعصر الاعتماد في المذهب. جمع بين الفقه والحديث والقراءات واللغة، واشتهر بالزهد والعبادة والتصنيف.

وُلِد بمدينة الرملة بفلسطين سنة ٧٧٣هـ، ونشأ في بيت علم وصلاح، ثم انتقل إلى بيت المقدس حيث تلقى العلوم الشرعية والعربية على عدد من كبار علماء عصره. وقد أقبل على العلم منذ صغره، فحفظ القرآن الكريم، ودرس الفقه الشافعي والحديث وعلوم العربية، حتى صار من أئمة عصره في هذه الفنون.

وتتلمذ على جماعة من العلماء، وكان من أبرز شيوخه الحافظ ابن حجر العسقلاني، والشمس القلقشندي، وغيرهما من أئمة القرن التاسع. وقد جمع في تكوينه العلمي بين الرواية والدراية، فبرز في الحديث كما برز في الفقه والأصول واللغة.

وعُرف ابن رسلان بالزهد والورع والانقطاع إلى العبادة، حتى وصفه مترجموه بأنه كان كثير التهجد والإقبال على الطاعة، بعيدًا عن التكلف ومظاهر الدنيا. كما كان على عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة، وسلك طريق التصوف السني المعتدل الذي اشتهر به كثير من علماء الشافعية في عصره.

وتتمثل أهمية ابن رسلان في أنه كان من كبار علماء المرحلة الانتقالية بين عصر المحررين المتقدمين وعصر الاعتماد المتأخر. فقد استفاد من جهود الرافعي والنووي والبلقيني وابن الملقن، ثم نقل هذا التراث إلى الجيل الذي

تلاه، فكان حلقة مهمة في تطور المذهب الشافعي خلال القرن التاسع الهجري.

وأقام ابن رسلان معظم حياته العلمية في بيت المقدس، حيث اشتغل بالتدريس والتأليف والإفادة، وقصده الطلاب للأخذ عنه. ومن أشهر تلاميذه الإمام الكمال بن أبي شريف المقدسي، الذي أصبح من كبار فقهاء الشافعية بعده.

وتوفي الإمام ابن رسلان ببيت المقدس سنة ٨٤٤هـ، بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتصنيف، وترك آثارًا علمية نافعة ظلت محل عناية العلماء في القرون اللاحقة.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام ابن رسلان العلم عن عدد من كبار علماء عصره، ومن أشهر شيوخه الحافظ ابن حجر العسقلاني، والشمس القلقشندي، وجماعة من فقهاء الشافعية ومحدثي الشام ومصر. وقد جمع عنهم علوم الفقه والحديث واللغة والقراءات.

أما تلاميذه فمن أشهرهم الكمال محمد بن أبي شريف المقدسي، وغيره من علماء بيت المقدس والشام الذين حملوا علمه ونشروا مؤلفاته في الأجيال اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام ابن رسلان تراثًا علميًا متنوعًا في الفقه والحديث واللغة والقراءات. ومن أشهر مؤلفاته "الزبد"، وهي منظومة فقهية شهيرة في المذهب الشافعي، لخص فيها المعتمد من مسائل الفقه بأسلوب سهل الحفظ، فأصبحت من أشهر المتون التعليمية في المذهب، واعتنى بها العلماء شرحًا وحاشيةً وتدريسًا.

ومن أعظم مؤلفاته "شرح سنن أبي داود"، وهو من أوسع شروح السنن، جمع فيه بين فقه الحديث وأحكام المذهب الشافعي، مع عناية كبيرة ببيان الأسانيد والعلل والمسائل اللغوية والفقهية. ويُعد من أهم مؤلفات الشافعية في خدمة السنة النبوية.

وله كذلك مؤلفات في العربية والقراءات، منها "إعراب ألفية ابن مالك"، وهو شرح وتعليق نفيس على ألفية ابن مالك، يدل على تمكنه في علوم اللغة والنحو. كما نظم في القراءات وعلوم القرآن، وترك عددًا من الرسائل والفوائد العلمية في فنون متعددة.

وتبرز أهمية أعماله العلمية في أنها جمعت بين التحقيق الفقهي والعناية بالحديث واللغة، وأسهمت في إعداد البيئة العلمية التي ازدهرت بعده في عصر زكريا الأنصاري وابن حجر الهيتمي والرملي. ولذلك يُعد ابن رسلان من أبرز أعلام القرن التاسع الهجري ومن الشخصيات المؤثرة في تاريخ المذهب الشافعي.

ب. ابن قاضي الشَّهبه (٧٧٩–٨٥١هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المؤرخ أبو بكر تقي الدين محمد بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الدمشقي الشافعي، المشهور بابن قاضي شُهبة، أحد كبار فقهاء الشافعية ومؤرخيهم في القرن التاسع الهجري، وإمام من أئمة الشام في الفقه والتاريخ والتراجم.

وُلِد بدمشق سنة ٧٧٩هـ في أسرة عُرفت بالعلم والقضاء، وكان جده يتولى القضاء في بلدة شُهبة بحوران، فنُسبت الأسرة إليه واشتهرت بلقب "ابن قاضي شُهبة". وقد نشأ في بيئة علمية ساعدته على التفرغ للعلم منذ صغره، فحفظ القرآن الكريم ودرس علوم الشريعة والعربية، وأقبل على الفقه والحديث والتاريخ.

وتلقى العلم على عدد من كبار علماء عصره، فدرس الفقه الشافعي وأصوله والحديث وعلومه، حتى أصبح من أبرز علماء دمشق. وقد جمع بين التبحر في الفقه والاهتمام بالتاريخ والتراجم، وهي سمة ظهرت بوضوح في مؤلفاته التي أصبحت من أهم مصادر الباحثين في تاريخ المذهب الشافعي.

وتصدّر ابن قاضي شُهبة للتدريس والإفتاء زمناً طويلاً، وانتفع به طلاب العلم في دمشق وغيرها من مدن الشام. كما تولى القضاء، فكان من أعيان الشافعية في عصره، واشتهر بالعلم والتحقيق وحسن المعرفة بأحوال العلماء وأخبارهم.

ولم تخلُ حياته من بعض المحن السياسية، فقد ارتبط اسمه ببعض الوقائع التي شهدتها دولة المماليك، مما أدى إلى عزله عن القضاء في أواخر حياته. غير أن ذلك لم يؤثر في نشاطه العلمي، إذ انصرف إلى التدريس والتأليف والتصنيف، فكانت تلك الفترة من أخصب مراحل حياته العلمية.

وتكمن أهمية ابن قاضي شُهبة في كونه من كبار المؤرخين الذين حفظوا تراث المذهب الشافعي وأعلامه. فقد جمع بين معرفة الفقه والتاريخ، فكانت مؤلفاته مصدرًا رئيسًا لمن جاء بعده من الباحثين والمؤرخين، كما أسهمت في حفظ أخبار كثير من العلماء الذين لولا كتبه لضاعت تراجمهم.

وكان ابن قاضي شُهبة على عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة الذي كان سائداً بين علماء الشافعية في عصره، وعُرف بالديانة وحسن السيرة وكثرة الاشتغال بالعلم.

وتوفي بدمشق سنة ٨٥١هـ، بعد حياة حافلة بالتدريس والقضاء والتأليف، تاركًا تراثًا علميًا كبيرًا في الفقه والتاريخ والتراجم، ظل معتمدًا عند العلماء والباحثين إلى يومنا هذا.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام ابن قاضي شُهبة العلم عن عدد من كبار علماء عصره، ومن أشهر شيوخه الحافظ ابن حجر العسقلاني، والإمام ابن الملقن، والعز بن جماعة، ووالده شهاب الدين أحمد بن محمد، وغيرهم من فقهاء الشام ومصر ومحدثيها. وقد تأثر بمدرسة المحدثين والفقهاء معًا، فجمع بين الرواية والدراية.

أما تلاميذه فقد انتفعوا بعلمه في الفقه والتاريخ، ومن أشهرهم ولداه بدر الدين محمد بن أبي بكر، وسراج الدين حمزة بن أبي بكر، اللذان واصلا خدمة العلم والتأليف بعده، إلى جانب عدد من علماء الشام الذين أخذوا عنه الفقه والحديث والتاريخ.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام ابن قاضي شُهبة عددًا من المؤلفات المهمة في الفقه والتاريخ والتراجم، ويُعد كتاب "طبقات الشافعية" أشهر مصنفاته وأعظمها أثرًا. وقد رتب فيه تراجم فقهاء المذهب الشافعي وعلمائه عبر القرون، واستدرك فيه على من سبقه من أصحاب الطبقات، ولا سيما تاج الدين السبكي، فصار من أهم المراجع في تاريخ المذهب الشافعي وأعلامه.

ومن أشهر كتبه أيضًا "الإعلام بتاريخ أهل الإسلام" المعروف بتاريخ ابن قاضي شُهبة، وهو موسوعة تاريخية واسعة تناول فيها أحداث التاريخ الإسلامي وتراجم الأعلام، مستفيدًا من مؤلفات الذهبي وابن كثير وغيرهما من كبار المؤرخين.

وله كذلك كتاب "مناقب الإمام الشافعي" الذي أفرده للحديث عن سيرة الإمام الشافعي وفضائله وأثره العلمي، وكتاب "الكواكب الدرية في سيرة

نور الدين الشهيد" في ترجمة السلطان نور الدين محمود زنكي، إضافة إلى عدد من المصنفات والرسائل في الفقه والتاريخ.

وتبرز أهمية أعماله العلمية في أنها جمعت بين التحقيق الفقهي والتوثيق التاريخي، وأسهمت في حفظ جانب مهم من تاريخ المذهب الشافعي وأعلامه. ولذلك يُعد ابن قاضي شُهبة من أبرز علماء القرن التاسع الهجري، ومن أهم المؤرخين الذين اعتمد عليهم المتأخرون في دراسة تاريخ الشافعية وتراجم فقهائهم.

ت. زكريا الأنصاري (٨٢٣–٩٢٦هـ)

هو الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري السنيكي الشافعي، أحد كبار أئمة الشافعية في القرن التاسع الهجري، ومن أعظم علماء الإسلام في عصره. ويُعد الحلقة العلمية التي وصلت بين مدرسة المحررين المتأخرين وبين أئمة مرحلة التحقيق والاعتماد، حتى أصبح المرجع الأعلى للشافعية في زمانه، وتتلمذ عليه كبار فقهاء القرن العاشر الهجري.

وُلِد بقرية سنيكة من أعمال الشرقية بمصر سنة ٨٢٣هـ، ونشأ في أسرة فقيرة، فانتقل إلى القاهرة في شبابه لطلب العلم. وقد عُرف منذ صغره بالذكاء والاجتهاد وقوة الحفظ، فأقبل على تحصيل العلوم الشرعية والعربية، ولازم حلقات العلماء في الجامع الأزهر وغيره من مراكز العلم، حتى برع في الفقه والأصول والحديث والتفسير واللغة.

تلقى زكريا الأنصاري العلم على عدد كبير من علماء عصره، فجمع بين الرواية والدراية، وأخذ عن كبار الفقهاء والمحدثين والأصوليين. وقد اشتهر بسعة علمه وتنوع معارفه، حتى صار إمامًا في الفقه الشافعي والحديث والتفسير والقضاء، وأجمع معاصروه على فضله وتقدمه في العلوم الشرعية.

وكانت حياته العلمية امتدادًا للجهود التي بذلها الرافعي والنووي والسبكي والإسنوي في تحرير المذهب الشافعي وتنقيحه. وقد اعتنى بدراسة أقوال المتقدمين والمتأخرين، وعمل على تقريب المذهب وتيسير مسائله، مع المحافظة على منهج التحقيق والترجيح الذي استقر عند المحررين. ولذلك عُدَّ من أهم الشخصيات العلمية التي مهدت لمرحلة الاعتماد في المذهب الشافعي.

واتصف الإمام زكريا الأنصاري بالتواضع والزهد وحسن السيرة، واشتهر بالورع والإنصاف وكثرة العبادة، مع اشتغال دائم بالتدريس والإفتاء والتأليف. وقد تولى القضاء في مصر، ثم تفرغ للعلم والتعليم، فقصده الطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية، وأصبح شيخ الشافعية في عصره بلا منازع.

أما منهجه الفقهي فكان قائمًا على الجمع بين تحرير المذهب وتيسير عرضه، مع عناية خاصة ببيان المعتمد من الأقوال. وقد امتاز أسلوبه بالوضوح والاختصار، مما جعل مؤلفاته محل قبول واسع بين العلماء والطلاب. كما اهتم بربط الفروع بأصولها، وبإبراز القواعد الفقهية التي تضبط مسائل المذهب.

وكان الإمام زكريا الأنصاري على عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة الذي ساد بين علماء الشافعية في عصره. وقد انعكس ذلك في مؤلفاته العلمية وفتاواه، حيث جمع بين التمسك بالنصوص الشرعية والاستفادة من المناهج الكلامية السنية في تقرير العقائد.

وتتمثل مكانة زكريا الأنصاري في المذهب الشافعي في كونه الجسر العلمي بين عصر التحرير وعصر الاعتماد. فقد تخرج على يديه كبار فقهاء الشافعية الذين أصبحوا أئمة المذهب في القرن العاشر الهجري، وفي مقدمتهم ابن حجر الهيتمي وشمس الدين الرملي وغيرهما. ولهذا يُنظر إليه

بوصفه شيخ المتأخرين من الشافعية، وأحد أهم من أسهموا في استقرار المذهب في صورته النهائية.

توفي الإمام زكريا الأنصاري بالقاهرة سنة ٩٢٦هـ بعد حياة طويلة حافلة بالعلم والتعليم والإفتاء والتأليف، وترك تراثًا علميًا ضخمًا ظل معتمدًا عند الشافعية عبر القرون.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام زكريا الأنصاري العلم عن عدد كبير من علماء مصر والحجاز، ومن أشهر شيوخه الحافظ ابن حجر العسقلاني، والإمام شمس الدين السخاوي، وغيرهما من كبار المحدثين والفقهاء في القرن التاسع الهجري. وقد استفاد من تنوع مدارسهم العلمية، فجمع بين الفقه والحديث والتفسير واللغة.

أما تلاميذه فهم من أشهر علماء الشافعية في العصور المتأخرة، وفي مقدمتهم الإمام ابن حجر الهيتمي، والإمام شمس الدين الرملي، وجماعة من الفقهاء والمحدثين الذين حملوا علمه ونشروا مؤلفاته. وقد كان تأثيره في تلاميذه أعظم من تأثير كثير من العلماء في طبقاتهم، إذ انتقلت من خلالهم مدرسته العلمية إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "**أسنى المطالب في شرح روض الطالب**" من أشهر مؤلفات زكريا الأنصاري وأهمها، وهو من الكتب المعتمدة في الفقه الشافعي، وقد امتاز بحسن الترتيب ووضوح العبارة ودقة التحرير.

ومن أشهر كتبه أيضًا "**فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب**"، الذي أصبح من أهم المتون الدراسية في المذهب الشافعي، واعتنى به العلماء شرحًا وتحشيةً

عبر القرون. كما ألّف "منهج الطلاب[٣٠]"، وهو مختصر فقهي جمع فيه أهم مسائل المذهب بأسلوب موجز ودقيق.

وله كذلك مؤلفات في الحديث والتفسير واللغة والتصوف، من أشهرها "**الغرر البهية**"، و"**فتح الباقي بشرح ألفية العراقي**" في مصطلح الحديث، إلى جانب عدد كبير من الرسائل والفتاوى التي تدل على سعة علمه وتنوع اهتماماته.

وتبرز أهمية أعمال زكريا الأنصاري في أنها أسهمت في تيسير المذهب الشافعي وتقريب مسائله، كما مهدت الطريق لمدرسة الاعتماد التي بلغت أوجها على يد ابن حجر الهيتمي والرملي. ولذلك يُعد من أعظم فقهاء الشافعية في القرون المتأخرة، ومن أكثرهم تأثيرًا في تاريخ المذهب وتطوره.

ث. إبن قاسم الغزي (ت ٩١٨هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الغزي الشافعي، المعروف بابن قاسم الغزي، أحد كبار فقهاء الشافعية في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري، ومن أشهر علماء المذهب في مجال التعليم والتأليف الفقهي.

وُلِد بمدينة غزة بفلسطين سنة ٨٥٩هـ، ونشأ في بيئة علمية صالحة، فحفظ القرآن الكريم في صغره، وأقبل على دراسة العلوم الشرعية والعربية. وقد

---

[٣٠] ومن اللافت أن كتاب "منهج الطلاب" لزكريا الأنصاري يمثل مرحلة جديدة في السلسلة التعليمية للمذهب الشافعي؛ إذ اختصر فيه كتاب "منهاج الطالبين" للإمام النووي، ثم عاد فشرحه في كتابه "فتح الوهاب". وقد أصبح "المنهج" وشرحه من أهم الكتب الدراسية عند الشافعية، ومهدا الطريق لعدد كبير من الحواشي والشروح في القرون التالية.

برع منذ شبابه في الفقه واللغة والقراءات، فحفظ عددًا من المتون العلمية المشهورة، ودرس كتب المذهب الشافعي المعتمدة.

ثم ارتحل إلى القاهرة سنة ٨٨١هـ، وكانت آنذاك من أعظم المراكز العلمية في العالم الإسلامي، فواصل بها طلب العلم، ولازم كبار العلماء، حتى أصبح من أبرز فقهاء الشافعية في عصره. وقد جمع بين التدريس والإفتاء والتأليف، وأقبل عليه الطلاب لما عُرف به من حسن العبارة وسهولة التعليم ودقة الفهم.

وكان الإمام الغزي ذا هيبة ووقار، مشهورًا بحسن التلاوة وكثرة العبادة والورع، كما عُرف بحسن الخلق والتواضع والانصراف إلى خدمة العلم. وقد قضى معظم حياته العلمية بالقاهرة، حيث اشتغل بالتدريس في الأزهر وغيره من المدارس العلمية، وانتفع به خلق كثير من طلاب الفقه.

وتكمن أهمية ابن قاسم الغزي في أنه أسهم في تبسيط الفقه الشافعي وتقريبه للطلاب، فكانت مؤلفاته التعليمية سببًا في انتشار دراسة المذهب بين المبتدئين. ولهذا ظل أثره حاضرًا في المعاهد والمساجد والمدارس الإسلامية عبر القرون المتأخرة.

وتوفي الإمام ابن قاسم الغزي بالقاهرة سنة ٩١٨هـ، بعد حياة حافلة بالتعليم والتأليف ونشر العلم، تاركًا مؤلفات أصبحت من أشهر الكتب الدراسية في المذهب الشافعي.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الغزي العلم عن عدد من كبار علماء عصره في غزة والقاهرة، ومن أشهر شيوخه كمال الدين محمد بن أبي شريف المقدسي، وشمس الدين محمد بن أحمد الغزي المعروف بابن الحِمْصي، وشهاب الدين العبادي، وغيرهم من علماء الفقه والحديث واللغة.

أما تلاميذه فقد انتفعوا به في القاهرة والأزهر الشريف، وحملوا علمه إلى الأجيال اللاحقة، وإن كانت شهرة مؤلفاته قد فاقت شهرة كثير من تلاميذه، فأصبح تأثيره العلمي ممتدًا من خلال كتبه المعتمدة في التدريس.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب"[٣١] أشهر مؤلفات الإمام الغزي وأعظمها أثرًا، وهو شرح لكتاب "غاية الاختصار" (المعروف بمتن أبي شجاع) للقاضي أبي شجاع الأصفهاني. وقد امتاز هذا الشرح بوضوح العبارة وحسن الترتيب وسهولة الأسلوب، فصار من أكثر كتب الفقه الشافعي تداولًا بين الطلاب، ولا يزال يُدرَّس في كثير من المعاهد الإسلامية إلى يومنا هذا.

وله أيضًا حاشية على تصريف العزي في علم الصرف، تدل على تمكنه من علوم العربية، كما نُسبت إليه بعض الرسائل والفوائد العلمية في الفقه واللغة.

وتبرز أهمية أعماله العلمية في أنها خدمت الجانب التعليمي للمذهب الشافعي، وأسهمت في تقريب مسائله إلى المبتدئين، ولذلك احتل كتابه "فتح القريب" مكانة خاصة بين المتون والشروح المعتمدة في المدارس الشافعية. ويُعد ابن قاسم الغزي أحد أبرز أعلام مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد، وأحد العلماء الذين كان لهم أثر بالغ في نشر الفقه الشافعي وتعليمه في القرون المتأخرة.

---

[٣١] ومن الجدير بالملاحظة أن كتاب "فتح القريب المجيب" يمثل حلقةً من حلقات التطور التعليمي في المذهب الشافعي؛ إذ وضعه مؤلفه شرحًا على كتاب "غاية الاختصار" للإمام أبي شجاع الأصفهاني، أحد أعلام مرحلة الاختصار والتهذيب. وبين وفاة أبي شجاع (ت نحو ٥٠٠هـ) ووفاة ابن قاسم الغزي (ت ٩١٨هـ) أكثر من أربعة قرون، ومع ذلك ظل المتن حاضرًا في التدريس والتلقي، مما يعكس استقرار البناء التعليمي للمذهب الشافعي واستمرار تداول كتبه الأساسية جيلاً بعد جيل.

ج. زين الدين المليباري (ت ٩٨٧ هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المحدث المفسر زين الدين أبو يحيى أحمد بن عبد العزيز بن زين الدين المعبري المليباري الشافعي، المشهور بـ "زين الدين المليباري الكبير"، أحد كبار علماء الشافعية في الهند في القرن العاشر الهجري، وإمام المدرسة المخدومية بمليبار. جمع بين الفقه والدعوة والتأليف والجهاد، وانتهت إليه رئاسة العلم والفتوى في جنوب الهند، حتى لُقِّب عند كثير من أهل عصره بشيخ الإسلام.

وُلِد في بلاد مليبار بالساحل الغربي للهند، في أسرة علمية عريقة عُرفت بالفقه والقضاء والدعوة. وقد نشأ في بيئة اشتهرت بالتمسك بالمذهب الشافعي وبالصلات العلمية المتينة مع الحرمين الشريفين واليمن وحضرموت، فحفظ القرآن الكريم منذ صغره، وأقبل على دراسة العلوم الشرعية والعربية على أيدي علماء أسرته وغيرهم من علماء المنطقة.

ثم واصل تحصيله العلمي حتى برع في الفقه الشافعي والحديث والتفسير واللغة العربية، وتصدر للتدريس والإفتاء في سن مبكرة. وقد ارتبط اسمه بمدينة فنان (Ponnani)، التي كانت آنذاك من أهم المراكز العلمية الشافعية في الهند، فأصبحت على يديه مركزًا لنشر العلم وتخريج العلماء.

وكان الإمام المليباري يجمع بين العلم والعمل؛ فقد عاش في فترة شهدت توسع النفوذ البرتغالي على سواحل الهند، وما صاحبه من صراعات واضطرابات أثرت في المسلمين والتجارة الإسلامية بالمحيط الهندي. فوقف مدافعًا عن مجتمعه، داعيًا إلى التمسك بالدين ووحدة المسلمين، ومشجعًا على مقاومة العدوان الخارجي بالوسائل المشروعة.

ولم تقتصر جهوده على التعليم والإفتاء، بل اهتم بتوثيق أحوال المسلمين في عصره، وتسجيل الأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدتها بلاد مليبار، مما جعل بعض مؤلفاته مصادر تاريخية مهمة إلى جانب قيمتها العلمية.

وتبرز أهمية الإمام المليباري في تاريخ المذهب الشافعي من خلال جهوده التعليمية؛ فقد أسهم في ترسيخ المذهب في الهند وجنوب شرق آسيا، وأصبحت مؤلفاته مقررة في المدارس والمعاهد الإسلامية لقرون طويلة. ولهذا يُعد من أبرز الشخصيات التي نقلت التراث الشافعي من مراكز المذهب التقليدية في مصر والحجاز واليمن إلى آفاق أوسع في المحيط الهندي.

وظل الإمام زين الدين مشتغلًا بالتدريس والإفتاء والتأليف حتى وفاته سنة ٩٨٧هـ (١٥٧٩م)، بعد حياة حافلة بخدمة العلم والدعوة، تاركًا تراثًا علميًا ظل حاضرًا في حلقات الدرس الشافعية إلى يومنا هذا.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام المليباري العلم على عدد من كبار علماء أسرته والمدرسة المخدومية، وكان من أبرز شيوخه والده عبد العزيز المعبري، وعمه زين الدين المخدوم الأول، كما أخذ عن جماعة من العلماء الوافدين من اليمن والحجاز، وتأثر بالمدرسة الشافعية الحضرمية التي كان لها أثر كبير في الحياة العلمية بمليبار.

أما تلاميذه فقد كانوا كثرة، وانتشروا في مختلف أنحاء الهند وسواحل المحيط الهندي. ومن أبرزهم عدد من علماء الأسرة المخدومية الذين واصلوا قيادة الحركة العلمية في فنان، وأسهموا في نشر الفقه الشافعي وتعليمه في الهند وسيلان وأرخبيل الملايو.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام أحمد زين الدين المليباري عددًا من المؤلفات المهمة في الفقه والتاريخ والدعوة، ويأتي في مقدمتها كتاب "فتح المعين بشرح قرة العين

بمهمات الدين[٣٢]"، وهو من أشهر كتب الفقه الشافعي المتأخرة وأكثرها انتشارًا. وقد ألّفه شرحًا لكتابه المختصر "قرة العين"، فجمع فيه مسائل المذهب بأسلوب واضح محرر، مما جعله معتمدًا في التدريس والإفتاء في الهند واليمن وحضرموت وبلاد الملايو وإندونيسيا.

ومن أشهر كتبه أيضًا "تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين"، وهو كتاب فريد يجمع بين التاريخ والجهاد، ويُعد من أهم المصادر المعاصرة لأحداث الصراع بين المسلمين والبرتغاليين على سواحل الهند في القرن العاشر الهجري.

وله كذلك كتاب "إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد" في الوعظ والتزكية، وكتاب "المنهج الواضح في أحكام النكاح"، وكتاب "الأجوبة العجيبة عن الأسئلة الغريبة"، وغيرها من المصنفات التي تدل على سعة علمه وتنوع اهتماماته.

وتتمثل أهمية أعمال الإمام المليباري في أنها جمعت بين خدمة المذهب الشافعي والاستجابة لاحتياجات المجتمع الإسلامي في عصره. وقد كان لكتابه "فتح المعين" أثر بالغ في التعليم الفقهي، حتى أصبح أحد أكثر الكتب تداولًا في المدارس الشافعية خارج العالم العربي، ولا تزال شروحه وحواشيه تُدرَّس إلى اليوم.

---

[٣٢] ومن الجدير بالملاحظة أن كتاب "فتح المعين" أصبح محورًا لسلسلة علمية امتدت عدة قرون؛ فقد أُلفت عليه شروح وحواشٍ كثيرة، أشهرها "إعانة الطالبين" لأبي بكر شطا الدمياطي (ت ١٣١٠هـ). ويُظهر ذلك استمرار التأثير العلمي للمدرسة المليبارية الشافعية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، ولا سيما في الهند وحضرموت وبلاد الملايو وإندونيسيا.

ح. شهاب الدين الرملي (ت ٩٥٧هـ)

يُعد الإمام شهاب الدين الرملي (أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشافعي، ت ٩٥٧هـ) من أبرز أساطين الفقه الشافعي في القرن العاشر الهجري. عُرف بتفننه العميق في الفتوى والقضاء، وموسوعيته في علوم التفسير والنحو. تلقى علومه على يد كبار علماء عصره، وتخرج على يديه نخبة من أئمة المذهب، كما ترك تراثاً علمياً بارزاً يعتمد عليه فقهاء الشافعية.

وُلد الإمام شهاب الدين الرملي في قرية "رملة" بالمنوفية في مصر، وانتقل إلى القاهرة حيث استقر وكرّس حياته للتدريس والإفتاء والتأليف. عُرف بعمق فهمه للأصول والفروع، واتسم منهجه الفقهي والعقائدي بالاعتدال، حيث كان على مذهب الأشاعرة في العقيدة، ومرجعاً معتمداً في الفتوى على مذهب الإمام الشافعي.

توفي شهاب الدين الرملي في القاهرة يوم الجمعة مطلع شهر جمادى الآخرة سنة ٩٥٧هـ، وصُوّي عليه في الجامع الأزهر الشريف، تاركاً خلفه سمعة عطرة وإرثاً فقهياً عظيماً حمل لواءه من بعده تلاميذه وأبناؤه.

شيوخه وتلاميذه

نهل شهاب الدين الرملي العلم من معين كبار علماء عصره في مصر، وتتلمذ على أيدي فطاحل العلماء في الفقه والتفسير واللغة، واشتغل عليهم في مختلف العلوم الإسلامية، مما صقل شخصيته العلمية ومهّد له الطريق ليكون أحد أبرز المراجع في المذهب.

أما تلاميذه فقد تخرج على يديه ثلة من كبار علماء عصره، ويُعد ابنه الإمام شمس الدين الرملي الملقب بـ "الشافعي الصغير" من أبرز تلاميذه الذين حملوا علمه، حيث درس عليه الفقه والتفسير والنحو. كما أخذ عنه غيره من الأعلام الذين تصدروا للتدريس والإفتاء في الديار المصرية.

مؤلفاته وأعماله العلمية

أسهم شهاب الدين الرملي في إثراء المكتبة الإسلامية والفقهية بعدد من المصنفات القيمة التي تعد مراجع في المذهب الشافعي، ومن أبرز مؤلفاته "فتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد"، ويُعرف أيضاً بـ (شرح المعفوات)، وهو من أهم شروحه الفقهية. وهو أيضا صاحب كتاب "فتاوى الرملي"، وهي مجموعة من فتاواه واختياراته الفقهية التي كان يُجيب بها السائلين، والتي قام بجمعها لاحقاً ابنه الإمام شمس الدين الرملي، إضافة إلى فتاوى أخرى جمعها تلميذه الخطيب الشربيني.

و من مؤلفاته كذالك كتاب "فتح الرحمن بشرح زبد ابن رسلان"، وهو شرح وافٍ لمنظومة "صفوة الزبد" في الفقه الشافعي.

خ. ابن حجر الهيتمي (٩٠٩–٩٧٤هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه الأصولي المحدث شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الأنصاري الشافعي، أحد كبار أئمة المذهب الشافعي في القرن العاشر الهجري، ومن أبرز علماء مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد. وقد بلغت مكانته العلمية منزلة رفيعة جعلته مرجعًا للفتوى والتدريس في الحجاز ومصر وسائر أنحاء العالم الإسلامي، حتى عُدَّ مع الإمام شمس الدين الرملي قطبي المذهب الشافعي في العصر المتأخر.

وُلِد سنة ٩٠٩هـ بقرية محلة أبي الهيتم من أعمال الغربية بمصر، وإليها نُسب. توفي والده وهو صغير السن، فنشأ يتيمًا، غير أن ذلك لم يمنعه من التوجه إلى العلم منذ طفولته. فحفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم الشرعية والعربية، وظهرت عليه علامات الذكاء والنبوغ مبكرًا.

ثم انتقل إلى القاهرة، التي كانت آنذاك حاضرة العلم في العالم الإسلامي، فالتحق بحلقات الأزهر والمدارس العلمية الكبرى. ودرس الفقه الشافعي

وأصول الفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والمنطق، حتى أصبح من أبرز علماء جيله. وقد جمع في تكوينه العلمي بين علوم الرواية وعلوم الدراية، مما أكسبه قدرة كبيرة على التحقيق والترجيح.

ومن أهم ما يميز شخصية ابن حجر العلمية عنايته البالغة بتحرير المذهب الشافعي وتقعيد معتمداته. فقد استوعب تراث الرافعي والنووي وما تفرع عنه من مؤلفات المتأخرين، ثم عمد إلى دراسة الأقوال المختلفة داخل المذهب وتمحيصها وترجيح ما يراه أقرب إلى أصول المذهب وقواعده. ولذلك أصبحت اختياراته الفقهية محل اعتماد واسع عند المتأخرين من الشافعية.

وكان الإمام ابن حجر واسع الاطلاع في علوم الحديث، وله عناية ظاهرة بالاستدلال بالنصوص الشرعية وربط الفروع الفقهية بأدلتها. وقد انعكس ذلك في مؤلفاته الفقهية والحديثية التي جمعت بين التحقيق الفقهي والتأصيل الشرعي.

ثم ارتحل إلى مكة المكرمة واستقر بها بقية حياته، فازدادت شهرته وانتشر علمه في الآفاق. واتخذ من المسجد الحرام مركزًا للتدريس والإفتاء، فقصده الطلاب والعلماء من مختلف أقطار العالم الإسلامي، ولا سيما من اليمن والهند وحضرموت وبلاد الملايو والأرخبيل الإندونيسي. ومن خلال هذه الحلقات العلمية انتشرت آراؤه ومؤلفاته في أنحاء واسعة من العالم الشافعي.

وتتمثل أهمية ابن حجر الهيتمي في أنه كان أحد أبرز من أسهموا في استقرار المذهب الشافعي بصورته المتأخرة. فقد أصبحت ترجيحاته وآراؤه معتمدة عند جمهور الشافعية، حتى إن كثيرًا من المتأخرين إذا أطلقوا "الشيخ" أو "ابن حجر" في كتب الفقه والحواشي فإنهم يقصدونه. كما أصبحت مؤلفاته محورًا لكثير من الشروح والحواشي التي أُلِفت بعده.

وكان الإمام ابن حجر على عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة، وسار في السلوك والتزكية على نهج أئمة التصوف السني. وقد جمع بين العلم والعمل، واشتهر بالعبادة والورع وحسن الخلق، مع قوة في الحق وشدة في الدفاع عن معتقد أهل السنة.

وتوفي الإمام ابن حجر الهيتمي بمكة المكرمة سنة ٩٧٤هـ، بعد حياة حافلة بالتعليم والإفتاء والتأليف. وقد ترك تراثًا علميًا ضخمًا جعل اسمه مقرونًا بتاريخ المذهب الشافعي، وبقيت مؤلفاته من أهم المراجع المعتمدة عند الشافعية إلى يومنا هذا.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام ابن حجر العلم عن عدد من كبار علماء مصر في عصره، وكان أبرز شيوخه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (٨٢٣–٩٢٦هـ)، الذي يُعد أهم مؤثر في تكوينه العلمي والفقهي. كما أخذ عن شهاب الدين الرملي والد شمس الدين الرملي، وعن عدد من فقهاء الشافعية والمحدثين والأصوليين الذين كانوا يمثلون الامتداد العلمي لمدرسة الرافعي والنووي.

وقد ظهر أثر زكريا الأنصاري بوضوح في منهج ابن حجر؛ إذ ورث عنه العناية بتحرير المذهب والتدقيق في الفروع الفقهية والقدرة على الجمع بين الرواية والدراية. ومن خلال هذا التأثير أصبح ابن حجر أحد أبرز ممثلي المدرسة الشافعية المتأخرة.

أما تلاميذه فقد انتشروا في الحجاز واليمن والهند وحضرموت وبلاد الملايو، وكان لهم دور كبير في نشر مذهبه ومؤلفاته. ومن أشهرهم عبد الله بن عمر بامخرمة، وعبد الرحمن بن زياد الأهدل، وجماعة من علماء الحرمين واليمن الذين حملوا تراثه إلى الأجيال اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام ابن حجر الهيتمي عددًا كبيرًا من المؤلفات في الفقه والحديث والعقيدة والفتاوى، وتُعد كتبه من أهم مراجع المذهب الشافعي في العصر المتأخر.

ويأتي في مقدمة مؤلفاته كتاب "تحفة المحتاج بشرح المنهاج"، وهو شرح موسوعي لكتاب "منهاج الطالبين" للإمام النووي، ويُعد أحد أعظم كتب الاعتماد في المذهب الشافعي. وقد أصبح مع كتاب "نهاية المحتاج" لشمس الدين الرملي أساس الفتوى والتدريس عند جمهور الشافعية المتأخرين.

وله كذلك كتاب "الفتاوى الفقهية الكبرى"، الذي جمع فيه أجوبته وتحقيقاته في مختلف أبواب الفقه، وكتاب "الفتاوى الحديثية"، الذي تناول فيه مسائل عقدية وحديثية وتربوية متنوعة. ومن أشهر مؤلفاته أيضًا "الزواجر عن اقتراف الكبائر"، الذي لقي قبولًا واسعًا بين العلماء وطلاب العلم.

ومن كتبه المهمة كذلك "الإعلام بقواطع الإسلام"، و "المنهاج القويم"، و"فتح الإله الجواد"، و"الجوهر المنظم" ، وغيرها من المؤلفات التي تدل على سعة علمه وتنوع معارفه.

وتبرز أهمية أعمال ابن حجر الهيتمي في أنها أسهمت في استقرار المذهب الشافعي وتحديد معتمداته في القرون المتأخرة. ولذلك يُعد أحد أعظم فقهاء الشافعية بعد الرافعي والنووي، ومن أبرز الشخصيات العلمية التي شكلت ملامح المذهب الشافعي في صورته التي استقرت عليها الفتوى والتدريس في العالم الإسلامي.

د. الخطيب الشربيني (٩٠٤-٩٧٧هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المفسر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن العاشر

الهجري، ومن أبرز أعلام مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد. جمع بين الفقه والتفسير واللغة، واشتهر بالتدريس والتأليف، حتى أصبحت مؤلفاته من أهم المراجع المعتمدة في المذهب الشافعي.

وُلِد ببلدة شربين في دلتا مصر، وإليها نُسب، واشتهر بلقب "الخطيب" لأنه تولى الخطابة في بلده. نشأ محبًا للعلم، فحفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم الشرعية والعربية، ثم ارتحل إلى القاهرة التي كانت آنذاك مركز الحركة العلمية في العالم الإسلامي، فأقبل على حلقات العلم في الأزهر وغيره من المدارس الكبرى.

وتلقى العلوم على عدد من كبار علماء عصره، فدرس الفقه الشافعي وأصوله والتفسير والحديث وعلوم العربية، حتى برع فيها جميعًا. وقد امتاز بسعة الاطلاع وحسن العبارة وقوة التحرير، مما أهله للتصدر للتدريس والإفتاء، وأكسبه مكانة مرموقة بين علماء عصره.

وعاصر الخطيب الشربيني أواخر دولة المماليك وبدايات العهد العثماني في مصر، وهي فترة شهدت ازدهارًا علميًا ملحوظًا في المذهب الشافعي. وقد استفاد من التراث الذي خلفه زكريا الأنصاري وتلاميذه، ثم أسهم في شرحه وتقريبه وترتيبه، فكان من أبرز ممثلي المدرسة الشافعية المتأخرة.

وتتمثل أهمية الخطيب الشربيني في أنه جمع بين التحقيق الفقهي والأسلوب التعليمي الواضح، فكانت كتبه معتمدة لدى العلماء والطلاب على السواء. وقد أسهمت مؤلفاته في نشر المذهب الشافعي داخل مصر وخارجها، ولا سيما في الحجاز واليمن وبلاد الملايو وإندونيسيا.

وكان الإمام الخطيب الشربيني معروفًا بالصلاح وحسن السيرة والانشغال بالعلم والتعليم، وقد أثنى عليه مترجموه لما عُرف به من التواضع وكثرة الاشتغال بالتأليف والإفادة.

وتوفي رحمه الله سنة ٩٧٧هـ، بعد حياة حافلة بالتدريس والتأليف وخدمة العلوم الشرعية، تاركًا آثارًا علمية ظلت حاضرة في حلقات الدرس والفتوى قرونًا طويلة.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الخطيب الشربيني العلم عن عدد من كبار علماء عصره، ومن أشهر شيوخه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وشهاب الدين أحمد الرملي، وأحمد البرلسي المعروف بعميرة، ونور الدين المحلي، وناصر الدين الطبلاوي، وغيرهم من أئمة الفقه والحديث والعربية. وقد أجازه عدد منهم بالتدريس والإفتاء.

أما تلاميذه فقد انتفع به جمع كبير من طلاب العلم في القاهرة وغيرها، وكان من أشهرهم عبد الرحمن السقاف، إلى جانب عدد من الفقهاء والمفسرين الذين حملوا علمه ونقلوا مؤلفاته إلى الأجيال اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام الخطيب الشربيني تراثًا علميًا غنيًا في الفقه والتفسير واللغة، وتُعد مؤلفاته من أشهر كتب الشافعية في القرون المتأخرة.

ومن أعظم كتبه "مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج[٣٣]"، وهو شرح موسوعي على كتاب "منهاج الطالبين" للإمام النووي. وقد امتاز بحسن الترتيب ووضوح العبارة وكثرة النقول والتحريرات الفقهية، حتى أصبح أحد أهم شروح المنهاج وأكثرها تداولًا بين العلماء وطلاب الفقه.

---

[٣٣] ومن اللافت أن كتاب "مغني المحتاج" هو شرحٌ لكتاب "منهاج الطالبين" للإمام النووي (ت ٦٧٦هـ)، شأنه في ذلك شأن "تحفة المحتاج" لابن حجر الهيتمي و"نهاية المحتاج" لشمس الدين الرملي. وقد أصبحت هذه الشروح الثلاثة من أهم المراجع التي اعتمد عليها فقهاء الشافعية المتأخرون في التدريس والفتوى، مما يُظهر استمرار تأثير "منهاج الطالبين" في الحياة العلمية للمذهب عبر أكثر من ثلاثة قرون.

وله كذلك كتاب "الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع"، وهو شرح نفيس لمتن "غاية الاختصار" للقاضي أبي شجاع الأصفهاني، وقد جمع فيه بين سهولة العبارة ودقة الفقه، فأصبح من أشهر الكتب التعليمية في المذهب الشافعي.

وفي التفسير ألّف كتابه الشهير "السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير"، وهو تفسير متوسط الحجم جمع بين التفسير اللغوي والفقهي، مع عناية ببيان المعاني والإعراب وأقوال المفسرين.

وله أيضًا عدد من المؤلفات في اللغة والوعظ والخطب، منها "نور السجية في حل ألفاظ الآجرومية" في النحو، إضافة إلى رسائل وفوائد علمية أخرى تدل على سعة علمه وتنوع اهتماماته.

وتبرز أهمية أعمال الخطيب الشربيني في أنها جمعت بين التحقيق الفقهي والتيسير التعليمي، فكانت حلقة مهمة في سلسلة الكتب المعتمدة للمذهب الشافعي. ولذلك يُعد من أبرز علماء القرن العاشر الهجري، ومن أهم من أسهموا في نشر المذهب الشافعي وترسيخ معتمداته في العصور المتأخرة.

ذ. شمس الدين الرملي (٩١٩–١٠٠٤هـ)

هو الإمام الفقيه المحقق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حمزة الرملي الشافعي، أحد كبار أئمة المذهب الشافعي في القرن العاشر الهجري، وأحد قطبي المذهب في مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد، حتى عُدَّ مع الإمام ابن حجر الهيتمي المرجعين الأكبرين للفتوى والترجيح عند المتأخرين من الشافعية.

وُلِد بمدينة القاهرة سنة ٩١٩هـ في بيت علم وفضل، فنشأ في كنف والده الإمام شهاب الدين أحمد الرملي، أحد كبار فقهاء الشافعية في عصره. حفظ القرآن الكريم في صغره، وتلقى علوم العربية والفقه والحديث على أيدي

كبار العلماء، فبرز مبكرًا في التحصيل، واشتهر بالذكاء وسعة الاطلاع وقوة الفهم.

تلقى الرملي علومه على والده وعلى عدد من علماء مصر، فدرس الفقه الشافعي وأصوله والحديث والتفسير واللغة. وقد اجتمع له ما لم يجتمع لكثير من أقرانه من شرف النسب العلمي، وحسن التكوين، وسعة المطالعة، مما أهله لتصدر التدريس والإفتاء في سن مبكرة.

وكانت مسيرته العلمية امتدادًا للمدرسة الشافعية التي ازدهرت على يد زكريا الأنصاري وتلاميذه، فاستوعب تراث المحررين والمتأخرين، ولا سيما الرافعي والنووي وزكريا الأنصاري. وقد تميز بمنهج يقوم على تحرير المعتمد في المذهب، وجمع الأقوال، والنظر في الترجيحات السابقة، مع عناية كبيرة بتطبيق قواعد المذهب على النوازل والمسائل المستجدة.

واتصف الإمام الرملي بالورع والتواضع وحسن السيرة، واشتهر بين معاصريه بسعة العلم ودقة الفتوى. وقد تولى الإفتاء والتدريس بالقاهرة، وقصده الطلاب من مختلف الأقاليم، حتى صار المرجع الأول لكثير من فقهاء عصره في المذهب الشافعي.

أما منهجه الفقهي فكان قائمًا على الالتزام بأصول المذهب وقواعده، مع الاستفادة من جهود المحررين السابقين. وقد اعتنى ببيان المعتمد في المذهب وترجيح ما يراه أقرب إلى نصوص الأئمة وقواعد الشافعية، ولذلك أصبحت اختياراته محل اعتماد واسع عند المتأخرين.

وكان الإمام الرملي على عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة الذي ساد بين علماء الشافعية في عصره، وقد انعكس ذلك في مؤلفاته وفتاواه وسائر أعماله العلمية.

وتتمثل مكانة الرملي في المذهب الشافعي في كونه أحد الإمامين اللذين استقر عليهما الاعتماد عند المتأخرين، وهما ابن حجر الهيتمي والرملي. وقد أصبحت آراؤه وترجيحاته مرجعًا أساسيًا للمفتين والفقهاء، خصوصًا في مصر والشام، بينما شاع الاعتماد على ابن حجر في الحجاز واليمن وحضرموت وبلاد الملايو، مع بقاء الإمامين معًا أساسًا للفقه الشافعي المتأخر.

توفي الإمام شمس الدين الرملي بالقاهرة سنة ١٠٠٤هـ، بعد حياة حافلة بالتدريس والإفتاء والتأليف، تاركًا أثرًا عظيمًا في الفقه الشافعي ظل ممتدًا عبر القرون.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الرملي العلم عن والده الإمام شهاب الدين أحمد الرملي، كما أخذ عن عدد من كبار علماء مصر في القرن العاشر الهجري، واستفاد من تراث شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ومدرسته العلمية. وقد أسهمت هذه البيئة العلمية في تكوين شخصيته الفقهية وترسيخ مكانته بين علماء الشافعية.

أما تلاميذه فكانوا كثيرين، نظرًا لتصدره التدريس والإفتاء في القاهرة. وقد حملوا آراءه وفتاواه إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وأسهموا في نشر المدرسة الرمليّة بين فقهاء الشافعية. ومن أشهر من تأثروا به أصحاب الحواشي والتقريرات الذين اعتمدوا كتبه وفتاواه في تحرير مسائل المذهب.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" أشهر مؤلفات الإمام الرملي وأعظمها أثرًا، وهو شرح موسع لكتاب "منهاج الطالبين" للإمام النووي. وقد أصبح هذا الكتاب أحد أهم المراجع المعتمدة في الفقه الشافعي، واعتمد عليه المفتون والعلماء في معرفة الراجح من أقوال المذهب.

ومن أشهر مؤلفاته كذلك "فتاوى الرملي"، التي اشتملت على عدد كبير من المسائل الفقهية والنوازل العملية، وكشفت عن سعة علمه ودقة نظره في تنزيل الأحكام على الوقائع المختلفة.

وله أيضًا مؤلفات ورسائل في الفقه والفتوى، امتازت بحسن التحرير وكثرة الفوائد، واعتمد عليها أصحاب الحواشي والمتأخرون في بيان المعتمد من المذهب.

وتبرز أهمية أعمال الإمام الرملي في كونها أسهمت في استقرار المذهب الشافعي في مرحلة الاعتماد، وربطت بين جهود المحررين السابقين وأصحاب الحواشي اللاحقين. ولذلك يُعد من أعظم فقهاء الشافعية في القرن العاشر الهجري، ومن أكثرهم تأثيرًا في مسار المذهب وتطوره.

ر. الزيادي (ت ١٠٢٤هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المحقق نور الدين علي بن علي الزيادي المصري الشافعي، أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن الحادي عشر الهجري، ومن أبرز أعلام مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد. انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي في الديار المصرية في عصره، واشتهر بالتدريس والإفتاء والتحرير، حتى أصبح مرجعًا لكبار العلماء وطلاب الفقه.

وُلِد الإمام الزيادي في قرية زياد من أعمال البحيرة بمصر، وإليها نُسب، ثم انتقل إلى القاهرة حيث نشأ في بيئة علمية مزدهرة، فحفظ القرآن الكريم وتلقى علوم العربية والفقه والحديث على كبار علماء عصره. وقد أظهر نبوغًا مبكرًا في الفقه الشافعي، حتى صار من أبرز علماء المذهب في زمانه.

وتفرغ للعلم والتدريس، فتصدر للإقراء والإفتاء في الجامع الأزهر، واجتمع عليه طلاب العلم من مختلف أنحاء مصر وخارجها. وقد عُرف بسعة

الاطلاع وقوة التحقيق ودقة النظر في مسائل المذهب، حتى صار من كبار المرجعيات الفقهية في عصره.

وتكمن أهمية الإمام الزيادي في أنه يمثل الجيل الذي جاء بعد ابن حجر الهيتمي وشمس الدين الرملي، وأسهم في تثبيت المعتمد الفقهي الذي استقر عليه المذهب في القرون المتأخرة. وقد اعتمد على تراث المحررين الكبار، ثم قام بشرحه وتوضيحه وتحرير مسائله، فكان حلقة مهمة في تطور المدرسة الشافعية المتأخرة.

وكان الزيادي مشهورًا بالورع وحسن السيرة وكثرة الاشتغال بالعلم، كما عُرف بحرصه على التدقيق في النقول الفقهية وترجيح المعتمد من أقوال المتأخرين. ولهذا حظي بمكانة كبيرة بين علماء مصر، وأصبح من الأسماء التي يكثر النقل عنها في كتب الحواشي والفتاوى.

وتوفي الإمام الزيادي في شهر ربيع الأول سنة ١٠٢٤هـ بالقاهرة، بعد حياة حافلة بالتدريس والإفتاء والتأليف، تاركًا أثرًا علميًا كبيرًا في المذهب الشافعي.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الزيادي العلم عن عدد من كبار علماء الشافعية في مصر، ومن أشهر شيوخه الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الرملي صاحب "نهاية المحتاج"، وأحمد بن قاسم العبادي، وأحمد البرلسي المعروف بعميرة، وغيرهم من فقهاء الديار المصرية. وقد تأثر بمنهج المدرسة الرمليّة في الفقه والتحرير.

أما تلاميذه فقد كانوا من كبار علماء الشافعية في القرن الحادي عشر الهجري، ومن أشهرهم الإمام نور الدين علي الشبراملسي، صاحب الحاشية الشهيرة على "نهاية المحتاج"، والإمام شهاب الدين القليوبي، صاحب

"حاشية القليوبي"، والبرهان اللقاني صاحب "جوهرة التوحيد"، وغيرهم من الأعلام الذين حملوا علمه ونشروه في الأجيال اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام الزيادي عددًا من المؤلفات والحواشي التي كان لها أثر كبير في تدريس الفقه الشافعي وتحرير مسائله. ومن أشهرها حاشيته على شرح المنهج (فتح الوهاب) لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهي من الحواشي المعروفة عند الشافعية، امتازت بشرح العبارات المشكلة وتحرير الأقوال المعتمدة.

وله كذلك حاشية على تحفة المحتاج للإمام ابن حجر الهيتمي، اعتنى فيها بتوضيح مسائل الكتاب واستدراك بعض الفوائد الفقهية، فكانت محل عناية العلماء والمتأخرين.

ومن مؤلفاته أيضًا "الدر المبهج في حل ألفاظ المنهج"، وهو من الكتب التي تدل على تمكنه في الفقه الشافعي ودقته في بيان معتمدات المذهب وشرح مصطلحاته.

وتبرز أهمية أعمال الزيادي في أنها تمثل مرحلة انتقال المذهب من عصر المحررين الكبار إلى عصر الحواشي والتقريرات الفقهية. وقد اعتمد عليها عدد من كبار المتأخرين، وعلى رأسهم الشبراملسي والقليوبي والبجيرمي، مما جعل الإمام الزيادي أحد أهم أعلام المدرسة الشافعية في القرن الحادي عشر الهجري.

ز. القليوبي (ت ١٠٦٩هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه الأصولي شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي المصري الشافعي، أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن الحادي عشر الهجري، ومن أشهر علماء مرحلة الحواشي والاعتماد. وقد اشتهر بدقة

التحرير وسعة الاطلاع وحسن التقرير، حتى أصبحت مؤلفاته من أهم المراجع المعتمدة في دراسة الفقه الشافعي.

وُلِد الإمام القليوبي في قرية قليوب بمصر، وإليها نُسب، ونشأ في بيئة علمية ساعدته على التفرغ لطلب العلم. فحفظ القرآن الكريم، وتلقى العلوم الشرعية والعربية على كبار علماء عصره، ثم واصل تحصيله حتى برع في الفقه والأصول والحديث واللغة والتفسير.

وقد تفقه على أئمة الشافعية بمصر، واستوعب تراث المذهب المتأخر، ولا سيما مؤلفات الإمام ابن حجر الهيتمي والإمام شمس الدين الرملي وأصحاب الحواشي من بعدهما. وتميز بمنهج يقوم على جمع الأقوال المعتمدة، وشرح عبارات المتون والشروح، وبيان الراجح من مسائل المذهب.

واشتهر الإمام القليوبي بالتدريس والإفتاء، وقصده طلاب العلم من مختلف أنحاء مصر. وقد جمع بين التحقيق العلمي وحسن التعليم، فكان من العلماء الذين أسهموا في ترسيخ المذهب الشافعي في المؤسسات العلمية المصرية خلال القرن الحادي عشر الهجري.

وتتمثل أهمية القليوبي في كونه من أبرز ممثلي مرحلة الحواشي، وهي المرحلة التي شهدت مزيدًا من تحرير المعتمد في المذهب وشرح أقوال المحققين المتقدمين. وقد كان لجهوده أثر كبير في تقريب مسائل الفقه الشافعي للطلاب والعلماء، وربط تراث المحررين السابقين بالتعليم الفقهي المتأخر.

وكان الإمام القليوبي على عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة الذي ساد بين علماء الشافعية في عصره، وعُرف بحسن الخلق والتواضع والانصراف إلى العلم والتعليم والتأليف.

وتوفي الإمام القليوبي سنة ١٠٦٩هـ بعد حياة حافلة بالتدريس والإفتاء والتصنيف، تاركًا آثارًا علمية بقيت معتمدة عند الشافعية في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام القليوبي العلم عن عدد من كبار علماء مصر في عصره، وتتلمذ على أيدي فقهاء الشافعية الذين حملوا تراث ابن حجر الهيتمي والرملي وأصحاب الحواشي. وقد جمع من شيوخه بين علوم الفقه والأصول والحديث واللغة.

أما تلاميذه فقد انتفعوا بعلمه في الفقه والفتوى، وانتشرت مؤلفاته بينهم، فكان لها دور مهم في تكوين أجيال من فقهاء الشافعية في مصر. كما ظلت آراؤه وتقريراته حاضرة في الدروس الفقهية من خلال كتبه وحواشيه المشهورة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "حاشية القليوبي" أشهر مؤلفات الإمام القليوبي وأعظمها أثرًا، وهي جزء من الحاشية المعروفة بـ "حاشية القليوبي وعميرة" على كتاب كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين للإمام جلال الدين المحلي. وقد أصبحت هذه الحاشية من أكثر كتب المذهب تداولًا واعتمادًا في التدريس والإفتاء.

وله كذلك مؤلفات أخرى في الفقه والحديث واللغة، من أشهرها "حاشية على شرح المحلي على المنهاج"، و"شرح الأربعين النووية"، ورسائل علمية متنوعة في الفقه والأصول والتفسير.

وتبرز أهمية أعمال القليوبي في أنها أسهمت في توضيح المعتمد من أقوال المذهب الشافعي وتقريبها للدارسين، كما شكلت حلقة مهمة في سلسلة التطور الفقهي التي بدأت بالمحررين الكبار كالرافعي والنووي، ثم استقرت

عند ابن حجر والرملي، وتواصلت مع أصحاب الحواشي في القرون اللاحقة.

ولهذا يُعد الإمام شهاب الدين القليوبي أحد أبرز أعلام المرحلة الخامسة من تاريخ المذهب الشافعي، وأحد العلماء الذين كان لهم أثر بالغ في نشر الفقه الشافعي وتعليمه في العصر المتأخر.

س. الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المحقق نور الدين أبو الضياء علي بن علي الشبراملسي المصري الشافعي، أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن الحادي عشر الهجري، ومن أبرز أعلام مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد. انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي في مصر في عصره، واشتهر بدقة التحرير وكثرة التحقيق، حتى غدا مرجعًا للفقهاء وطلاب العلم في الفتوى والتدريس.

وُلِد سنة ٩٩٧هـ ببلدة شبراملس من أعمال الغربية بمصر، وإليها نُسب. وقد فقد بصره في طفولته، غير أن ذلك لم يمنعه من التفرغ للعلم والتحصيل، فحفظ القرآن الكريم، وأقبل على دراسة العلوم الشرعية والعربية، حتى برز في الفقه والأصول والحديث والتفسير.

ثم انتقل إلى القاهرة، التي كانت المركز العلمي الأكبر في مصر آنذاك، فالتحق بحلقات الأزهر الشريف ومدارسه، وأخذ العلم عن كبار العلماء، حتى صار من أعلام الشافعية في زمانه. وقد جمع بين علوم الفقه والحديث والعربية، واشتهر بقوة الحفظ وسعة الاطلاع ودقة النظر في المسائل الفقهية.

وعُرف الإمام الشبراملسي بالتواضع وحسن الخلق ولين الجانب مع طلابه، كما عُرف بالإنصاف والورع والانصراف إلى العلم والتعليم. وكان مجلسه

مقصدًا للطلاب والباحثين، واشتهر بين معاصريه بحسن البيان ودقة الجواب في الفتوى.

وتبرز أهمية الشبراملسي في كونه أحد كبار ممثلي المدرسة الرمليّة المتأخرة؛ فقد اعتمد على تراث شمس الدين الرملي والزيادي ومن سبقهما من المحققين، ثم قام بتحريره وشرحه والتعليق عليه. ولهذا أصبحت آراؤه ونقولاته حاضرة في كثير من كتب الفقه والحواشي المتأخرة.

وقد أمضى حياته في التدريس والإفتاء والتأليف، فقصده الطلاب من مصر وخارجها، وانتفع بعلمه خلق كثير. وظل موضع احترام العلماء والعامة حتى وفاته سنة ١٠٨٧هـ، بعد حياة حافلة بخدمة المذهب الشافعي.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الشبراملسي العلم عن عدد من كبار علماء عصره، ومن أشهر شيوخه الإمام نور الدين علي الزيادي، الذي كان له أعظم الأثر في تكوينه الفقهي، وعبد الرحمن اليمني، وعبد الرؤوف المناوي، ومحمد البابلي، وغيرهم من علماء الفقه والحديث.

أما تلاميذه فقد كانوا من كبار علماء القرن الحادي عشر الهجري، ومن أشهرهم زين العابدين بن أحمد الرملي، وشرف الدين بن أحمد الرملي، وجماعة من فقهاء مصر الذين حملوا علمه ونشروه في الأجيال اللاحقة. كما انتشرت آراؤه من خلال كتبه وحواشيه التي أصبحت مراجع معتمدة عند المتأخرين.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام الشبراملسي عددًا من الحواشي والتقريرات العلمية التي تدل على سعة علمه ودقة نظره. ومن أشهر مؤلفاته "حاشية الشبراملسي على نهاية المحتاج[٣٤]"، وهي من أهم الحواشي الفقهية في المذهب الشافعي، اعتنى فيها بتحرير المسائل وبيان المعتمد واستدراك الفوائد الفقهية على شرح شمس الدين الرملي.

وله كذلك حواشٍ وتعليقات على عدد من الكتب الفقهية والحديثية، منها حاشيته على بعض مؤلفات القسطلاني، وحاشية على "الشمائل المحمدية" للإمام الترمذي، إضافة إلى فوائد وتقريرات متفرقة تداولها العلماء في كتب الفقه والفتاوى.

كما كانت له عناية بالتفسير والحديث واللغة، ولم يقتصر نشاطه العلمي على الفقه وحده، بل شارك في عدد من العلوم الشرعية التي كانت تُدرَّس في الأزهر الشريف في عصره.

وتبرز أهمية أعمال الشبراملسي في أنها تمثل مرحلة متقدمة من مراحل نضج المذهب الشافعي؛ إذ جمعت بين تحريرات المتقدمين وتحقيقات المتأخرين، وأسهمت في ترسيخ المدرسة الفقهية التي استمرت مع القليوبي والبجيرمي وغيرهما من فقهاء القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين. ولذلك يُعد الشبراملسي أحد أهم أئمة الشافعية في عصر الحواشي والاعتماد.

---

[٣٤] ومن الجدير بالملاحظة أن حاشية الشبراملسي كُتبت على كتاب "نهاية المحتاج" لشمس الدين الرملي (ت ١٠٠٤هـ)، وهو أحد الشرحين المعتمدين على "منهاج الطالبين" للنووي. ويُظهر ذلك استمرار السلسلة العلمية للمذهب الشافعي من المتن إلى الشرح ثم إلى الحاشية، وهي السلسلة التي ميّزت مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد.

ش. محمد بن سليمان الكردي (١١٢٥–١١٩٤هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المحدث شمس الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان الكردي المدني الشافعي، مفتي الشافعية بالمدينة المنورة وإمامهم في القرن الثاني عشر الهجري، وأحد أبرز أعلام مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد في المذهب الشافعي.

وُلِد سنة ١١٢٥هـ بمدينة دمشق أثناء إقامة والده بها، وكان والده من أصل كردي، ثم انتقل به إلى المدينة المنورة وهو في سن مبكرة، فنشأ في جوار المسجد النبوي الشريف، وتلقى علومه الأولى على يد والده وجماعة من علماء المدينة. وقد أتاح له هذا الوسط العلمي المتميز أن يتشبع بالعلوم الشرعية منذ صغره، فبرز في الفقه والحديث وسائر العلوم الإسلامية.

حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه الشافعي والحديث والتفسير واللغة العربية، ثم واصل تحصيله على كبار علماء الحرمين الشريفين، حتى أصبح من أعلام المدينة المنورة ومراجعها العلمية. وقد عُرف بسعة العلم وقوة الحفظ ودقة النظر في المسائل الفقهية، حتى انتهت إليه رئاسة الشافعية في المدينة في عصره.

وتولى منصب الإفتاء للشافعية بالمدينة المنورة سنة ١١٨٩هـ، فقصده طلاب العلم والمستفتون من مختلف الأقطار الإسلامية. وكان له أثر بارز في ترسيخ منهج الفتوى الشافعية المتأخرة، إذ اهتم بتحرير المعتمد من أقوال المذهب وبيان من يُعتمد قوله من أئمة الشافعية المتأخرين.

وتبرز أهمية الإمام الكردي في كونه أحد كبار ممثلي المدرسة الحجازية الشافعية في القرن الثاني عشر الهجري. فقد جمع بين الفقه والحديث، وربط بين تراث المتأخرين من أصحاب الحواشي وبين الأجيال اللاحقة التي حملت المذهب إلى أنحاء العالم الإسلامي، ولا سيما اليمن والهند والأرخبيل الإندونيسي.

وكان معروفًا بالزهد وحسن الخلق والانشغال بالعلم والتعليم، كما عُرف بالتحقيق والتدقيق في مسائل الفقه والفتوى. وقد أفاد منه العلماء والطلاب في المدينة المنورة، وظل مرجعًا للشافعية حتى وفاته.

وتوفي رحمه الله صبيحة يوم الاثنين السادس عشر من ربيع الأول سنة ١١٩٤هـ بالمدينة المنورة، وهو لا يزال يتولى منصب الإفتاء. ودُفن في بقيع الغرقد، بعد حياة حافلة بالتدريس والإفتاء والتأليف وخدمة المذهب الشافعي.

شيوخه وتلاميذه

نشأ الإمام الكردي في بيئة علمية زاخرة، فأخذ العلم عن والده الشيخ سليمان الكردي، وعن أخيه محمود الجامي، وعبد الرحمن الجامي، ويوسف الكردي، وغيرهم من علماء المدينة المنورة. كما أخذ الحديث والفقه عن كبار علماء الحرمين، ومن أشهرهم الشيخ محمد حياة السندي، والشيخ سعيد سنبل، وغيرهما من أئمة عصره.

أما تلاميذه فقد انتشروا في أقطار متعددة من العالم الإسلامي، ومن أشهرهم الشيخ محمد أرشاد البنجري، أحد كبار علماء إندونيسيا، والشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي المغربي، وغيرهما من العلماء الذين حملوا علمه ونشروا مؤلفاته خارج الحجاز.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام محمد بن سليمان الكردي عددًا من المؤلفات والرسائل المهمة في الفقه والحديث والعقيدة، ومن أشهرها كتاب "الفوائد المدنية فيمن يفتى بقوله من أئمة الشافعية"، وهو من أهم الكتب التي تناولت تحرير المعتمد في المذهب الشافعي وبيان مراتب أئمة الفتوى عند المتأخرين، ولذلك اكتسب مكانة كبيرة بين فقهاء الشافعية.

ومن مؤلفاته كذلك "الحواشي المدنية على شرح المقدمة الحضرمية[٣٥]"، وهي حاشية نفيسة على شرح المقدمة الحضرمية لعبد الله بافضل الحضرمي، وقد لقيت عناية واسعة في الحجاز وحضرموت وجنوب شرق آسيا، لما اشتملت عليه من تحريرات فقهية دقيقة وفوائد تعليمية نافعة.

وله أيضًا عدد من الرسائل الفقهية المتخصصة، منها "كاشف اللثام عن حكم التجرد قبل الميقات بلا إحرام"، و "زهر الربى في بيان أحكام الربا"، و"فتح الفتاح" في مسائل الحج، وغيرها من المصنفات التي تعكس سعة علمه واهتمامه بالقضايا الفقهية العملية.

وتبرز أهمية أعمال الإمام الكردي في أنها تمثل امتدادًا للمدرسة الشافعية المتأخرة في الحرمين الشريفين، كما أسهمت في نقل تراث المذهب إلى مناطق واسعة من العالم الإسلامي. ولذلك يُعد من أبرز فقهاء القرن الثاني عشر الهجري، ومن أهم الشخصيات العلمية التي مهدت لانتشار الفقه الشافعي في الحجاز وحضرموت وبلاد الملايو وإندونيسيا.

ص.البجيرمي (١١٣١–١٢٢١هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المحقق سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي الأزهري، أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجري، ومن أبرز أعلام مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد. وقد اشتهر بدقة التحرير وكثرة النقول وحسن الجمع بين أقوال

[٣٥] ومن الجدير بالملاحظة أن الإمام محمد بن سليمان الكردي كان من أبرز شراح "المقدمة الحضرمية" لعبد الله بافضل الحضرمي (ت ٩١٨هـ)، مما يدل على استمرار السلسلة التعليمية للمذهب الشافعي من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الهجري. وقد أسهمت هذه الشروح والحواشي في انتشار الفقه الشافعي في الحجاز وحضرموت وجنوب شرق آسيا، ولا سيما في المعاهد الإسلامية بإندونيسيا وماليزيا.

المتأخرين، حتى أصبحت حواشيه من أهم المراجع المعتمدة في الفقه الشافعي.

وُلِد سنة ١١٣١هـ بقرية بجيرم من أعمال الغربية بمصر، وإليها نُسب. نشأ يتيمًا فكفله بعض أقاربه، واعتنوا بتربيته وتعليمه، فحفظ القرآن الكريم وأقبل على طلب العلم منذ صغره. ثم انتقل إلى القاهرة والتحق بالأزهر الشريف، الذي كان آنذاك مركزًا رئيسًا للعلوم الشرعية في العالم الإسلامي.

وتلقى العلوم على كبار علماء عصره، فدرس الفقه الشافعي وأصوله واللغة العربية والمنطق وسائر العلوم المتداولة في الأزهر. وقد عُرف بسرعة الفهم وقوة الحفظ وكثرة المطالعة، حتى صار من كبار علماء المذهب الشافعي في زمانه.

وعُرف الإمام البجيرمي بالورع والتواضع والانصراف إلى العلم والتعليم، وكان قليل الاختلاط بأهل الدنيا، كثير الاشتغال بالمطالعة والتأليف. وقد فقد بصره في أواخر حياته، غير أن ذلك لم يمنعه من مواصلة التدريس والإفادة والتصنيف، فاستمر عطاؤه العلمي حتى وفاته.

وتبرز أهمية البجيرمي في كونه يمثل المرحلة المتأخرة من تطور المدرسة الشافعية المصرية؛ فقد جمع في مؤلفاته تحريرات ابن حجر الهيتمي والرملي والزيادي والشبراملسي والقليوبي، ورتبها وناقشها وحرر مواضع الخلاف بينها. ولذلك أصبحت كتبه مرجعًا مهمًا للفقهاء والمفتين في العصور المتأخرة.

وكان مجلسه بالأزهر مقصدًا للطلاب، وانتفع بعلمه عدد كبير من الدارسين، كما انتشرت مؤلفاته في مصر والحجاز واليمن وجنوب شرق آسيا، ولا تزال تُدرَّس في كثير من المعاهد الشرعية إلى يومنا هذا.

وتوفي الإمام البجيرمي سنة ١٢٢١هـ، بعد حياة حافلة بالتدريس والتأليف وخدمة المذهب الشافعي، تاركًا تراثًا علميًا يُعد من أهم ما خلفته مدرسة الحواشي الشافعية.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام البجيرمي العلم عن عدد من كبار علماء الأزهر الشريف، ومن أشهر شيوخه الشيخ عطية الأجهوري، والشيخ عبد الرؤوف العشماوي، والشيخ علي الصعيدي العدوي، والشيخ محمد بن سالم الحفني، والشيخ أحمد الديربي، وغيرهم من أعلام القرن الثاني عشر الهجري. وقد أجازه عدد من شيوخه بالتدريس والإفتاء لما ظهر عليهم من نبوغه وتمكنه العلمي.

أما تلاميذه فقد كانوا كثيرين، وانتفعوا به في الأزهر الشريف وفي حلقات العلم بالقاهرة. وقد حملوا طريقته في التحقيق وجمع الأقوال وتحرير المسائل، وأسهموا في استمرار المدرسة الشافعية المتأخرة في مصر.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام البجيرمي عددًا من الحواشي والمؤلفات التي أصبحت من أهم مراجع الفقه الشافعي المتأخر. ومن أشهرها كتاب "تحفة الحبيب على شرح الخطيب"، المعروف بـ "حاشية البجيرمي على الخطيب[٣٦]"، وهي حاشية على كتاب "الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع" للخطيب الشربيني. وقد امتازت بكثرة الفوائد الفقهية واللغوية، وجمع أقوال المحققين من المتأخرين، مما جعلها من أكثر الحواشي تداولًا بين طلبة الفقه.

---

[٣٦] ومن الجدير بالملاحظة أن حواشي البجيرمي تمثل إحدى الحلقات الأخيرة في السلسلة التعليمية للمذهب الشافعي؛ إذ جاءت بعد قرون من التأليف والشرح والتحشية، فجمعت تحريرات ابن حجر الهيتمي والرملي والشبراملسي والقليوبي وغيرهم من أئمة المذهب. ولذلك تُعد مؤلفاته خلاصةً للمدرسة الشافعية المتأخرة قبل النهضة العلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين.

وله كذلك كتاب "التجريد لنفع العبيد"، وهي حاشية مطولة على "شرح المنهج" لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، تناول فيها مسائل المذهب بالتحرير والشرح والتعليق، مع العناية ببيان المعتمد من الأقوال.

ومن مؤلفاته أيضًا "حاشية البجيرمي على المنهج"، وهي من الكتب المعروفة في الفقه الشافعي، وتدل على تمكنه من تحرير أقوال المتأخرين وربطها بأصول المذهب وقواعده.

وتبرز أهمية أعمال الإمام البجيرمي في أنها تمثل خلاصة قرون من الشروح والحواشي الشافعية؛ فقد جمع فيها أقوال كبار المحققين من أمثال ابن حجر الهيتمي والرملي والزيادي والشبراملسي والقليوبي، مما جعل مؤلفاته من أهم المراجع المعتمدة في دراسة الفقه الشافعي في العصر المتأخر.

المرحلة السادسة

مرحلة المتأخرين والنهضة العلمية (١٣-١٤هـ)

لمحة عن المرحلة السادسة

تمثل هذه المرحلة آخر المراحل الكبرى في تاريخ المذهب الشافعي قبل العصر المعاصر، وتمتد تقريبًا من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين. وقد ورث علماء هذه المرحلة تراثًا فقهيًا ضخمًا استقر عبر قرون طويلة من التحرير والتحقيق والحواشي، فكان عليهم المحافظة على هذا التراث من جهة، والتعامل مع التحديات العلمية والاجتماعية الجديدة من جهة أخرى.

وفي هذه الحقبة ظل الاعتماد الفقهي قائمًا على مؤلفات المتأخرين، وفي مقدمتها كتب الإمام ابن حجر الهيتمي والإمام شمس الدين الرملي، وما كُتب عليها من الحواشي والتقريرات. غير أن النشاط العلمي لم يقتصر على شرح المتون وتحشيتها، بل شهد المذهب محاولات للتجديد في أساليب التعليم، وإعادة ترتيب المسائل، وتقريب الفقه للطلاب، والعناية بالفتاوى والنوازل التي فرضتها التحولات السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي.

وانتقلت مراكز النشاط العلمي الشافعي خلال هذه الفترة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة والقاهرة وحضرموت وبلاد الشام، كما ازداد تأثير الحرمين الشريفين في نشر المذهب، خاصة مع توافد الطلاب من مختلف أقطار العالم الإسلامي. وأسهم علماء اليمن وحضرموت وجنوب شرق آسيا في نقل التراث الشافعي إلى مناطق جديدة، وترسيخ حضوره في المؤسسات العلمية والدينية.

كما تميزت هذه المرحلة بازدياد العناية بجمع الفتاوى وترتيبها، وشرح كتب الاعتماد، واختصار المؤلفات المطولة، مع ظهور عدد من العلماء الذين

جمعوا بين الفقه والحديث والتفسير والتربية والدعوة. وقد أسهم هؤلاء في المحافظة على استمرارية المذهب الشافعي وربطه بالواقع العلمي والاجتماعي لعصورهم.

ومن أبرز أعلام هذه المرحلة الإمام سليمان البجيرمي، والإمام محمد بن سليمان الكردي، والإمام أحمد زيني دحلان، والإمام محمد نووي الجاوي البنتني، وغيرهم من العلماء الذين حملوا تراث المذهب إلى العصر الحديث، وتركوا مؤلفات لا تزال محل عناية الباحثين وطلاب العلم.

وتكمن أهمية هذه المرحلة في أنها شكلت حلقة الوصل بين التراث الفقهي المتأخر والعصر الحديث، وأسهمت في حفظ المذهب الشافعي ونشره خارج مراكزه التقليدية، ولا سيما في الحجاز واليمن وجنوب شرق آسيا. كما مهدت الطريق للدراسات الشافعية المعاصرة التي ظهرت في الجامعات والمعاهد العلمية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين.

ولهذا يمكن وصف هذه المرحلة بأنها مرحلة المحافظة على التراث والتجديد في عرضه، حيث اجتمع فيها الوفاء للمدرسة الفقهية الموروثة مع السعي إلى تقريبها للأجيال الجديدة وتوسيع دائرة انتشارها في العالم الإسلامي.

المرحلة السادسة	القرون	السمة الغالبة
حقبة المتأخرين والنهضة العلمية	١٣–١٤هـ	نشر المذهب خارج مراكزه التقليدية، وإعادة إحياء تدريسه وشرحه، وظهور طبعات الكتب والحواشي الجامعة، واتساع التأثير العلمي للمذهب في الحجاز واليمن والهند والأرخبيل الإندونيسي، مع المحافظة على التراث الفقهي المتأخر ونقله إلى العصر الحديث

تراجم موجزة لفقهاء المرحلة السادسة

تمثل المرحلة السادسة من تاريخ المذهب الشافعي، الممتدة من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، مرحلة المتأخرين والنهضة العلمية، وهي مرحلة اتسمت بالمحافظة على التراث الفقهي الذي استقر في القرون السابقة، مع استمرار حركة التدريس والإفتاء والتأليف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وقد ظلت الكتب المعتمدة للمذهب، ولا سيما مؤلفات النووي والرافعي، وشروح ابن حجر الهيتمي والرملي والخطيب الشربيني، محور الدراسة والتدريس في الحرمين الشريفين والأزهر الشريف والمدارس العلمية المنتشرة في المشرق الإسلامي ومغربه.

وشهدت هذه المرحلة اتساع دائرة المذهب الشافعي خارج مراكزه التقليدية، فبرز عدد من العلماء الذين حملوا تراث المذهب إلى مناطق جديدة، وأسهموا في نشره وتعليمه في بلاد الحجاز واليمن والهند وأرخبيل الملايو وجنوب شرق آسيا. كما كثرت الحواشي والتقريرات والفتاوى، وظهرت مؤلفات تعليمية ميسرة ساعدت على استمرار دراسة الفقه الشافعي في المعاهد والمساجد والربط العلمية.

وقد امتاز علماء هذه المرحلة بجمعهم بين خدمة التراث الشافعي والمحافظة على أصوله المعتمدة، وبين الاستجابة لحاجات عصرهم التعليمية والدعوية. فكان منهم المفتون والمدرسون والمحدثون والمربون الذين حافظوا على السلسلة العلمية للمذهب وربطوا الأجيال اللاحقة بجهود الأئمة المتقدمين.

وفيما يأتي تراجم موجزة لعدد من أبرز أعلام هذه المرحلة، ممن كان لهم أثر ظاهر في خدمة الفقه الشافعي ونشره، وتركوا مؤلفات نافعة ما زالت محل عناية الدارسين وطلاب العلم إلى يومنا هذا.

أ. الشرواني (ت ١٣٠١ هـ)

هو الإمام الفقيه المحقق عبد الحميد بن حسين الداغستاني الشرواني المكي الشافعي (ت ١٣٠١هـ/١٨٨٤م)، أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن الثالث عشر الهجري، ومن أبرز علماء الحرم المكي في عصره. اشتهر بحاشيته النفيسة على "تحفة المحتاج" لابن حجر الهيتمي، والتي أصبحت من أهم المراجع المعتمدة عند المتأخرين في دراسة المذهب الشافعي وتحرير مسائله.

وُلِد الشرواني في بلاد داغستان بمنطقة القوقاز، ونشأ في أسرة عُرفت بالتمسك بالدين والعناية بالعلم. حفظ القرآن الكريم في صغره، وتلقى مبادئ العلوم الشرعية والعربية على علماء بلاده، ثم ظهرت عليه أمارات النبوغ وحب التحصيل، فاشتد حرصه على الرحلة في طلب العلم على عادة العلماء في ذلك العصر.

رحل الشرواني إلى عدد من المراكز العلمية المهمة في العالم الإسلامي، فزار إسطنبول وأخذ عن بعض علمائها، ثم انتقل إلى مصر حيث لازم حلقات الجامع الأزهر، واستفاد من كبار علماء الشافعية. وبعد ذلك استقر في مكة المكرمة، فوجد فيها البيئة العلمية التي أتاحت له التفرغ للتدريس والتأليف والإفتاء.

وقد عُرف الشرواني بسعة الاطلاع وقوة التحرير، وجمع بين المعرفة الدقيقة بفروع المذهب الشافعي والإلمام بعلوم العربية والأصول والحديث. كما كان حسن السمت، كثير العبادة، ملازماً للدرس والإفادة، حتى صار من أبرز علماء الحرم المكي، وقصده الطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية للأخذ عنه والاستفادة من تحقيقاته الفقهية.

وأثنى عليه العلماء ثناءً عظيماً، وعدّوه من كبار المحققين في المذهب الشافعي في عصره. وقد ظهرت مكانته العلمية من خلال تحريراته الدقيقة وتعليقاته النفيسة على كتب المذهب، حتى أصبحت آراؤه ونقولاته معتمدة عند كثير من المتأخرين.

وظل الإمام الشرواني مشتغلاً بالتدريس والإفتاء والتأليف في مكة المكرمة حتى توفي سنة ١٣٠١هـ، بعد حياة حافلة بخدمة العلم ونشر الفقه الشافعي.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام الشرواني العلم على عدد من كبار علماء عصره خلال رحلاته العلمية في داغستان وإسطنبول ومصر والحجاز. وكان من أبرز شيوخه علماء الأزهر الشريف الذين أخذ عنهم الفقه الشافعي وأصوله والعلوم العربية، كما استفاد من علماء الحرمين الشريفين الذين تلقى عنهم الحديث والفقه والإجازات العلمية.

ومن أشهر شيوخه الإمام إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر، الذي كان له أثر ظاهر في تكوينه الفقهي، كما أخذ عن عدد من علماء مصر والحجاز في مختلف العلوم الشرعية والعقلية. وقد أسهمت هذه الرحلات العلمية في تكوين شخصيته الموسوعية وصقل ملكته الفقهية.

ولما استقر بمكة المكرمة تصدر للتدريس في الحرم المكي والمدارس العلمية الملحقة به، فاجتمع عليه الطلاب الوافدون من الحجاز واليمن والهند والأرخبيل الملايوي وغيرها من البلاد الإسلامية. وانتفع به عدد كبير من طلاب العلم الذين نقلوا مؤلفاته وتحريراته إلى الأجيال اللاحقة.

مؤلفاته وأعماله العلمية

تُعد "حاشية الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج"[٣٧] أشهر مؤلفاته وأعظمها أثراً. وهي حاشية واسعة على كتاب "تحفة المحتاج" للإمام ابن

[٣٧] تمثل حاشية الشرواني مرحلة متأخرة من خدمة كتاب تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، إذ كُتبت بعد أكثر من ثلاثة قرون من تأليف الأصل، مما يُظهر استمرار العناية بالمتون المعتمدة في المذهب الشافعي عبر الأجيال المتعاقبة.

حجر الهيتمي، جمع فيها مؤلفها أقوال فقهاء المذهب، وحرر كثيراً من المسائل المشكلة، وناقش النقول المختلفة، مع بيان المعتمد في مواضع كثيرة. وقد أصبحت هذه الحاشية من أهم المراجع التي يعتمد عليها المفتون والمدرسون في المذهب الشافعي.

وتتميز الحاشية بأنها لا تقتصر على شرح الألفاظ والعبارات، بل تتضمن مناقشات فقهية دقيقة، ونقولاً واسعة من كتب المذهب، مع العناية بالترجيح والتحرير، مما جعلها من أبرز الحواشي الفقهية في المرحلة المتأخرة من تاريخ المذهب الشافعي.[٣٨]

وله كذلك عدد من الرسائل والمؤلفات في التصوف والوعظ والآداب الإسلامية، من أشهرها "أسرار الوضوء"، و"أنوار القلوب لطلب رؤية المحبوب"، و"الأنوار الإلهية"، وهي مؤلفات تدل على عنايته بالتربية الروحية إلى جانب اشتغاله بالفقه والتحقيق العلمي.

ويُعد الإمام عبد الحميد الشرواني من أبرز أعلام المرحلة السادسة من تاريخ المذهب الشافعي، إذ مثّل حلقة وصل بين مدرسة المتأخرين التي استقرت على تحريرات ابن حجر الهيتمي والرملي، وبين العلماء الذين حملوا هذا التراث إلى القرن الرابع عشر الهجري، فبقيت مؤلفاته مرجعاً مهماً لطلاب الفقه الشافعي إلى يومنا هذا.

---

[٣٨] تمثل حاشية الشرواني مرحلة متأخرة من خدمة كتاب تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، إذ كُتبت بعد أكثر من ثلاثة قرون من تأليف الأصل، مما يُظهر استمرار العناية بالمتون المعتمدة في المذهب الشافعي عبر الأجيال المتعاقبة.

ب. أحمد بن زيني دحلان (١٢٣٢–١٣٠٤هـ)

هو الإمام العلامة السيد أحمد بن زيني بن أحمد دحلان الحسني الشافعي، مفتي الشافعية بمكة المكرمة وشيخ علمائها في القرن الثالث عشر الهجري، وأحد أبرز أعلام المذهب الشافعي في العصر العثماني. جمع بين الفقه والتاريخ والعقيدة والسيرة النبوية، وكان له أثر واسع في الحياة العلمية والدعوية بالحجاز، حتى غدا مرجعًا للعلماء وطلاب العلم الوافدين إلى الحرمين الشريفين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

وُلِد بمكة المكرمة سنة ١٢٣٢هـ (١٨١٧م)، في أسرة عُرفت بالعلم والصلاح. نشأ في جوار المسجد الحرام، فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم أقبل على دراسة العلوم الشرعية والعربية، فتلقى الفقه والأصول والحديث والتفسير واللغة على كبار علماء مكة والمدينة ومصر، حتى برع في مختلف الفنون الإسلامية.

وقد ظهرت عليه أمارات النبوغ منذ شبابه، فاشتغل بالتدريس والتأليف والإفتاء، وتدرج في المناصب العلمية حتى تولى منصب الإفتاء للمذهب الشافعي بمكة المكرمة، ثم أُسندت إليه مشيخة العلماء، فصار المرجع الأعلى للشافعية في الحجاز، ومقصدًا للحجاج والمعتمرين وطلاب العلم القادمين من سائر الأقطار الإسلامية.

وعاصر الإمام دحلان مرحلة مهمة من تاريخ العالم الإسلامي اتسمت بالتحولات السياسية والفكرية الكبرى في أواخر الدولة العثمانية، فكان حاضرًا في كثير من القضايا العلمية والعقدية التي شغلت عصره. وقد عُرف بقوة شخصيته العلمية وحرصه على الدفاع عن منهج أهل السنة والجماعة، مع اهتمام خاص بالتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.

وتبرز أهمية أحمد زيني دحلان في أنه كان حلقة وصل بين المدرسة الشافعية المتأخرة في الحرمين الشريفين وبين النهضة العلمية الحديثة في

العالم الإسلامي. فقد تخرج عليه عدد كبير من العلماء الذين حملوا العلم إلى إندونيسيا والهند واليمن وبلاد الشام وشمال إفريقيا، مما جعل أثره يتجاوز حدود الحجاز إلى آفاق واسعة.

وكان الإمام دحلان معروفًا بحسن الخلق وسعة الصدر وكثرة الاشتغال بالتدريس والإفادة. وقد جمع بين الفتوى والتأليف، فترك تراثًا علميًا متنوعًا في الفقه والتاريخ والعقيدة والسيرة.

وفي أواخر حياته انتقل إلى المدينة المنورة، وأقام بها مدة من الزمن، ثم توفي سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٦م)، ودُفن بالبقيع، بعد حياة حافلة بخدمة العلم ونشر المذهب الشافعي.

شيوخه وتلاميذه

تلقى الإمام أحمد زيني دحلان العلم على عدد من كبار علماء الحرمين الشريفين ومصر، ومن أشهر شيوخه الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي، والشيخ محمد بن علي الشنواني، والشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر، والسيد أحمد المرزوقي المالكي، وغيرهم من أعلام القرن الثالث عشر الهجري.

أما تلاميذه فقد كانوا من أشهر علماء العالم الإسلامي في عصرهم، ومن أبرزهم الشيخ محمد نووي البنتني، والشيخ يوسف النبهاني، والسيد حسين بن محمد الحبشي، والسيد علوي بن أحمد السقاف، وغيرهم من العلماء الذين نشروا علومه ومؤلفاته في الحجاز واليمن وإندونيسيا وبلاد الشام.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام أحمد زيني دحلان عددًا كبيرًا من المؤلفات التي تدل على سعة علمه وتنوع اهتماماته.[٣٩] ففي السيرة النبوية ألّف كتابه المشهور "السيرة النبوية"، الذي لقي رواجًا واسعًا بين طلاب العلم، كما ألّف "الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين"، واعتنى فيه ببيان مناقب الخلفاء وأهل البيت ومكانتهم في التاريخ الإسلامي.

وفي التاريخ ألّف كتاب "خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام"، وهو من أهم المصادر في تاريخ مكة المكرمة وأمرائها، كما ألّف "الجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية"، الذي تناول فيه تاريخ الدول الإسلامية وتعاقبها عبر العصور.

أما في العقيدة والردود، فمن أشهر كتبه "الدرر السنية في الرد على الوهابية"، وكتاب "فتنة الوهابية"، وكتاب "أسنى المطالب في نجاة أبي طالب"، وهي مؤلفات تعكس اهتمامه بالدفاع عن معتقدات أهل السنة والجماعة ومناقشة القضايا العقدية التي كانت مطروحة في عصره.

وتبرز أهمية أعمال الإمام دحلان في أنها جمعت بين المحافظة على التراث العلمي للمذهب الشافعي والانفتاح على قضايا العصر، كما أسهمت في ربط الحجاز بالحركة العلمية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. ولذلك يُعد من أبرز علماء الشافعية في القرن الثالث عشر الهجري، ومن الشخصيات التي مهدت لنهضة علمية واسعة في الحرمين الشريفين وخارجهما.

[٣٩] ومن الجدير بالملاحظة أن أثر الإمام أحمد زيني دحلان لم يقتصر على الحجاز؛ فقد كان عدد من أبرز علماء جنوب شرق آسيا من تلاميذه أو المتأثرين بمدرسته، ومنهم الشيخ محمد نووي البنتني. ولذلك مثّل دحلان حلقةً مهمة في انتقال التراث الشافعي من الحرمين الشريفين إلى إندونيسيا وبلاد الملايو في العصر الحديث.

ت. أبو بكر شطا الدمياطي (١٢٥٦–١٣١٠هـ)

هو الإمام الفقيه العلامة السيد أبو بكر محمد شطا بن السيد محمد شطا الدمياطي المصري الشافعي، أحد كبار فقهاء الشافعية في القرن الرابع عشر الهجري، ومن أشهر علماء الحرمين الشريفين في عصره. اشتهر بالتدريس والإفتاء والتأليف، وكان مرجعًا للطلاب والباحثين في الفقه الشافعي، حتى غدت مؤلفاته من أهم المراجع المعتمدة في دراسة المذهب.

وُلِد الشيخ محمد شطا بمدينة دمياط بمصر سنة ١٢٥٦هـ تقريبًا، ونشأ في بيت علم وصلاح، فحفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم الشرعية والعربية في بلده. ثم رحل إلى الحجاز طلبًا للعلم، واستقر بمكة المكرمة حيث تلقى العلم عن كبار علمائها، ولازم حلقاتهم العلمية حتى برز في الفقه والحديث واللغة.

وقد تفقه على عدد من كبار علماء الشافعية بالحرمين الشريفين، وأخذ عنهم علوم الفقه والأصول والتفسير والحديث. وكان واسع الاطلاع على مؤلفات المتأخرين، ولا سيما كتب ابن حجر الهيتمي والرملي والخطيب الشربيني وأصحاب الحواشي، مما أكسبه ملكة قوية في تحرير مسائل المذهب وبيان معتمداته.

واشتهر الشيخ محمد شطا بالتدريس في المسجد الحرام، فقصده الطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية، ولا سيما من مصر واليمن وحضرموت وبلاد الملايو وإندونيسيا. وقد أسهمت دروسه في نشر الفقه الشافعي بين أعداد كبيرة من طلبة العلم الذين عادوا إلى بلادهم حاملين علمه ومؤلفاته.

وكان رحمه الله حسن الخلق، متواضعًا، كثير الاشتغال بالعلم والتعليم، منصرفًا إلى خدمة الفقه الشافعي وتوضيح مسائله. وقد شهد له معاصروه بسعة العلم ودقة الفهم وحسن العبارة، فكان من أبرز علماء مكة المكرمة في زمانه.

وتبرز أهمية الشيخ محمد شطا في كونه حلقة وصل بين المدرسة الشافعية المتأخرة في الحرمين الشريفين وبين النهضة العلمية التي شهدتها بلاد جنوب شرق آسيا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. وقد انتشرت مؤلفاته في المعاهد الإسلامية انتشارًا واسعًا، ولا تزال تدرَّس إلى اليوم.

وتوفي الشيخ محمد شطا بمكة المكرمة سنة ١٣١٠هـ، بعد حياة حافلة بالتعليم والتأليف وخدمة العلم، تاركًا تراثًا علميًا نافعًا ظل حاضرًا في حلقات الدرس والمعاهد الشرعية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الشيخ محمد شطا العلم عن عدد من كبار علماء مكة المكرمة، وتتلمذ على فقهائها ومحدثيها، حتى أصبح من أعيان الشافعية في الحرم المكي. وكان على صلة علمية وثيقة بكثير من علماء عصره، واستفاد من البيئة العلمية المزدهرة التي شهدتها مكة في القرن الثالث عشر الهجري.

أما تلاميذه فقد كانوا من مختلف الأقطار الإسلامية، ولا سيما من حضرموت واليمن وإندونيسيا وماليزيا. ومن أشهر من أخذ عنه الإمام المحدث الفقيه محفوظ بن عبد الله الترمسي، الذي أصبح لاحقًا من كبار علماء الحديث والفقه في الحرمين الشريفين.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد كتاب "إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين" أشهر مؤلفات الشيخ محمد شطا وأعظمها أثرًا. وهو حاشية موسعة على كتاب فتح المعين للشيخ زين الدين المليباري، جمع فيها أقوال فقهاء المذهب المتأخرين، وحرر كثيرًا من المسائل الفقهية، مع ذكر الفوائد والنقول المهمة. وقد أصبح هذا

الكتاب من أشهر الكتب المعتمدة في تدريس الفقه الشافعي في الحجاز واليمن وبلاد الملايو وإندونيسيا.

وله كذلك عدد من الرسائل والتعليقات والفوائد العلمية في الفقه والعقيدة والتصوف، غير أن شهرته الكبرى ارتبطت بكتاب إعانة الطالبين، الذي يُعد خلاصة مهمة للفقه الشافعي المتأخر، ومرجعًا أساسيًا للباحثين وطلبة العلم.

ويُعد الشيخ محمد شطا الدمياطي أحد أبرز أعلام المرحلة السادسة من تاريخ المذهب الشافعي، إذ أسهم في المحافظة على التراث الفقهي المتأخر ونقله إلى الأجيال اللاحقة، كما كان له أثر كبير في نشر الفقه الشافعي في الحرمين الشريفين وبلاد جنوب شرق آسيا من خلال تدريسه ومؤلفاته وتلاميذه.

ث. محمد نووي البنتني (ت ١٣١٤هـ)

هو الإمام العلامة الفقيه المفسر المحدث الشيخ محمد نووي بن عمر الجاوي البنتني الشافعي، أحد كبار علماء الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، وأشهر علماء الأرخبيل الإندونيسي في العصر الحديث. وقد جمع بين الفقه والتفسير والحديث والتصوف واللغة، واشتهر بكثرة التأليف وحسن التعليم، حتى لُقِّب عند كثير من العلماء بـ"إمام علماء الحجاز" في زمانه.

وُلِد الشيخ محمد نووي سنة ١٢٣٠هـ بمدينة بنتن في جزيرة جاوة بإندونيسيا، ونشأ في أسرة عُرفت بالعلم والصلاح. فتلقى مبادئ العلوم الشرعية على والده، ثم واصل طلب العلم في المعاهد الإسلامية المحلية، وأظهر نبوغًا مبكرًا في الفقه والعلوم العربية.

وفي شبابه رحل إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وطلب العلم، فأقام بها سنوات طويلة، ثم عاد إلى بلده مدة يسيرة قبل أن يستقر نهائيًا بمكة المكرمة. وهناك تلقى العلوم على كبار علماء الحرم المكي، فدرس الفقه

الشافعي والحديث والتفسير واللغة والأصول، حتى أصبح من أبرز علماء الحجاز في عصره.

وقد عُرف الإمام نووي بسعة علمه وقوة تحصيله وكثرة تدريسه، فقصده الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ولا سيما من إندونيسيا وماليزيا وجنوب شرق آسيا. وأصبحت حلقاته العلمية في المسجد الحرام من أشهر حلقات العلم في زمانه، وتخرج على يديه عدد كبير من العلماء الذين حملوا تراثه إلى بلدانهم.

وتتمثل أهمية الإمام نووي البنتني في أنه أسهم في نقل التراث الشافعي المتأخر إلى الأجيال الحديثة، فاعتمد في مؤلفاته على كتب الرافعي والنووي وابن حجر الهيتمي والرملي وغيرهم من أئمة المذهب، ثم أعاد عرضها بأسلوب واضح يناسب طلاب العلم. ولهذا أصبحت كتبه من أكثر المؤلفات تداولًا في المعاهد الإسلامية بإندونيسيا وماليزيا وجنوب تايلند وغيرها من مناطق انتشار المذهب الشافعي.

واتصف الشيخ محمد نووي بالتواضع والزهد وحسن الخلق، وكان منصرفًا إلى التدريس والتأليف والعبادة، بعيدًا عن المناصب والشهرة. وقد أثنى عليه معاصروه وتلاميذه، وعدوه من كبار علماء الحرمين الشريفين في عصره.

وكان الإمام نووي على عقيدة أهل السنة والجماعة وفق منهج الأشاعرة، وسار في التصوف على طريقة أئمة أهل السنة، فجمع بين العلم والعمل والتربية الروحية. وقد انعكس ذلك في مؤلفاته التي جمعت بين الفقه والتفسير والأخلاق والتزكية.

وتوفي الشيخ محمد نووي بمكة المكرمة سنة ١٣١٤هـ، ودُفن بمقبرة المعلاة، بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم والتأليف. وقد ترك تراثًا علميًا ضخمًا ظل حاضرًا في المدارس والمعاهد الإسلامية إلى يومنا هذا.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام نووي العلم عن عدد من كبار علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن أشهر شيوخه الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة، والشيخ أحمد بن زيني دحلان، والشيخ يوسف السنبلي، وجماعة من علماء الحرمين. وقد استفاد من البيئة العلمية المزدهرة التي شهدتها مكة في القرن الثالث عشر الهجري.

أما تلاميذه فقد انتشروا في الحجاز وإندونيسيا وماليزيا وسائر بلاد جنوب شرق آسيا، وكان لهم دور كبير في نشر مؤلفاته وتعاليمه. ومن أشهر من تأثر به عدد من كبار علماء الأرخبيل الإندونيسي الذين أصبحوا فيما بعد قادة للحركة العلمية والدعوية في بلادهم.

مؤلفاته وأعماله العلمية

يُعد الإمام محمد نووي البنتني من أكثر علماء الشافعية تأليفاً في العصر الحديث، حتى عُدَّ من كبار ناشري التراث الشافعي في القرن الرابع عشر الهجري. وقد تنوعت مصنفاته بين الفقه، والتفسير، والحديث، والعقيدة، والتصوف، والأخلاق، واللغة العربية، وامتازت بحسن الترتيب، وسهولة العبارة، وكثرة الفوائد، مما جعلها من أكثر الكتب تداولاً في المعاهد الإسلامية التقليدية في إندونيسيا وماليزيا وسائر بلاد الملايو.[٤٠]

في الفقه الشافعي ألّف الإمام كتاب "نهاية الزين في إرشاد المبتدئين"، وهو من أشهر المختصرات الفقهية المتأخرة في المذهب الشافعي، جمع فيه أهم

[٤٠] ومن اللافت أن الإمام نووي البنتني شرح وأعاد تقديم عدد من المتون الشافعية التي ألّفها أئمة المذهب في القرون السابقة، مثل "سفينة النجا" و"فتح القريب" و"بداية الهداية"، مما يُظهر استمرار السلسلة التعليمية للمذهب الشافعي عبر قرون متعاقبة، وانتقالها من الحجاز ومصر إلى جنوب شرق آسيا مع المحافظة على أصولها العلمية المعتمدة.

الأحكام الفقهية بأسلوب واضح يناسب المبتدئين وطلاب المعاهد الشرعية. وقد لقي الكتاب قبولاً واسعاً في الأوساط العلمية، ولا يزال من المقررات الدراسية المعتمدة في كثير من المعاهد الإسلامية إلى يومنا هذا.

كما ألّف كتاب "كاشفة السجا شرح سفينة النجا"، وهو شرح لمتن سفينة النجا للشيخ سالم بن سمير الحضرمي. امتاز هذا الشرح بحسن العرض ووضوح العبارة وكثرة التنبيهات الفقهية، فأصبح من أشهر شروح السفينة وأكثرها تداولاً بين طلاب العلم في جنوب شرق آسيا.

ومن مؤلفاته المهمة أيضاً "قوت الحبيب الغريب"، وهي حاشية نفيسة على كتاب فتح القريب المجيب لابن قاسم الغزي. وقد اعتنى فيها بتحرير المسائل الفقهية وشرح الألفاظ وتوضيح المعتمد في المذهب، مما جعلها من الحواشي المهمة المعتمدة عند الشافعية المتأخرين.

وفي مجال الأحوال الشخصية ألّف رسالته المشهورة "عقود اللجين في بيان حقوق الزوجين"، وهي رسالة موجزة تناولت الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين، مستندة إلى النصوص الشرعية وأقوال الفقهاء. وقد انتشرت هذه الرسالة انتشاراً واسعاً في العالم الإسلامي، وكثرت طبعاتها وشروحها.

أما في مجال السلوك والتزكية، فمن أشهر كتبه "مراقي العبودية"، وهو شرح لكتاب بداية الهداية للإمام الغزالي. وقد جمع فيه بين الفقه والتربية الروحية، واعتنى ببيان آداب المسلم وأخلاقه وسلوكه في عباداته ومعاملاته، مما جعله من الكتب المعتمدة في التربية الإسلامية.

وفي التفسير ألّف كتابه العظيم "مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد"، المعروف أيضاً بـ "التفسير المنير"، وهو أشهر مؤلفاته على الإطلاق. جمع فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير اللغوي والفقهي، مع عناية خاصة ببيان الأحكام الشرعية وفق المذهب الشافعي. وقد أصبح هذا التفسير من أهم

التفاسير التي ألّفها علماء جنوب شرق آسيا، ولا يزال يحظى بمكانة كبيرة بين العلماء والباحثين.

ومن كتبه المشهورة كذلك "نصائح العباد"، وهو شرح لكتاب المنبهات على الاستعداد ليوم المعاد لابن حجر العسقلاني، ويُعنى بالوعظ والتذكير والرقائق وتزكية النفوس. وقد اشتهر الكتاب بين العامة والخاصة لما فيه من المواعظ المؤثرة والحكم النافعة.

كما ألّف منظومته "سلم المناجاة"، وغيرها من الرسائل والمؤلفات الكثيرة التي تناولت العقيدة والفقه والحديث والأخلاق واللغة، حتى بلغت مؤلفاته عشرات الكتب التي انتشرت في مختلف أقطار العالم الإسلامي.

ويُعد الإمام محمد نووي البنتني أحد أبرز أعلام المرحلة السادسة من تاريخ المذهب الشافعي، إذ أسهم في الحفاظ على التراث الشافعي المتأخر ونشره في العالم الإسلامي، وربط بين المدرسة العلمية في الحرمين الشريفين والنهضة الإسلامية في جنوب شرق آسيا. ولذلك يحتل مكانة رفيعة بين علماء الشافعية في العصر الحديث، ولا تزال مؤلفاته تُدرَّس وتُقرأ على نطاق واسع إلى يومنا هذا.

ج. محفوظ الترمسي (ت ١٣٣٨هـ)

هو الإمام المحدث الفقيه المقرئ الشيخ محفوظ بن عبد الله بن عبد المنان الترمسي الجاوي الشافعي، أحد كبار علماء الإسلام في الحرمين الشريفين في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، ومن أبرز علماء الشافعية في

إندونيسيا والحجاز. وقد جمع بين الفقه والحديث والقراءات والأسانيد، حتى عُدَّ من كبار المحدثين المسندين في عصره.[٤١]

وُلِد الشيخ محفوظ بقرية ترمس من أعمال جاوة الشرقية بإندونيسيا في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٨٥هـ، بينما كان والده مقيمًا بمكة المكرمة. ونشأ في أسرة علم وصلاح، فحفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم الشرعية على والده الشيخ عبد الله الترمسي.

انتقل إلى مكة المكرمة بصحبة والده سنة ١٢٩١هـ، فأقام بها مدة وقرأ عليه عددًا من الكتب، ثم عاد إلى جاوة حيث واصل طلب العلم، ولازم العلامة الشيخ صالح بن عمر السماراني، فقرأ عليه جملة من الكتب الشرعية وأقام في رباطه مدة من الزمن. ثم عاد مرة أخرى إلى مكة المكرمة مهاجرًا في سبيل العلم، فاستقر بها بقية حياته.

وتلقى العلوم والفنون على كبار علماء الحرم المكي، فأخذ الفقه الشافعي والحديث والتفسير والقراءات والأصول. وكان من أبرز شيوخه العلامة السيد أبو بكر محمد شطا المكي، صاحب"إعانة الطالبين"، وهو عمدته في الفقه والرواية. كما أخذ الحديث وعلومه عن السيد حسين بن محمد الحبشي المكي، وقرأ على الشيخ محمد سعيد بابصيل، وأخذ القراءات الأربع عشرة عن شيخ المقرئين بمكة الشيخ محمد الشربيني الدمياطي.

وقد عُرف الشيخ محفوظ الترمسي بقوة التحصيل وسعة الاطلاع، حتى برع في علوم الحديث وأسانيده، والفقه الشافعي وأصوله، والقراءات القرآنية،

---

[٤١] ومن اللافت أن الشيخ محفوظ الترمسي مثّل حلقة وصل بين المدرسة الشافعية في الحرمين الشريفين والمدرسة الشافعية في الأرخبيل الإندونيسي؛ فقد تلقى العلم بمكة على كبار علماء الشافعية، ثم حمل تلاميذه ومؤلفاته هذا التراث إلى إندونيسيا وماليزيا وجنوب تايلند. ولذلك يُعد من أبرز الشخصيات التي أسهمت في استمرار الامتداد العالمي للمذهب الشافعي في العصر الحديث.

وغيرها من العلوم الإسلامية. وأجازه شيوخه بالتدريس والإفتاء، فتصدّر للتعليم في المسجد الحرام عند باب الصفا، كما عقد مجالس علمية في منزله، فقصده الطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية، ولا سيما من إندونيسيا وماليزيا واليمن والهند.

واتصف الإمام الترمسي بحسن الخلق ولين الجانب والتواضع والزهد، وكان بعيدًا عن التكلف وحب الظهور، مكتفيًا بما يرد إليه من بلده، منصرفًا إلى التعليم والتأليف ونشر العلم. وقد أثنى عليه معاصروه لما عُرف به من الورع وكثرة الاشتغال بالعلم.

وتكمن أهمية الشيخ محفوظ الترمسي في كونه من أبرز حلقات الاتصال العلمي بين الحرمين الشريفين وبلاد جنوب شرق آسيا. فقد أسهم في نشر المذهب الشافعي وعلوم الحديث بين طلاب الأرخبيل الإندونيسي، كما نقل إليهم أسانيد الحرمين وتراثها العلمي، فكان له أثر بالغ في النهضة العلمية التي شهدتها المنطقة في القرن الرابع عشر الهجري.

وتوفي الشيخ محفوظ الترمسي بمكة المكرمة سنة ١٣٣٨هـ، بعد حياة حافلة بالتعليم والتأليف وخدمة العلوم الشرعية، وترك أثرًا علميًا لا يزال حاضرًا في المعاهد الإسلامية والحلقات العلمية إلى يومنا هذا.

شيوخه وتلاميذه

أخذ الإمام الترمسي العلم عن عدد كبير من علماء مكة المكرمة وجاوة، ومن أشهر شيوخه والده الشيخ عبد الله بن عبد المنان الترمسي، والشيخ صالح بن عمر السماراني، والسيد أبو بكر محمد شطا المكي، والسيد حسين بن محمد الحبشي المكي، والشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ محمد الشربيني الدمياطي.

أما تلاميذه فقد انتشروا في الحجاز وإندونيسيا وبلاد الملايو، وكان لهم دور مهم في نشر المذهب الشافعي وعلوم الحديث. ومن أشهرهم المحدث المقرئ أحمد بن عبد الله المخللاتي، والحافظ محمد حبيب بن عبد الله الشنقيطي، وجماعة من علماء الأرخبيل الإندونيسي الذين حملوا علمه وأسانيده إلى بلادهم.

مؤلفاته وأعماله العلمية

خلّف الإمام محفوظ بن عبد الله الترمسي تراثاً علمياً غنياً في الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، والقراءات والأسانيد، مما يدل على سعة اطلاعه ورسوخ قدمه في مختلف الفنون. وقد امتازت مؤلفاته بالدقة في التحرير، وكثرة النقول، والعناية بالأسانيد، حتى أصبحت مرجعاً مهماً لطلاب العلم في الحرمين الشريفين وبلاد جنوب شرق آسيا.

ففي أصول الفقه ألّف كتاب "إسعاف المطالع بشرح البدر اللامع نظم جمع الجوامع"، وهو شرح نفيس على منظومة في أصول الفقه مبنية على كتاب جمع الجوامع لتاج الدين السبكي. وقد أظهر فيه المؤلف تمكنه من مباحث الأصول والخلاف، مع عناية ببيان الأقوال والترجيحات، مما جعله من أهم مصنفاته الأصولية.

وفي علم القراءات اشتهر بكتابه "غنية الطلبة بشرح نظم الطيبة في القراءات العشر"، وهو من أبرز شروحه، تناول فيه منظومة طيبة النشر للإمام ابن الجزري، فشرح ألفاظها، وبيّن أوجه القراءات وأسانيدها، مع تحرير المسائل الخلافية بين القراء. كما ألّف "الفوائد الترمسية في أسانيد القراءات العشر" الذي جمع فيه أسانيده العالية في هذا الفن، مما يدل على مكانته المرموقة بين علماء القراءات في عصره.

أما في الحديث وعلومه، فمن أشهر مؤلفاته "منهج ذوي النظر في شرح منظومة علم الأثر"، وهو شرح لمنظومة البيقوني في مصطلح الحديث،

امتاز بسهولة العبارة وحسن الترتيب، ولذلك لقي قبولاً واسعاً لدى طلاب العلم، ولا يزال يُدرّس في عدد من المعاهد الشرعية. كما ألّف كتاب "المنحة الخيرية في أربعين حديثاً من أحاديث خير البرية ﷺ"، جمع فيه طائفة من الأحاديث النبوية مع فوائدها وإشاراتها العلمية.

ومن عنايته بعلم الرواية والإسناد كتاب "كفاية المستفيد فيما علا من الأسانيد"، الذي جمع فيه أسانيده العالية واتصالاته العلمية بمشايخه، وهو من المصادر المهمة في معرفة الأسانيد المتأخرة في الحرمين الشريفين. كما ألّف كتاب "ثلاثيات البخاري"، الذي اعتنى فيه بالأحاديث التي وقع بين الإمام البخاري والنبي ﷺ فيها ثلاثة رواة فقط، مبيناً أسانيدها وفوائدها الحديثية.

وفي الفقه الشافعي ترك الإمام الترمسي مؤلفات نافعة، من أبرزها "موهبة ذي الفضل حاشية على شرح مختصر بافضل"، وهي حاشية على المقدمة الحضرمية لعبد الله بافضل، أحد أشهر المتون الفقهية المتداولة في اليمن والحجاز وجنوب شرق آسيا. كما ألّف "نيل المأمول بحاشية غاية الوصول في علم الأصول"، وهو من الكتب التي تعكس تمكنه من الفقه وأصوله وحرصه على خدمة المتون المعتمدة في المذهب الشافعي.

وقد ترك الإمام الترمسي مؤلفات أخرى في القراءات والحديث والتراجم والفقه، امتازت بحسن الترتيب ودقة التحقيق وكثرة الفوائد، وظلت محل عناية العلماء والباحثين إلى يومنا هذا.

ويُعد الشيخ محفوظ الترمسي من أبرز أعلام المرحلة السادسة من تاريخ المذهب الشافعي (مرحلة المتأخرين والنهضة العلمية)، إذ جمع بين المحافظة على التراث الشافعي المتأخر ونقله إلى آفاق جديدة خارج العالم العربي، وأسهم في توثيق الصلة العلمية بين الحرمين الشريفين وبلاد الملايو والأرخبيل الإندونيسي. ولذلك يُنظر إليه بوصفه أحد أهم الجسور

العلمية التي ربطت المدرسة الشافعية في الحجاز بالمدارس الشافعية في جنوب شرق آسيا خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين.

الخاتمة

بعد استعراض تراجم نخبة من فقهاء المذهب الشافعي منذ عصر الإمام الشافعي إلى القرن الرابع عشر الهجري، يتبين أن المذهب لم يتطور دفعة واحدة، وإنما مر بمراحل علمية متتابعة، أسهمت كل مرحلة منها في بناء صرحه العلمي وإرساء معالمه الفقهية.

فكانت المرحلة الأولى، وهي مرحلة التأسيس والرواية والمختصرات (٢–٣هـ) مرحلة وضع الأساس العلمي للمذهب، وظهور القولين القديم والجديد، ونقل المذهب بواسطة أصحاب الإمام الشافعي وتلاميذه. ومن أهم مظاهر هذه المرحلة ظهور المختصرات الفقهية التي هدفت إلى تقريب فقه الإمام الشافعي للطلاب. ويأتي في مقدمتها "مختصر المزني" للإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤هـ)، وهو أشهر مختصرات المذهب وأعظمها أثرًا، حتى أصبح محورًا لعدد كبير من الشروح والتعليقات في القرون اللاحقة. إذا كان الإمام الشافعي هو مؤسس المذهب، فإن الإمام المزني يُعد أبرز من حفظ المذهب ونقله إلى الأجيال اللاحقة. وقد مثّل كتاب "مختصر المزني" الجسر العلمي بين المرحلة الأولى والمرحلة اللاحقة، إذ انطلقت منه معظم الشروح الكبرى التي أسهمت في بناء المدرسة الشافعية وتكوين تراثها الفقهي الضخم خلال القرون التالية.

ثم جاءت المرحلة الثانية، وهي مرحلة التأصيل والنشر والجمع (٤–٥ هـ)، فشهدت توسعًا في بناء المذهب وتأصيل قواعده، وظهور أصحاب الوجوه، وجمع الروايات والأقوال، وتأليف المصنفات الفقهية الموسوعية التي أسهمت في نشر المذهب في مختلف الأقاليم الإسلامية.

وتُعد هذه المرحلة العصر الذهبي لتأصيل المذهب الشافعي، حيث انتقلت جهود الأئمة من مجرد الرواية والنقل عن الإمام الشافعي إلى مرحلة التقعيد، والاستنباط، وجمع الأقوال والتخريج، وبرزت في هذه المرحلة

مدرستان رئيسيتان: طريقة العراقيين التي اعتنت بضبط النصوص وبيان القواعد، وطريقة الخراسانيين التي عُنيت بالتفريع وكثرة البحث والتأمل، وقد أسهم هذا التكامل المعرفي في توسيع دائرة الاجتهاد الداخلي للمذهب.

وفي هذه الحقبة، تجلّت حركة النشر والتأليف المكثف عبر تصنيف الموسوعات الفقهية الشاملة التي حررت أقوال المذهب الشافعي في القديم والجديد، وضبطت وجوه الأصحاب وطرقهم. ومن أبرز معالم هذه المرحلة صدور مصنفات أصولية وفقهية أسست لمرجعية علمية ثابتة، مثل كتاب "المهذب" و"اللمع" لأبي إسحاق الشيرازي، و"نهاية المطلب" لإمام الحرمين الجويني. هذا الجهد الموسوعي لم يقتصر على الحفظ فحسب، بل شمل تنقيح الروايات والموازنة بين الأقوال المعتمدة وغير المعتمدة في المذهب.

فقد شكلت المرحلة الثانية الأساس الصلب الذي انطلقت منه مرحلة الاستقرار والتحرير المطلق في القرون التالية، ولا سيما على يدي الإمامين الرافعي والنووي. وقد اعتمد المتأخرون على مدونات القرنين الرابع والخامس كمرجع أساسي في ترجيح الأقوال، مما ضمن للمذهب الشافعي الانضباط والدقة، وأسهم في استمراره وانتشاره الواسع في مختلف بقاع العالم الإسلامي حتى العصر الحديث.

أما المرحلة الثالثة، وهي مرحلة الاختصار والتهذيب (٦هـ)، فتميزت بإعادة ترتيب المذهب وتهذيبه وتقريب مسائله، وظهور المختصرات التعليمية التي أصبحت أساسًا للتدريس والتلقي في القرون اللاحقة.

قد شهدت هذه الفترة انتقال الفقه الشافعي من مرحلة جمع الأقوال وتكثير التفريعات إلى مرحلة تنقيحها وضبطها؛ حيث تصدى أئمة كبار، أبرزهم الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) والإمام البغوي (ت ٥١٠ هـ)، لاختصار المطولات الفقهية الموروثة وتقريبها للطلاب. ركز هؤلاء الأعلام في

مصنفاتهم، مثل: "البسيط" و"الوسيط" للغزالي، و"التهذيب" للبغوي، على استخلاص زبدة المذهب، وتنظيم مسائله، وتمحيص أقوال الإمام الشافعي.

وقد تأسس هذا التطور على استثمار الجهود الفقهية السابقة وتهذيبها، خاصة ما يتعلق بتعليقات العراقيين والخراسانيين. ونجحت هذه المرحلة في إيجاد إطار منهجي أكثر دقة؛ إذ تضمنت تحرير "الوجوه" و"الطرق" التي نقلها الأصحاب، مما أسهم في معالجة التضارب في الفتاوى. وقد أدى هذا الضبط إلى تبلور لغة فقهية محكمة، وصياغة قواعد كلية استنبطت من الفروع المذهبية، لتصبح بمثابة المعيار الذي يُقاس عليه ويُرجع إليه في استنباط أحكام النوازل المستجدة.

أرست هذه المرحلة قواعد متينة لإنضاج المذهب في الحقبة اللاحقة، حيث شكلت أعمال الغزالي والبغوي الأساس المعتمد الذي بنى عليه المتأخرون صرح الفقه الشافعي. فقد استند الإمام الرافعي (ت ٦٢٣ هـ) والإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ) جهودهم بالاستفادة من هذه المدونات لترجيح الأقوال، وحسم الخلاف، وضبط المعتمد في الفتوى، مما أدى إلى استقرار المذهب وظهوره بالصورة النهائية التي تدرس وتعتمد في شتى الأقطار الإسلامية.

ثم دخل المذهب مرحلته الرابعة وهي مرحلة الشرح الكبير والتحرير (٧–٨هـ)، التي بلغت فيها جهود التحرير الفقهي ذروتها على يد الرافعي والنووي ومن تبعهما، فاستقرت أصول المذهب وفروعه، وتم تمييز الراجح من المرجوح، وأصبحت كتب هذه المرحلة عمدة الشافعية في الفتوى والتدريس.

تشكل هذه المرحلة حقبةً محوريةً في تاريخ المذهب الشافعي، حيث تُمثل عصر النضج الفقهي وتكامل الأدوات. تميزت هذه المرحلة بانتقال فقهاء المذهب من مجرد النقل والتخريج إلى مرحلة الغوص العميق في النصوص، عبر استنباط القواعد الأصولية، وتحرير المسائل، وتوضيح

الخلاف العالي، وجمع أطراف المذهب، ما أسس لعملية تقنين وضبط غير مسبوقة داخل المدرسة الشافعية.

تجلت أبرز إنجازات هذه المرحلة في ظهور ما يُعرف بـ "كتب الشرح الكبير" و"التحرير"، وعلى رأسها أعمال الإمامين الرافعي والنووي. فقد قام الرافعي بجمع آراء المتقدمين وتلخيصها في "الشرح الكبير"، ثم جاء الإمام النووي ليقوم بعملية تنقيح شاملة، ميز فيها بين الراجح والمرجوح، وصحح ما يحتاج إلى تصحيح، وألف كتباً معتمدة مثل "المجموع" و"روضة الطالبين"، وكتاب "المنهاج" الذي غدا عمدة المذهب في التأليف والتدريس.

وكان لهذه المرحلة أثر عميق وحاسم في تطور المذهب الشافعي لاحقاً؛ إذ أجمعت كلمة المتأخرين من فقهاء الشافعية على أن ما اتفق عليه الشيخان (الرافعي والنووي) هو القول المعتمد، والذي يُقدم في الفتوى والقضاء. وقد وجهت هذه الأعمال بوصلة البحث العلمي، وفتحت الباب أمام عصر لاحق تمحور حول شروحات هذه الكتب وتلخيصها، لتتبلور معالم المذهب في صورته النهائية المستقرة.

وفي المرحلة الخامسة، وهي مرحلة التحقيق والحواشي والاعتماد (٩–١٢هـ)، انصرف العلماء إلى استكمال التحقيق والتحرير، وبيان المعتمد في المذهب، وتأليف الشروح والحواشي والتقريرات، حتى استقرت مرجعية الفتوى على مؤلفات كبار المحققين، وفي مقدمتهم زكريا الأنصاري وابن حجر الهيتمي وشمس الدين الرملي.

تُعدّ هذه المرحلة حقبة النضج والاكتمال في مسار الفقه الشافعي، وتُعرف أحياناً بامتداد "مرحلة المتون". اتسمت هذه الحقبة بتوقف الاجتهاد المطلق في تفريعات المذهب والاكتفاء بتنزيل القواعد والأقوال التي أقرّها أئمة

المذهب المتقدمون، وبرزت فيها ظاهرة العناية الفائقة بتهذيب "المنهاج" للنووي و"المحرر" للرافعي، ليُصبحا قطبي الرحى في التدريس والفتوى.

انصبّ الجهد الأكاديمي للفقهاء في هذه المرحلة على وضع الشروح المستفيضة، وكتابة "الحواشي" العلمية الدقيقة التي تضمنت التحقيق والتدقيق وتقييد النقول، من أبرز أعلامها: ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) وشمس الدين الرملي (ت ١٠٠٤هـ)، وزكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ). هدفت هذه الجهود إلى استنباط خبايا النصوص، وحلّ معضلاتها، والتوفيق بين الروايات المختلفة، وتحديد المعتمد للفتوى والقضاء من بين أقوال المتأخرين.

أثمرت هذه المرحلة عن تأسيس "المعتمد" النهائي للمذهب الشافعي، ونتج عنها منظومة فقهية متماسكة وُضِعَت فيها ضوابط الترجيح بين الأقوال، حيث تُمثّل كُتب مثل "تحفة المحتاج" لابن حجر و"نهاية المحتاج" للرملي المرجعيات الكبرى التي استقرّ عليها العمل في المذهب. كما أسست هذه المرحلة لتشكل مرجعية تعليمية واضحة تضبط الفتوى وتُسهّل على الطلاب دراسة الفقه وتلقيه، وهو ما ضمن للمذهب الاستمرارية والانضباط عبر القرون اللاحقة.

وأما المرحلة السادسة، وهي مرحلة المتأخرين والنهضة العلمية (١٣–١٤هـ)، فقد تميزت باتساع رقعة المذهب الشافعي خارج مراكزه التقليدية في مصر والشام، وازدهار الحركة العلمية في الحجاز واليمن والهند والأرخبيل الإندونيسي وشرق إفريقيا. وفي هذه المرحلة اتجه العلماء إلى خدمة التراث الشافعي المتأخر شرحاً وتدريساً واختصاراً، مع العناية بنشره في المعاهد والمدارس الإسلامية.

وشهدت هذه الحقبة بروز عدد من الأعلام الذين كان لهم أثر بارز في حفظ المذهب ونقله إلى العصر الحديث، مثل الشيخ أحمد زيني دحلان، والشيخ

محمد شطا الدمياطي، والشيخ محفوظ الترمسي، والإمام محمد نووي البنتني، وغيرهم من علماء الحرمين الشريفين وبلاد الملايو والهند. وقد أسهم هؤلاء في ربط الأقاليم الإسلامية بالمراكز العلمية الكبرى، ونقل المعتمد الشافعي إلى أجيال جديدة من الطلاب والعلماء.

كما تميزت هذه المرحلة بانتشار الطباعة، وازدياد تداول الكتب الفقهية، وكثرة الحواشي والتقريرات التعليمية، مما أسهم في حفظ التراث الشافعي وترسيخه في المؤسسات العلمية الحديثة. وبذلك مثّلت هذه الحقبة مرحلة المحافظة على المذهب ونشره عالمياً، وهيأت انتقاله إلى العصر المعاصر مع بقاء أصوله العلمية ومنهجه الفقهي راسخين كما قرره الأئمة المتقدمون.

ومن خلال هذه المراحل المتعاقبة يظهر أن المذهب الشافعي لم يكن مجرد مجموعة من الآراء الفقهية، بل كان مدرسة علمية متكاملة تناقلها العلماء جيلاً بعد جيل، وحفظوا تراثها بالمختصرات والشروح والحواشي والفتاوى، حتى وصل إلينا هذا البناء الفقهي المتين الذي ظل حاضرًا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لأكثر من اثني عشر قرنًا.

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله مساهمة متواضعة في التعريف بأئمة المذهب الشافعي وجهودهم العلمية، وأن يرحمهم جميعًا ويجزيهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

الخريطة الزمنية لتطور المذهب الشافعي و أبرز أعلامه

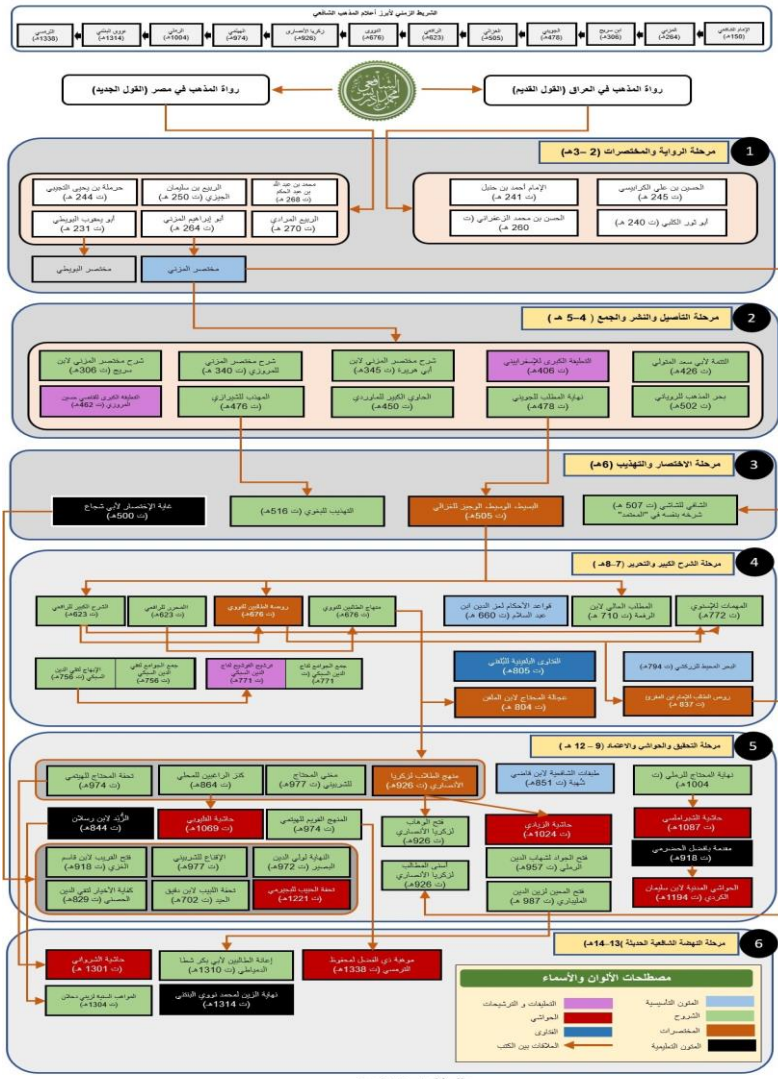

بقلم الفقير : ميزان شعراني

أهم مصادر التراجم والطبقات في المذهب الشافعي

اعتمد مؤلف هذا الكتاب على عدد من المصادر الأصيلة في تراجم فقهاء الشافعية وتاريخ المذهب، وفي مقدمتها كتب الطبقات الشافعية التي ألّفها أئمة المذهب عبر القرون. ولا يقصد بهذه القائمة الاستيعاب الكامل لجميع المصادر، وإنما الإشارة إلى أهم المراجع التي يمكن للقارئ الرجوع إليها للتوسع في تراجم الأعلام المذكورين في هذا الكتاب، ودراسة تطور المذهب الشافعي ومدارسه العلمية.

ابن الصلاح، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن. *طبقات الفقهاء الشافعية*، دار البشائر الإسلامية

ابن الملقن، سراج الدين. *العقد المذهب في طبقات حملة المذهب*، دار الكتب العلمية

ابن أبي حاتم الرازي. *أداب الشافعي ومناقبه*، دار الكتب العلمية

ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، دار صادر،ثمانية أجزاء

ابن شُهبة الدمشقي. *طبقات الشافعية*، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية،اربعة أجزاءٍ

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. *تاريخ دمشق*، دار الفكر،ثمانون جزأ

ابن قاضي شهبة، بدر الدين. *طبقات الشافعية*، وزارة المعارف الحكومة العالية الهندية

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر. *طبقات الشافعية*، مكتبة الثقافة الدينية

الإسنوي، بدر الدين. *طبقات الفقهاء الشافعيين*، مكتبة الثقافة الدينية،جزأن

البيهقي، أبو بكر. *مناقب الشافعي*، مكتبة دار التراث

الخطيب البغدادي. *تاريخ بغداد*، دار الكتب العلمية،أربعة وعشرون جزأ

الذهبي، شمس الدين. *سير أعلام النبلاء*، مؤسسة الرسالة
الذهبي، شمس الدين. *مناقب الإمام الشافعي وطبقات أصحابه*، مكتبة نضر
الرازي، فخر الدين. *مناقب الإمام الشافعي*، مكتبة الكليات الأزهرية
السبكي، تاج الدين. *طبقات الشافعية الكبرى*، دارإحياءالكتب العربية
السخاوي، شمس الدين. *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل*، إثناعشر جزأً
الشيرازي، أبو إسحاق. *طبقات الفقهاء*، دارالقلم
المدوري، محمد فتح الله. *تحفة الراوي في ترجمة الشيخ محمد نووي الجاوي*، مكتبة كتاب نوسنتارا
النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف. *طبقات الفقهاء الشافعية*، مكتبة الثقافة الدينية